جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الحِجاج في تفسير الميزان للطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)
"مقاربة تداولية"

إطروحة تقدم بها الطالب

محمد فيصل حسن الموسوي

إلى مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية

وهي جزء من متطلبات شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها / لغة .

إشراف

أ . م . د . تراث حاكم الزيادي

١٤٤٢هـ **٢٠٢٠م**

اقرار لجنة مناقشة رسالة الدكتوراه

جامعة القادسية/ كلية: الدراسات العليا

نقر اننا اعضاء لجنة مناقشة طالب الدكتوراه :---------- محمد فيصل حسن الموسوي ----------

قسم :---------- اللغة العربية ----------اطلعنا على التصحيحات والتعديلات التي تم اجرائها من قبل الطالب والتي تم اقرارها في المناقشة من قبلنا فهي جديرة بدرجة ---------- جيد جداً عالٍ ---------- في ---------- اللغة العربية / اللغة ---------- وعليه وقعنا .

اعضاء لجنة المناقشة:

ت	الاسم	اللقب العلمي	التوقيع	الصفة
1	جنان منصور كاظم	استاذ		رئيسا
2	لمى عبد القادر خنياب	استاذ		عضوا
3	عادل عباس حويدي	استاذ		عضوا
4	نبأ عبد الامير عبد دحام	استاذ مساعد		عضوا
5	غفران حمد شلاكة	استاذ مساعد		عضوا
6	تراث حاكم مالك	استاذ مساعد		عضوا ومشرفا

يصادق مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية على قرار اللجنة

أ.د. ياسر علي عبد

العميـــــد

/ / ٢٠٢٠

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (الحِجاج في تفسير الميزان للطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) "مقاربة تداولية") التي تقدم بها الطالب (محمد فيصل حسن الموسوي) جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة القادسية ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها / لغة .

الإمضاء :

الاسم: **أ . م . د . تراث حاكم الزيادي**

التاريخ: / /٢٠٢٠م

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

رئيس قسم اللغة العربية:

الإمضاء :

الاسم: **أ . م . د . حسام عدنان رحيم الياسري**

التاريخ: / /٢٠٢٠م

الإهداء

إليكَ...

أيها الممدود بين الأزل والأبد . . . أيها الساكن في القلوب والهاجع في ضمير الأمة . . .

يا شعلة الحق ومبدأ الحياة ونشيد الوجود . . .

يا مَنْ بكته مدامع الكون بالأحمر القاني ، وناحت عليه الحور في قصورها العالية ، وضجت له الملائكة في السماء وهي تنظره مخضباً تريباً تحت وهج الشمس المحرقة . . .

أيها المقتول بالعطش لتسقي الأجيال تلو الأجيال نظافة وسمواً . . .

يا حسين يا منار الفداء والإباء . . .

يا صريع الدمعة الساكبة ، ويا صاحب المصيبة الراتبة ، يا مَنْ وزعت ذاتك مصابيح منيرة تضيء للأجيال دروبها المظلمة . . .

يا مَنْ علّمتنا كيف نرسم ؟ ، وكيف نسلك طريق المجد والكرامة ؟ . . .

يا قدوة الخالدين . . . .

أُقدم كلماتي . . . .

الباحث

الشكر والعرفان

أتقدم بالشكر أولاً وآخراً لله سبحانه وتعالى على نعمه وكثرة عطاياه لما ألهمني إياه في جهدي هذا.

وتُملي عليّ فروض الأدب والاحترام أنْ أشكر الإستاذ الدكتور: جواد كاظم عناد والدكتور: أسعد خلف عبد جابر العوادي ، والدكتور: باسم خيري خضير الذين باركوا ليّ هذا الموضوع ، ومنحوني استشهاداً خطياً به .

وأتقدم بالشكر والتقدير لأساتذتي في قسم اللغة العربية في كلية الآداب، والدكتور: حسام عدنان رحيم الياسري رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب – جامعة القادسية .

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى زملائي الأعزاء على مساعدتهم ليّ، وأتقدم بالشكر لكلِّ من أعانني أو قدّم لي خدمة أو معونة في سبيل إخراج هذا البحث بهذه الصورة.

وأقدم شكري إلى مَنْ أجدُ نفسي جاحداً بحقها: أُمي الغالية، وإلى عنوان التضحية والوفاء : والدي العزيز، وأشكر أخوتي الأعزاء .

وأوجه شكري واعتزازي إلى عائلتي الكريمة وأخص بالذكر زوجتي الفاضلة وأولادي الأربعة حباً وتقديراً .

وأخيراً أتقدم بالشكر لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لما سيبدونه من ملاحظات تُفيد الدراسة وتقوْم اعوجاجها .

الباحث

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ–ت
التمهيد : **مقاربات تأسيسية للمفهوم والمصطلح** :	١–١٩
مفهوم الحِجاج .	١–٣
مفهوم المقاربة .	٣–٦
مفهوم التداولية .	٦–٧
علاقة التواصل بالنص الحِجاجي .	٨–١٢
الأثر التداولي في النص الحِجاجي .	١٢–١٤
المؤثرات التواصلية الحِجاجية عند السيد الطباطبائي في تفسيره .	١٥–١٩
الفصل الأول : **الحِجاج التداولي** :	٢٠–٩٢
المبحث الأول : الأفعال الكلامية :	٢١–٥٨
أولاً : الأفعال الكلامية المباشرة :	٢٤–٣٢
١– الحكميات	٢٤–٢٥
٢– التنفيذيات	٢٦–٢٧
٣– الوعديات	٢٧–٢٨
٤– السلوكيات	٢٨–٣٠
٥– العرضيات	٣١–٣٢
ثانياً : الأفعال الكلامية غير المباشرة :	٣٣–٥٢
١– الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر	٣٨–٤٢
٢– الأفعال الكلامية المنبثقة عن الأنشاء	٤٢–٥٢
أ – الأمر	٤٢–٤٥
ب – النهي	٤٥–٤٨
ت – الاستفهام	٤٩–٥٢
ثالثاً : الأفعال الكلامية المركبة	٥٣–٥٨
المبحث الثاني : الاستلزام الحواري	٥٩–٧٠
أولاً : مبدأ الكم	٦١–٦٤

ثانياً : مبدأ الكيف	**٦٥-٦٦**
ثالثاً : مبدأ المناسبة	**٦٧-٦٨**
رابعاً : مبدأ الطريقة	**٦٨-٧٠**
المبحث الثالث : متضمنات القول :	**٧١-٩٢**
أولاً : الافتراض السابق	**٧٢-٨٦**
١- التعريف	٧٣-٧٥
٢- الصفة	٧٥-٧٧
٣- (من) التبعيضية	٧٧-٧٨
٤- أداة الشرط (لو)	٧٩-٨١
٥- الوصل والفصل	٨١-٨٥
ثانياً : الأقوال المضمرة	**٨٥-٩٢**
الفصل الثاني : الحِجاج اللغوي :	**٩٣-١٥٥**
المبحث الأول : الروابط الحِجاجية :	**٩٥-١١٩**
أولاً : الروابط التي تدرج حججاً قوية :	**٩٦-١٠٤**
١- حتى	٩٦-٩٨
٢- لكنّ	٩٩-١٠٠
٣- بل	١٠٠-١٠٢
ثانياً : الروابط المدرجة للنتائج :	**١٠٢-١١١**
١- إذن	١٠٢-١٠٤
٢- إذ	١٠٤-١٠٦
٣- فاء السببية	١٠٦-١٠٨
٤- لام التعليل	١٠٨-١١٠
٥- كي	١١٠-١١١
ثالثاً : روابط التعارض الحِجاجي :	**١١١-١١٤**
١- لكنّ	١١١-١١٣
٢- بل	١١٣-١١٤
رابعاً : روابط التساوق الحِجاجي (المتساندة) :	**١١٤-١١٩**

١- الواو	١١٤-١١٦
٢- حتى	١١٦-١١٧
٣- ثم	١١٨-١١٩
المبحث الثاني : العوامل الحِجاجية :	١٢٠-١٣٧
أولاً : العوامل الحِجاجية التركيبية :	١٢١-١٣٦
١- العامل الحِجاجي (أسلوب القصر)	١٢١-١٣٢
أ – العامل الحِجاجي (النفي والاستثناء)	١٢١-١٢٣
ب – العامل الحِجاجي (إنّما)	١٢٣-١٢٥
ت – العامل الحِجاجي (التقديم والتأخير)	١٢٥-١٣٠
٢- العامل الحِجاجي بالنفي	١٣٠-١٣١
٣- العامل الحِجاجي بـ(كاد)	١٣١-١٣٣
ثانياً : العوامل الحِجاجية المعجمية :	١٣٤-١٤٠
١- العامل الحِجاجي المعجمي (الآن)	١٣٤-١٣٥
٢- العامل الحِجاجي المعجمي (قليلاً)	١٣٥-١٣٦
٣- العامل الحِجاجي المعجمي (كثيراً)	١٣٧
المبحث الثالث : السلالم الحِجاجية :	١٣٨-١٥٥
أولاً : قوانين السلم الحِجاجي :	١٣٩-١٤٨
١- قانون النفي	١٣٩-١٤١
٢- قانون القلب	١٤١-١٤٣
٣- قانون الخفض	١٤٣-١٤٤
ثانياً : مفاهيم ترتبط بالسلم الحِجاجي :	١٤٥-١٦٠
١- الوجهة أو الاتجاه الحِجاجية	١٤٥-١٤٧
٢- القسم الحِجاجي	١٤٧-١٤٨
٣- الصيغ الصرفية (أفعل التفضيل)	١٤٩-١٥٠
٤- صيغ المبالغة	١٥٠-١٥١
٥- فحوى الخطاب	١٥٢-١٥٣
٦- القياس الحِجاجي	١٥٣-١٥٥

الفصل الثالث : **الحِجاج البلاغي** :	١٥٦-٢١٥
المبحث الأول : الحِجاج البياني :	١٥٧-١٨١
أولاً : المجاز	١٥٧-١٦٢
ثانياً : التشبيه	١٦٣-١٦٧
ثالثاً : الاستعارة	١٦٧-١٧٢
رابعاً : الكناية	١٧٢-١٧٧
خامساً : التمثيل	١٧٧-١٨١
المبحث الثاني : الحِجاج البديعي :	١٨٢-٢١٥
أولاً : المذهب الكلامي :	١٨٢-١٨٦
١- الإيهام وإثارة الذهن	١٨٣-١٨٤
٢- التوجيه	١٨٤-١٨٦
ثانياً : الالتفات	١٨٧-٢٠٥
١- الالتفات في نوع الضمير	١٨٨-١٩٨
٢- الالتفات في نوع العدد	١٩٨-٢٠٠
٣- الالتفات في صيغ زمن الفعل	٢٠٠-٢٠٥
ثالثاً : المقابلة	٢٠٥-٢١٠
رابعاً : الاعتراض	٢١٠-٢١٣
خامساً : التقسيم	٢١٣-٢١٥
الخاتمة وابرز نتائج البحث	٢١٦-٢١٩
قائمة المصادر والمراجع	٢٢٠-٢٤٨
الملخص باللغة الإنكليزية	A-B

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد :

إنّ القرآن الكريم منهج ودستور للإنسان في كلِّ مكانٍ وزمانٍ يُنظم حياتهم ويضيء لهم الطريق في جميع مجالات الحياة العلمية والعملية ؛ ليحظوا بسعادة الدارين ، وهو بدوره يحتوي على معانٍ وأسرار لا يمكن لأحد أنْ يقف عليها ويُحيط بها إلا من أختصه الله سبحانه وتعالى وجعله خليفة في أرضه وأمين سره .

فاجتهد المفسرون قديماً وحديثاً في تفسير القرآن وبيان معانيه ، حتى أُلفت كتب تفسيرية عديدة ومتنوعة باختلاف المنهج الذي يتخذه المفسر ، ومن هذه التفاسير (الميزان في تفسير القرآن للسيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)) ، وقد كثرت الدراسات فيه في مجالات مختلفة نحوياً، ودلالياً، وبلاغياً، ومنهجياً، وقد عُرف أسلوب الطباطبائي بالدقة العلمية والعبارة الموجزة ، وكانت هذه واحدة من الصعوبات التي واجهت الباحث، ممّا استلزم التفكير العميق والتحريّ الدقيق في العبارة للوصول إلى مقاصد المفسر، فضلاً عن سعة التفسير الذي بلغ عشرين جزءاً .

وإنّ اختيار تفسير الميزان كمدونة للبحث ؛ كون جلّ نصوصه حِجاجية ، فالسيد الطباطبائي يُشرك قرّاءه في الخطاب حاضراً وغائباً وما يسميه بالمتلقي الكوني، وعلى الرغم من كثرة الدراسات في تفسير الميزان إلا أنّ (الحِجاج) لم يُدرس في هذا التفسير الخالد، وكانت رغبتي في دراسة لغة القرآن الكريم به بسبب حبي الشديد لهذه الفكرة منذ أيام دراسة الماجستير، وترسخت هذه الرغبة في السنة التحضيرية في الدكتوراه ، وبعد مشورة الأساتذة المتخصصين، تفضل الدكتور: مؤيد عبيد آل صوينت باقتراحه موضوع بحث الدراسة ((الحِجاج في تفسير الميزان للسيد الطباطبائي)) وهو من مفسري القرن الرابع عشر الهجري ، وعندما عرضته على لجنة إقرار الموضوع رحبوا بالفكرة ، ومن هذا المنطلق جاءت فكرة الدراسة ، وانطلاقاً ممّا سبق أردت أنْ أقوم بمحاولة متواضعة للبحث

في موضوع الحِجاج ، إذ أصبح الحِجاج في العقود الأخيرة محل عناية الدارسين؛ وذلك من كتب وأبحاث كثيرة كُتبتْ في مجال الحِجاج؛ إذ لم تقتصر على مجال واحد، بل تعني بمجالات متعددة كالفلسفة والمنطق والعلوم الإنسانية المختلفة ، ومن ذلك الخطاب بكل أنواعه يعدّ مجالاً واسعاً للحِجاج ، لاسيما الخطاب التفسيري وهذا ما جعله مرتبطاً بالإشكالات التي تثيرها البلاغة ولسانيات الخطاب والتواصل .

وقد قسمت بحثي هذا على **تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة** ، ضّم **التمهيد** مجموعة من العناوين الفرعية هي (المدلول اللغوي والاصطلاحي لمفهوم التداولية) و(المدلول اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الحِجاج) و (المدلول اللغوي والاصطلاحي لمفهوم المقاربة) و(علاقة التواصل بالنص الحِجاجي) و(الأثر التداولي في الحِجاج في النص) و (المؤثرات التواصلية الحِجاجية عند السيد الطباطبائي في تفسيره) .

وكان **الفصل الأول** بعنوان **(الحِجاج التداولي)** ضّم ثلاثة مباحث ، درستُ في الأول (الأفعال الكلامية: المباشرة وغير المباشرة والمركبة) وتناولتُ في الثاني (الاستلزام الحواري)، وبحثتُ في الثالث (متضمنات القول بنوعيها : الافتراض المسبق والأقوال المضمرة) .

وجاء **الفصل الثاني** بعنوان **(الحِجاج اللغوي)** وحوى ثلاثة مباحث، تناولتُ في الأول (الروابط الحِجاجية) وقد تفرع إلى عناوين هي (الروابط التي تدرج حِججاً قوية) و(الروابط المدرجة للنتائج) و(روابط التعارض الحِجاجي) و(روابط التساوق الحِجاجي) ، وتضمن المبحث الثاني (العوامل الحِجاجية التركيبة والمعجمية) وأشرتُ في المبحث الثالث إلى (قوانين ومفاهيم السلم الحِجاجي) .

ودرستُ في **الفصل الثالث (الحِجاج البلاغي)** وكان بمبحثين، الأول (الحِجاج البياني ويشمل : المجاز والتشبيه والكناية والتمثيل) والثاني أفردتُه لـ (الحِجاج البديعي ويشمل : المذهب الكلامي والالتفات والمقابلة والاعتراض والتقسيم) .

وأنهيت بحثي **بخاتمة** أوجزت فيها ما انتهيتُ إليه في مسار البحث، ولا أدعي أنّني استوفيتُ كل ما أراده صاحب الميزان لكنني بذلت جهداً ليس باليسير لكي لا يفوتني شيء منه، وكان الاختيار لنماذج معينة لكل مسألة من مسائل البحث ؛ لسعة المادة وأنا مقيّد بالزمن وحجم الرسالة، وإذا كان ثمة تفاوت في حجم الفصول والمباحث فهو راجع إلى تفاوت مادة البحث.

وجاءت طبيعة **المصادر** موزعة على قديمها وحديثها لأهمية الموضوع الذي جمع بين القدم والحداثة .

وقبل أنْ أضعَ قلمي، أودُّ أنْ أتقدم بالشكر الجزيل والوفاء العظيم وفيض الامتنان إلى الإستاد المساعد الدكتور: تراث حاكم الزيادي، لإشرافه على هذا العمل العلمي، إذ كثيراً ما أسدى إلي نُصحاً، ويسّر لي أمراً.

وأسأل الله عزّ وجلّ أنْ أكون موفقاً في ما كتبتُ ، ومصيباً في ما ذكرتُ ، ومنصفاً في ما علّقتُ، وأنْ يكون ما سطرته توفيقاً منه ، وأنْ يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأنْ يفوز بالرضا ، ويحظى بالقبول .

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاته

التمهيد

❖ مقاربات تأسيسية للمفهوم والمصطلح :

من المبادئ الأساسية التي عُني بها اللغوي حينما شرع لدراسة اللغة بوصفها أداة للتواصل ، وجوهراً لفهم الكلام المنطوق للبشر، وهي الإشارات الدالة والمتماسكة لتقرير القاعدة الأسلوبية للنص.

ولربما كان الحِجاج في القرآن الكريم من أهمّ القضايا اللغوية في العلم الحديث ، والتي تحفّز الاطلاع على خبايا اللغة، فالعلاقات الترابطية تكمن بين النص، ومستوى الجمل فيه ، فضلاً عن ذلك أنّ الحِجاج يُعطي حياةً للنص بوصفه جزءاً من اللغة[١].

فالحِجاج في القرآن الكريم بصورة عامة أحد عناصر الإعجاز الحاصل في نظم جمله وديباجة تراكيبه وصياغة تعابيره، هذا ما جعل التأمل والتفكير المستمر في سوره وآياته، فقد تعددت تفاسيره ، وتعددت وجوه الإعجاز في القرآن الكريم بما يكمن خارج النص وداخله .

علماً أنّ الدراسات الحديثة أسهمت كثيراً في معرفة خفايا مضامين النص القرآني ودعم الآليات التي تجعل الباحث أمام صور وعلوم شتى ، ومن ذلك دراسة الحِجاج، هذا ما جعل البحث يدور بهذا المحور ومن ذلك دراسة الحِجاج في الميزان بصفة خاصة ، فيستمد وقوعه بأدوات وآليات سنتعرف عليها لاحقاً بما يوافق وجوده في التفسير .

وقبل الخوض في موضوعنا لابدَ من الإشارة إلى مجموعة من المفاهيم التي لها علاقة وطيدة بطبيعة الموضوع المدروس ، ومنها :

- **مفهوم الحِجاج :**

لم يغفلْ القدماء عن هذا المفهوم بل كان لهم باع طويل في استرسال المفاهيم اللغوية التي نعدّها حديثة لا سيما الحِجاج، إذ إنّ الباحث المدقق ، والمنقب في الإرث الذي تركه القدماء يجد هذا الشيء واضحاً للعيان لمن أراد البلوغ والنبوغ في معرفته ، فالعرب ينظرون إلى الحِجاج على أنّه جزء من البلاغة في حين أنّ الدراسات الغربية تعدّ البلاغة جزءاً من الحجاج[٢] .

---

[١] ينظر : الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار ، نماذج من القرآن والحديث (بحث) : ٢٢٥ .

[٢] ينظر : الحِجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) (أطروحة دكتوراه) : ٤- ٥ .

والأمر الآخر الذي يهمنا هنا هو الإشارة إلى ما قاله العرب والغرب حول مفهوم الحِجاج بما ينسجم والبحث الذي بين أيدينا حتى يطلع القارئ ، وتتضح عنده الفكرة بما يناسب ذوقه عند القراءة ، وفضلاً عن عدم بخس حقوق الآخرين .

إنّ للحِجاج نظريات عدّة أفاد منها الباحثون في دراستهم في الحقل اللساني ، إذ كان الحِجاج قبل (ديكرو وانسكومبير) مرتبطاً بالمنطق العقلي، على حين نجدُ أنّ (بيرلمان) قد قدّم خطاباً أسسه على المنطق الأرسطي فجدد فيه وربطه بالبلاغة، واستخرج نظرية البلاغة الجديدة التي ركزتْ على جانبين أساسيين : البيان وأسلوب الإقناع[١] .

وقد جاءتْ لفظة **الحِجاج** على صيغة المصدر، قال الخليل: ((والفعل حاججته فحججته واحتججتُ عليه بكذا ، وجمع الحُجة حُجج والحِجاج المصدر))[٢] .

وإذا أردنا الخوض في الأصول لمدلول الحِجاج في أكثر من معجم فهو يدلُ على معانٍ عدّة منها : القصد والمخاصمة والدليل والبرهان والجدل والمناظرة[٣] .

وبهذا يتضح لنا أنّ الحِجاج في اللغة قول يتنزلُ ضمن سياق جدلي يجمع بين طرفين فأكثر ، ويقصدُ إفحام الخصم وإقناع المتلقي، علماً أنّ الحِجاج في المعجمات الغربية لا يختلف المعنى عنه في المعاجم العربية، فهو في La grand Robert) الذي يقابل لفظ (Argumentation) التي تعني :

- القيام باستعمال الحِجج .
- مجموعة من الحِجج التي تستهدف تحقيق نتيجة[٤] .

أما في معجم (Longman) الإنكليزي ، فهو يقابل لفظة (Argument) ، التي تشير إلى وجود اختلاف بين شخصين أو طرفين يحاول كل منهما إقناع الآخر بتقديم المسوغات التي تؤيد رأيه أو تدحضه[٥] .

---

[١] ينظر : الفلسفة والبلاغة مقاربة حِجاجية للخطاب الفلسفي : ٦٥-٦٩ .

[٢] العين (حج) : ٣ / ١٠ ، وينظر : لسان العرب (حاج) : ٢ / ٢٢٨ .

[٣] ينظر : العين(حج) : ٣ /١٠ ، وتهذيب اللغة (حاج): ٣ / ٢٥١ .

[٤] ينظر : الحِجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة: ١/ ٢-٣ .

[٥] ينظر : تجليات الحِجاج في الخطاب النبوي في وسائل الإقناع الأربعون النووية أنموذجاً (رسالة ماجستير) : ٤٩ .

أما الحِجاج اصطلاحاً : فقد كثرت تعريفاته بشكل لافت للنظر، فلم يتفق الباحثون في الحقل الحِجاجي على تعريف موحد يرجع إليه مَنْ أراد الخوض في هذا الفرع من اللسانيات، وربما يعود ذلك إلى اختلاف وجهات نظر الباحثين ومرجعياتهم الثقافية، فذهب كلٌّ منهم يوجهه بحسب فهمه له من الزاوية التي يراها.

وقد اعتمد البحث التعريف الأكثر تداولاً عند الباحثين، وهو تعريف (ديكرو)؛ لأنّه يُعدّ صاحب الحِجاج اللغوي ، الذي يرى أنّ الحِجاج هو:((تقديم الحِجج ، والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أُخرى يتمثل الحِجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحِجج اللغوية ، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها))[١] ، فالحِجاج هنا يقوم على اللغة بالأساس بل يكمن فيها .

وقد حرصنا هنا على الاختصار لمدلول الحِجاج كونه يدل على معانٍ متشابه لغةً واصطلاحاً بيدَ أنّها مختلفة من حيث التعبير، فلا حسنة تُذكر في الإطالة.

- **مفهوم المقاربة :**

شهدتْ المنظومة اللسانية اتجاهات عدّة في الدراسات الحديثة بغية الوصول إلى التفهم والتعقل لدى القارئ اللبيب الذي يبحث عن عمق الدلالة والمعنى مروراً بالمناهج ووصولاً إلى المقاربات ، وهذه الأخيرة مصطلح أوجده العلماء من باب التسهيل ، **فالمقاربة لغةً** مشتقة من مادة (قَرُبَ) : ((قرَبَ الشيء بالضم : يقرُب قُرباً وقُرباناً وقِرباناً ؛ أي دنا ، فهو قريب))[٢] .

أما المقاربة اصطلاحاً : يقصد بها : ((الكيفية العامة ، أو الخطة المستعملة لنشاط ما، مرتبطة بأهداف معينة، التي يُراد منها وضعية، أو مسألة، أو حل مشكلة، أو بلوغ غاية معينة ...))[٣] .

ويخلص ممّا تقدم ذكره أنّ المراد من المقاربة لغةً ، واصطلاحاً هي الطريق المختصر بين طرفين للوصول إلى نتائج مرضية ، أو الطريقة التي نعالج بها مشكلة معينة ، وقد استُعمل مصطلح المقاربة للدلالة على التقارب الذي يقع بين مكونات الدراسات اللسانية التي ترتبط فيما بينها عن طريق علاقة منطقية من أجل غاية تعليمية على وفق استراتيجية واضحة .

---

[١] اللغة والحِجاج : ١٦- ١٧ .

[٢] لسان العرب (قرب) : ١ / ٦٢٢ .

[٣] مقاربة التدريس بالكفاءات: ١٠١ .

إذ تسعى المقاربات إلى تحقيق نكت جديدة ، فهي مستجدة تتأسس على تعددية منهجية لكل حقل ، إذن المقاربة التداولية هي العلم القائم على فهم النص ، وتأويل لمعانيه ودلالته ، فهي تتحقق في ما وراء بنية النص فتتجاوز النص بوصفه مغلقاً إلى الخطاب بوصفه مفتوحاً على سياقات خارجية، وهذا يحيلنا إلى مفهوم المقاربة الترميزية والاستنتاجية[١] .

١- المقاربة الترميزية :

إنّ ما يُؤخذ بالنظر أنّ الإنسان يرمز بأصوات وعلامات وصور ، وهذا ما يجعله يدرك الكون بأجمعه ، والترميز اللساني يأتي في المقدمة لما فيه من قدرة استيعابية وتفسيرية .

والغاية من ذلك إيجاد سبل التواصل القائم بين المتكلم والسامع ، وهذا ما يُعرف بالاتصال بالسُنن ، أي إنّها قائمة على نجاح الاتصال إذ تكون المعرفة المشتركة شرطاً للوصول إلى المعنى الصريح ، أو بداية للتفسير والتأويل[٢] .

والعلاقة بين المتكلم والسامع تحدد طبيعة الخطاب ذلك بمعرفة المتكلم المُحاجِج وما يتصف به من ميزات تساعد على إبراز الطبيعة الحِجاجية للخطاب وهذا يعتمد على شخصية المتكلم ، وبالمقابل فإنّ للمستمع أثراً مهماً في تحديد ملامح الحِجاج .

وقد أكد (بيرلمان) أنّ الحِجاج متغير بحسب تغير الشخص[٣]، وقد نقل الجاحظ لنا أهمية الموازنة بين المعاني والسامعين ، قال : ((ينبغي للمتكلم أنْ يعرف أقدار المعاني ، ويوازي* بينها ، وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))[٤]، أي لكل مقامٍ مقال .

فالحِجاج يستعمل مقدمات ، ومسوغات انطلاقاً من طبيعة المستمع كالثقافة والمنزلة العلمية والاجتماعية والعمر والمعتقدات الدينية والأخلاقية ، وسبل التعامل مع الآخرين[٥] .

---

[١] ينظر : حِجاج التمثيل في الآداب السلطانية (مقاربة تداولية) لكتاب كليلة ودمنة ، لابن المقفع: ٩١ – ٩٢.

[٢] ينظر : نفسه : ٩٨ .

[٣] ينظر : في اللسانيات التداولية مع محاولة لتأصيله في الدرس العربي القديم: ١٠٧ .

[٤] البيان والتبين: ١ / ١٣٨ .

* الصواب : (يوازن) .

[٥] ينظر : الحِجاج في النص القرآني " سورة الأنبياء أنموذجاً " (رسالة ماجستير) : ٦١ – ٦٢ .

وعليه فإنّ الحِجاج التداولي يكمن في استعمال بنية لغوية معينة تتحكم فيها عوامل داخلية ، أو خارجية للنص ، تدفع المتلقي إلى تحليل ذلك ، وبناءً على ذلك يمكن القول: إنّ الحِجاج يستمد قوته ومكانته من موضعه داخل الخطاب وما يتحمله القول ، ولهذا أولتْ اللسانيات الحديثة الحِجاج أهمية فائقة لدى علماء التداولية الذين يهتمون بدراسة الملفوظ داخل السياق[١] .

٢- المقاربة الاستنتاجية (الاستدلالية) :

تُعدّ المقاربة الاستدلالية تابعة للمقاربة الترميزية ، وتُطرح بواسطة مؤشرات يقدمها المتكلم حتى يستطيع المستمع الاستدلال عليها، على وفق مجموعة من الأدوات والآليات والإمكانيات التي تساعد الباحث للوصول إلى مغزى المفهومية للنص ، وهنا يتضح أنّ العملية الاستدلالية غير برهانية ، إذ ينطلق المؤول فيها من صياغة فرضية ما ، انطلاقاً من المؤشرات المقدمة ، فالعملية الاستنتاجية شكل من أشكال الاعتقادات وهي معقدة تحتاج إلى تفسير وتدقيق ، ما دام المعيار ليس الصحة المنطقية[٢] .

وفي هذا السياق يرى (غرايس) : أنّ ((المتواضع عليه يتطور انطلاقاً من استدلال طبيعي ، إذ هناك مستوى الخبر الذي يمكن أنْ يتعلق بشيء ، وهناك مستوى ثانٍ مكون عن الخبر يمكن الوصول إليه عن طريق عمليات استدلالية بواسطة طرائق منطقية تداولية تسمح باكتشاف المعاني الضمنية التداولية ، وتقوم هذه المقاربة الاستدلالية على ثلاث أفكار)) هي[٣] :

١- إنّ المعنى المراد من القول هو في الغالب ضمني .

٢- إنّ الوصول إلى المعنى المراد يتم عن طريق حساب استدلال تثيره عوامل تداولية مبنية على مبدأ التعاون وقواعد الحوار التي وضعها (غرايس) .

٣- إنّ المعلومات السياقية ضرورية .

والمتأمل في نصوص الميزان يجد أنّ السيد الطباطبائي بنى فيها أطروحاته بناءً حِجاجياً ذُكرتْ في مواضع قرآنية عقائدية وسياسية وأخلاقية واجتماعية ، سعى فيها إلى الخوض ومحاججة خصومه نحو تأصيل الحقيقة، لذلك نرى أنّ نصوصه توافرت فيها مقومات النص الحجاجي بنيةً وأسلوباً.

---

[١] ينظر : الحِجاج في النص القرآني " سورة الأنبياء أنموذجاً " (رسالة ماجستير) : : ٦٢ .

[٢] ينظر : حِجاج التمثيل في الآداب السلطانية(مقاربة تداولية) لكتاب كليلة ودمنة ، لابن المقفع : ٩٩- ١٠٠ .

[٣] المصدر نفسه : ٩٩ – ١٠٠ .

ونجد في بعض نصوصه عرضاً مباشراً وصريحاً؛ لأنّها ذات مرجعية دينية يسعى إلى إثباتها، وينطلق أيضاً من عرض الرأي المخالف ثم يدحضه بالحُجة والبرهان ، أو يوافقه معتمداً في ذلك مجموعة من الحجج نحو تأصيل الأطروحة المدعومة انتهاء بالنتيجة ، أو الاستنتاج الذي هو بمثابة الحقيقة التي تنتصر لموقفٍ معين .

- **مفهوم التداولية :**

لكل دراسة حديثة أو قديمة معرفة أولية بسيطة تساعد على الإحاطة بالموضوع من جوانبه جميعها وفهمه فهماً صحيحاً قائماً بنفسه على اللغة والاصطلاح لمفهوم المفردة المدروسة .

فالتداولية لغةً : من دال يدول دولاً إذا صار شهرةً، والتداول: الانتقال من حال إلى حال، ودالت الأيام أيّ دارت، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة[١] .

يلحظ من ذلك أنّ المعجمات اللغوية لا تخرج في دلالاتها للجذر (دول) عن معاني: التحول والتبدل والانتقال، سواء أ كان من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخر ؟ مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في الفعل، وهذا حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم إلى حال آخر لدى السامع، ومتداولة بين الناس، ولذلك كان مصطلح "تداولية" أكثر ثباتًا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذرائعية والنفعية[٢] .

أما التداولية اصطلاحاً : فقد قدّم الفيلسوف (تشارلز موريس) سنة ١٩٣٨م تعريفاً للتداولية، وهو أوّل من استعمل مصطلح التداولية، إذ يراها : ((دراسة علاقة العلامات بمفسريها))[٣]، وعرفتها الدكتورة (نادية النجار) بأنّها:((فرع لساني يعنى بدراسة التواصل بين المتكلم والمتلقي))[٤].

---

[١] ينظر : لسان العرب (دول): ١١/ ٢٥٢ ، وينظر : القاموس المحيط (دول): ٣/ ٩٥ ، وأساس البلاغة : ١/ ٣٠٣ .

[٢] ينظر : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ١٢٠ .

[٣] التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٢٩ .

[٤] الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ٩ .

يتضح لنا أنّ معظم من اشتغل في هذا المضمار لم يبتعد كثيراً عمّا جاء به (موريس) من تعريف للمصطلح التداولي ، وعلى هذا فهي تعني بمنتجي اللغة لا باللغة فقط ؛ ذلك أنّ اللغة نشاطٌ كلاميٌ تتحكم فيه مجموعة من الضوابط الذاتية والموضوعية فأي((تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة))[١] .

وعرّفها (طه عبد الرحمن): ((تداول الناس كذا بينهم ، يفيد معنى تناقله الناس وأداروه فيما بينهم ومن المعروف أيضاً أنّ مفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة فيقال نقل الكلام عن قائله بمعنى رواه عنه ، ويقال دار على الألسن بمعنى جرى عليها ، فالنقل والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل ، وفي استخدامها التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين فيكون التداول جامعاً بين اثنين هما التواصل والتفاعل فمقتضى التداول يكون القول موصولاً بالفعل))[٢] .

ويتضح من ذلك أنّ التداولية ليستْ علماً محضاً بالمعنى التقليدي يكتفي بالوصف والتفسير ، وإنما هي علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال .

وأورد الدكتور (مسعود صحراوي) تعريفاً ينمّ عن إلمامه بالمنهج التداولي المعرفي المتطور، فيقول:((التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي وتصير التداولية من ثمّ جديرة بأنْ تُعرّف بأنّها علم استعمال اللغة، وقد نقول في تعريفها: إنّها نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية))[٣] .

فيما ذكرها الدكتور (صلاح فضل) بتعبير غير محدد ممّا يضفي عليها طابع العمومية فهي عنده ممارسة للحوار بين المخاطِب والمخاطَب تواصلاً بينهما مستعملين وسائل معينة للتأثير على بعضهما[٤] .

ونخلص ممّا تقدم أنّ التداولية طريقة للتواصل بما يحمله طرفا الخطاب من مرجعيات ثقافية من شأنّها تقوية ذلك التواصل، وهي تتجاوز أيضاً الوصف التركيبي للجملة .

---

[١] تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: ٨ ، وينظر : الخطاب القرآني دراسة في البُعد التداولي : ٢٠ .

[٢] تجديد المنهج في تقويم التراث : ٢٤٤ .

[٣] في الجهاز المفاهيمي للدرس اللغوي بحث ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة) :٣٢.

[٤] ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: ٩٧- ٩٨ .

- **علاقة التواصل بالنص الحِجاجي :**

يُعدّ النص الحِجاجي مختلفاً في بنائه عن بقية النصوص ؛ لأنّه يُبنى بناءً تفاعلياً مدعوماً بأدوات ووسائل تُسهم في دعم الأطروحة التي يدافع عنها المُحاجج ، ودحض الرأي المخالف الذي يناقض أطروحته ، وكيفية توظيفه لهذه الأدوات والوسائل لغرض الإقناع والتأثير ، ويأتي هذا الاختلاف من جهة هدفه الذي يمكن عدّه برهانياً ، فإذا كان قصده معلناً واستدلاله واضحاً وأفكاره مترابطة أصبح هدفه الإقناع ، إقناع المتلقي بوجهة نظر ما ، من خلال تتبع الأسباب للوصول إلى النتائج .

فالنص الحِجاجي يُعدّ : ((نصاً مترابطاً متناغماً ، يقوم على وحدة معينة لا تكون بالضرورة واضحة جلية بل قد تأتي على نحو خفي لا نكاد نلمحه ، وضع لإقناع المتلقي بفكرة ما أو بحقيقة معينة عن طريق تقنيات مخصوصة))[١] .

ويوصف النص الحِجاجي أنّه نص تقويمي ، والقيمة مفهوم يستنبط ممّا يقوله الناس ويفعلونه ، فالنص الحِجاجي عند (دو بوجراند ودرسلر) ، وبعض الباحثين نص مؤلَف لتقوية القبول ، أو تقويم معتقدات وأفكار[٢]، وعليه فإنّ هناك ضوابط للنص الحِجاجي لمن أراد إقناع الآخر أنْ يلتزم بها[٣]، وهي :

- أنْ يكون الحِجاج ضمن إطار الثوابت الدينية والعرفية ، فليس كل شيء قابلاً للحِجاج .
- أنْ يكون النص ملائماً للسياق العام .
- ينبغي أنْ يتحلى المحاجج بالأمانة والمصداقية ؛ ليكون موضع ثقة واحترام .
- أنْ تكون دلالة الألفاظ ومراجع النص الخطابي محدودة .
- أنْ يخلو خطابه من الإيهام* ، والمغالطة* ، والجدل* ، واللجاج* ، والمراء* .

---

[١] الحِجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: ٢٦ .

[٢] ينظر: النص الحِجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع بحث ضمن كتاب (الحِجاج مفهومه ومجالاته) : ٢ /٨ .

[٣] ينظر : أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي ، تنظير وتطبيق على السور المكية: ٤٢- ٤٣ .

*الإيهام : ((ويقال له: التخييل أيضًا، وهو أن يذكر لفظٌ له معنيان: قريب، وغريب)) ، *المغالطة : ((قول مؤلف من قضايا شبيهة بالقطعية أو بالظنية أو بالمشهورة)) ، *الجدل : ((دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحُجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة))، *اللجاج : ((التمادي في العناد في تعاطي الفعل المزجور عنه)) ، *المراء : ((طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير)) ينظر : تجليات الحِجاج في القرآن الكريم سورة يوسف – أنموذجاً- (رسالة ماجستير) : ١٢ – ١٦ .

وممّا لا شكَ أنّ غاية الخطاب الحِجاجي هي الإقناع ، ويقتضي الخطاب الذي يوجه إلى متلقٍ معين ، وفي مقامٍ معين أنْ يكون مناسباً من حيث المقام والوظيفة ، ومن أهم الأعمدة التي تجعل ذلك الخطاب ناجحاً هو صدق الحِجج والنتائج التي يحملها ذلك الخطاب ، ومطابقتها للواقع ، فالتأثير والإقناع في النص الحِجاجي منوطٌ بما يحمله من لغةٍ قادرة على التأثير مع مراعاة لزمن التلفظ .

وتقوم عملية الإقناع على مبدأ إرادة المتكلم التأثير في المخاطَب ، القصد منها إحداث الفعل أو تركه ، ويكون هذا الخطاب ناجحاً إذا تحققتْ هذه الإرادة[١]، وكذا إذا توافرت مجموعة عوامل تزيد من قوة النصوص الحِجاجية[٢]، ومنها .

- حسن ترتيب الحِجج .
- تناغم الأفكار ، وحسن التخلص من فكرة إلى أخرى .
- الاستشهاد بالشواهد القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأبيات الشعرية .
- الاستشهاد بالقوالب الجاهزة كالحِكم ، والأمثال ، والجمل الوعظية والإرشادية .
- الاستعانة بالصور البلاغية كالتشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة ، والكناية ، والتعريض .
- الاستعانة ببعض الأساليب اللغوية كالتكرار ، والترادف ، والتضاد .
- تهيأة ذهن المتلقي طول مدة التلقي لتقبل النص الحِجاجي .

ولابدَّ أنّ يكون لهذا النص الحِجاجي غاية هي التي تدفع المتكلم إلى صياغة وإنتاج خطاب يتلاءم مع الموقف المنشود، إذ يهتم مؤسس الخطاب بالمتلقي في كل مراحل خطابه ، محاولاً قدر استطاعته أنْ يغير من قناعة متلقيه ، فليستِ الغاية من الخطاب هي رفع الغموض ، وبيان الحقيقة ، بل يكون هدفه الأول هو إقناع المتلقي بها[٣] ، فلابد من خصائص تجعله ينماز عن بقية النصوص وهي[٤] :

- **القصد المعلن** : أي البحث في إحداث أثر في المتلقي ، أي قناعته .
- **التناغم** : أي يقوم على منطق في كل مراحله ، ويوظّف بدقة بما يحدثه من تأثيرات .
- **الاستدلال** : هو السياق العقلي ، أي التطور المنطقي ؛ لأنّه قائم على البرهنة .
- **البرهنة** : على أساسها ترتب الحِجج ، وكلّ تقنيات الإقناع .

---

[١] ينظر : الحِجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية: ٣٨ .

[٢] ينظر : الحِجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) (أطروحة دكتوراه) : ٤٥ .

[٣] ينظر : الحِجاج في الشعر العربي ، بنيته وأساليبه : ٦٧ .

[٤] ينظر : المصدر نفسه : ٢٦ – ٢٧ .

وهذه الخصائص التي تُميّز النص الحِجاجي تقودنا إلى تحديد ملامح الحِجاج التي وضعها (بيرلمان وتيتكا) ، وهي تتمثل في[١] .

- أنْ يتوجه إلى مستمع .
- أنْ يعبر عنه بلغة طبيعية .
- أنّ مسلماته لا تعدو أنْ تكون احتمالية .
- أنْ لا يفتقر إلى ضرورة منطقية .
- أنْ لا تكون نتائجه ملزمة .

وكلُّ هذا يدل على اتساع هذه العملية لتشمل المتكلم والمتلقي ، وهذا ما أكده (باتريك شار ودو) بقوله : ((الحِجاج حاصل نصي من مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي))[٢]، وبالنظر إلى التواصل الحِجاجي الحاصل عن طريق النص يكون الحِجاج كما يأتي :

١- ((بذل الجهد لغاية الإقناع ، إنه طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقي إلى القضايا التي تعرض عليه أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة))[٣] .

٢- ((بمثابة استدلال موجه لتأكيد قضية معينة أو دحضها أو تنفيذها))[٤] .

٣- ((كلّ منطوق به موجه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها))[٥].

وهذا يعني أنّ الحِجاج خطاب يتولد من رحم الاختلاف حول قضية ما ، يقوم المتكلم بإقناع المتلقي عبر سلسلة من الأقوال، إذن الحِجاج ليس كأيّ خطاب، فهو ما اقترن به قصدان: الادعاء ، والاعتراض[٦]، ويُبنى النص الحِجاجي في شكله الرئيس على ستة مكونات هي[٧] :

---

[١] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٥٨ .

[٢] الحِجاج بين النظرية والأسلوب من كتاب نحو المعنى والمبنى: ٤٩٦ .

[٣] الحِجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة : ٣ .

[٤] التداولية والحِجاج مداخل ونصوص: ٦٨ .

[٥] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٢٦ .

[٦] ينظر : الأسلوب الحِجاجي في القرآن الكريم " سورة الكهف أنموذجاً، للطالبتين : (رسالة ماجستير) : ١٢ .

[٧] ينظر : النص الحِجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع بحث ضمن كتاب (الحِجاج مفهومه ومجالاته) : ٧/٢ .

١ـ الدعوى : نتيجة الحِجاج ، وهي مقولة تستهدف استمالة الأخرين ، تذكر الدعوى صراحة، وقد تُضمر .

٢ـ المقدمات : تقرير يصنعه المجادل عن أشخاص ،أو أحوال ،أو أحداث وينبغي للمقدمات أنْ ترتبط ارتباطاً منطقياً حتى تصلح لتدعيمها.

٣ـ التبرير : بيان للمبدأ العام الذي يبرهن على صلاحية الدعوى وفقاً لعلاقتها بالمقدمات .

٤ـ الدعامة : كل ما يقدمه المجادل من شواهد وإحصاءات وأدلة وقيم ، حتى يجعل المقدمات والتبريرات أقوى مصداقية عند المستقبل .

٥ـ مؤشر الحال : كل ما يقدم من تعبيرات تظهر مدى قابلية الدعوى للتطبيق ، نحو : من الممكن ، من المحتمل على الأرجح إلخ .

٦ـ التحفظات : هي الأساس الذي ينهض عليه الحكم بعدم مقبولية الدعوى .

وعندما يروم المُحاجج إعداد نصٍ حِجاجي ناجح ينبغي له أنْ يعني بـ :[١] .

- يبدأ أولاً بتحضير حِججه .
- يتخير من الألفاظ ما يناسب عقلية المتلقي .
- يتخير مقدمة مقبولة .
- يرتب حِججه على وفق سلّم حِجاجي .
- تُعتمد آلية فنية في صياغة المحسنات البلاغية ؛ لاستثارة عواطف المتلقي .
- يهتم بالهيأة وطريقة الإلقاء ، ومراعاة المقام .

بمعنى أنّ الخطاب الحِجاجي لا يتوقف على المكونات المجسدة، أو المقولات التي تستوي فعلاً على سطحه، فهو في الأصل مبني على قضايا ضمنية، كالنيات والمقاصد والمعاني المتضمنة في القول إلى غير ذلك، فهذه الأشياء هي المقصودة من التحليل، والمؤوّل لابدَّ أنْ يأخذ هذا الأمر بالحسبان.

[١] ينظر : الحِجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) (أطروحة دكتوراه) : ٤٣ .

فإذا أردنا أنْ نحلل الخطاب تحليلاً حِجاجياً ، فما علينا إلا استثمار الآليات الإجرائية المختلفة التي تتمتع بها التداولية، وهي كثيرة، وقادرة على إضاءة أكثر من جانب من الجوانب المختلفة للّغة، ومن ثمّ يمكن الاستناد إلى مزايا التأويل التداولي والافتراضات والمعرفة المشتركة وسياق التداول، وتوظيفها في حلّ الإشكالات التي يمكن أنْ تعترض عملية تفكيك الخطاب وتأويله، والوقوف على مكوناته ومرجعياته المختلفة، والانتقال به من مستوى المعاني الحرفية إلى مستوى آخر يتمثل في المعاني الإنجازية المتضمنة في القول، والمعاني المرتبطة بالمتكلّم ومقاصده ونياته، وما يرافق ذلك من حجج واستدلالات تهدف إلى التأثير في قناعات المتلقي، في حوارات مبنية على قواعد التخاطب، فضلا عمّا يقدّمه مفهوم العمل والإنجاز اللغوي في محاولة التأثير في الواقع الخارجي وهذا ما يسمى بالمقاربة التداولية[١] .

ويخلص ممّا تقدم إلى أنّ النص الحِجاجي نص برهاني يحدد فيه صاحبه فكرته ؛ لإقناع المتلقي بما يعتمده من أمثلة حسية توضيحية من بين كثير من الأمثلة ، فضلاً عن حسن ترتيب الأفكار وتلاحقها مفصلة واضحة موصولة ببعضها ، ومن ثم حسن الانتقال والتخلص من فكرة إلى أخرى ، وقدرته على توظيف بعض الصور البيانية كالتشبيه والتكرار والعبارات المترادفة ، أو المتضادة يعرض فيها المحاجج فكرته التي يحاول أنْ يقنع بها الجمهور ويستميلهم لتغيير سلوكهم[٢] .

- **الأثر التداولي في النص الحِجاجي :**

إنّ دراسة التداولية التي تناولت النص الحِجاجي تمحورت على وفق آليات ضمن نجاح وفعالية النصوص، إذ إنّ الحِجاج التداولي يركز عنايته على جانب الخطاب ، والإجابة على التساؤلات ، والإشكاليات التي تحيط بالعملية التخاطبية[٣] .

وهنا يفترض وجود متكلم ومتلقٍ حيث يكون قصد أحدهما التأثير في الآخر ، ويتم ذلك عبر مستويات ، ذلك أنّ الحِجاج ظاهرة متجسدة في الخطاب وبه يتحقق ، فهو متعلق لسانياً وأسلوبياً ، فإذا أردنا مقاربة المستوى الأسلوبي ، والمستوى البنائي (الاستدلالي) ما علينا إلا النظر في نظرية أفعال الكلام ، إذ إنّ لها مرجعية مقالية ومقامية مشتركة بين المخاطِب والمخاطَب[٤] .

---

[١] ينظر : من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي ، تبسيط التداولية: ٨٦ .

[٢] ينظر : النص الحِجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع بحث ضمن كتاب (الحِجاج مفهومه ومجالاته) : ٢ / ٨-٩.

[٣] ينظر : النظرية الحِجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: ٩٤ .

[٤] ينظر : الاستدلال الحِجاجي التداولي وآليات اشتغاله (بحث) : ٦٩ .

وعلى هذا يَعد الحِجاج مبحثاً من مباحث التداولية ؛ لارتباطه بالأفعال الكلامية من جهة ، وبالمتكلم والمتلقي من جهة أخرى ، وهو يهدف إلى التأثير في المتلقي ، إمّا لتدعيم رأيه ، أو لتغيير رأيه بتبني موقفٍ جديدٍ ، فضلاً عن ذلك إنّه يؤدي إلى حصول عمل ما ، أو الإعداد له ، ومن ثم تكون الخطابات الحِجاجية المختلفة هي من صميم الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية ، وعلاقة الترابط بالأقوال التي تنتمي إلى البنية اللغوية الحِجاجية[١] .

فعلاقة التداولية بالحِجاج، أنّ الحِجاج: ((فعالية تداولية جدلية ، فهو تداولي ؛ لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة، ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة عملية إنشاءً موجهاً بقدر الحاجة))[٢].

ولما كان الخطاب الحِجاجي يخضع ظاهرياً وباطنياً لقواعد وشروط القول والتلقي، فهذا يعني انتماء القول أو النص الحِجاجي إلى مجال التداوليات التي ((تجعل البعد الحِجاجي أصلاً تهتم به، قبل أن تهتم بالبعد التواصلي، فالقول حِجاجي في مستواه الأول قبل أنْ تكون له مهمة تواصلية))[٣] .

ويمكن أن تلتقي التداولية بالحِجاج عن طريق وظيفة كل منهما؛ لأنّ التداولية تعني بالسلوك الإنساني التواصلي، وبالمقابل((فإنّ الحِجاج ليس له صلة إلا بمعرفة تحاول أنْ تحلل التجربة الإنسانية من خلال بعض عمليات التفكير))[٤] .

فالمقاربة الخطابية الحِجاجية تهدف إلى تحقيق مبدأ الإقناع في عملية تبادل الحِجج بين المتكلم والمتلقي لإنتاج العملية التواصلية ، فالتصور التداولي الحِجاجي هو العمل على تحديد دور كل بنية في الخطاب الحِجاجي بحيث تتجانس بعضها مع بعضها الآخر مع محاولة لتقنين العلاقة بين كل من المقدمات والنتائج[٥]، وعليه فإنّ للحِجاج التداولي مفاهيم للبناء وهي[٦] :

---

[١] ينظر : الحِجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (رسالة ماجستير) : ٣٧ ، والتداولية والحِجاج مداخل ونصوص : ٤٧.

[٢] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام : ٦٥ .

[٣] الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب: ٤٨ ، والاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله (بحث) : ٦٨.

[٤] الحِجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى : ٥ .

[٥] ينظر: البُعد التداولي في الحِجاج اللساني بحث ضمن كتاب (الحِجاج مفهومه ومجالاته) : ٢/ ٢٣٨-٢٣٩ .

[٦] ينظر : المصدر نفسه: ٢/ ٢٤٠-٢٤١ .

١- **وجهة النظر** : إنّ عملية الادعاء ، أو الاعتراض هي تأسيس المطلوب كوجهة نظر بوصفها معاني حِجاجية غالباً ما يشك المستمع بالقبول بها، فالحِجاج هاهنا هو السعي إلى إقناع المخاطَب المرتاب أو المعترض بقبول الدعوى المعروضة بعدها وجهة نظر المتكلم .

٢- **القضية** : إنّ العملية الحِجاجية هي في الأصل عبارة عن قضية ، أو مجموعة من القضايا يتم الادعاء بها ، وأيضاً الدفاع عنها .

٣- **العرض** : إنّ الحِجاج بحسب التداولية الحِجاجية استعمال لمجموعة من التقنيات لتبرير القضايا المطروحة من طرف المتكلم التي تمّ التعبير عنها في وجهة النظر المعروضة .

٤- **الاعتراض** : إنّ التحاجج يفرض بالضرورة وجود اعتراض على وجهة نظر المتكلم ، إذ يتم الدفاع ، أو دحض أطروحة من الأطروحات ، والاعتراض عليها بهدف الوصول إلى صدق ، أو كذب القضية المعروضة .

إنّ هذا التصور الجديد يكشف البعد الحِجاجي للغة الطبيعية الذي كان مغيباً في الدراسات السابقة التي وقفت عند مستوى الإخبار فقط ، فهذه المستجدات جزءٌ من اشتغال الحِجاج اللساني معولاً على أدوات تحليلية طبيعية لا برهانية صورية ، أي الانتقال من الجزء إلى الكل ، ومن الخاص إلى العام في اللغة .

وقد تجسدت هذه الفكرة في الميزان الذي تضمن أمورًا أرادها السيد الطباطبائي ، ممّا ساعدت على تحريك مشاعر المخاطَب، وفي ضمان شروط التواصل ممّا جعله آلية النفاذ إلى النفس والقلب معاً، وتحقيق القصد من وراء الأقوال ، وللخطاب من هذا النوع خاصية في استمرارية الحوار بين المخاطِب ، والمخاطَب المعترض الذي يُراد به المخاطَب الضمني الذي هو القارئ ، وهو تحريك بعض مشاهد الحوار ، أو تجسيدها ، أو الاستدلال على الرأي المطروح بقول صاحبه ، أو إفصاحه عن حاله، وفي كل هذا إقناع المخاطَب عن طريق مشهد خطابي تحاوري يدعو المخاطَب إلى استنتاج ما أراد المخاطب الوصول إليه، ووضعه في الصورة، ليصل في الأخير إلى الحقيقة المقنعة بالطرح والتصور المعروض ، وهذه بعض من خصائص تفسير الميزان بعدّه جزءًا من خطاب خالد تمحور على وفق آيات القرآن الكريم التي ستظهر بالتحليل الحِجاجي للآيات .

- **المؤثرات التواصلية الحِجاجية عند السيد الطباطبائي في تفسيره :**

لقد مرّ السيد الطباطبائي بمجموعة من المؤثرات ، أدتْ به أنْ يكون بهذا المستوى الحِجاجي ، وقد تركتْ الأثر الأكبر في حياته وتعاملاته وأقواله وكتاباته ، وغيرها من الأمور الشخصية ، وعن طريق التتبع والاستقراء وجدنا مركزية هذه المؤثرات وخصوصيتها المتمثلة في مجموعة من النقاط الآتية على صعيدين ، الأول على صعيد **المؤلّف** ، والثاني على صعيد **التفسير** :

أولاً : المؤلّف :

لقد تمثلت المؤثرات التواصلية الحِجاجية عند المؤلِف بما يأتي :

١- الأسرة والبيت العلمي أخذ بيده إلى أسباب العلم والمعرفة فقد نشأ السيد الطباطبائي في ظل نمط علمي خاص، ونظام تعليمي معيّن، يُعرف بنظام الحوزة، وبمرور الزمن تطور هذا النمط من التعليم وأصبح متميزاً في مراحله الدراسية، ممّا أدى إلى تطلعاته على المستويات جميعها ولا سيما المستوى التواصلي[١] .

٢- البيئة وأثرها على شخصيته سواء أ كانت من حيث بُعدها الجغرافي أم من حيث بُعدها المعنوي والمعرفي ؟ وقد شاء الله تعالى للسيد الطباطبائي تنوعاً بيئياً، فأُريد له أنْ تسير حياته في ضمن محطات بيئية ارتادها السيد الطباطبائي من الولادة إلى الوفاة ، فقد ولد السيد الطباطبائي في التاسع والعشرين من ذي القعدة من سنة ١٣٢١هـ - ١٩٠٢م في قرية (شادكان) التابعة لمدينة تبريز في إيران ، وكان ذكيّاً فطناً ممّا أهّله لإكمال مرحلة المقدمات في تبريز ، وقد أتمّها في ست سنوات، ثم انتقل إلى النجف الأشرف ليتمّ دراسة المرحلة الثانية ؛ وهي المعروفة بالسطوح لدراسة متون الكتب الموضوعة في الفقه الاستدلالي وأصول الفقه ، فأتمّها في سبع سنوات ، بعد حصوله على درجة الاجتهاد عاد إلى قم المقدّسة وعقد حلقات الدرس في الفلسفة والتفسير والعرفان فتنبه طلاب العلوم على ما لديه من علوم ثرّة في مجال تخصصه[٢]، وهذه الخاصية التي أضفتْ عليه بأنْ يكون متطلعاً وعارفاً في كثير من أمور المواجهة التي ساعدته على الإبداع في تفسيره ، وإقناع المتلقي ، وإبداء صور التواصل .

---

[١] ينظر : التفسير والتفاسير الحديثة: ٤٧ .

[٢] ينظر : الدرس النحوي في تفسير الميزان (رسالة ماجستير) : ٧ .

٣- المنهل العلمي الذي نهل منه السيد الطباطبائي الذي كان له أثرٌ البارز بأنْ يلازم الآراء المختلفة ويطلع على أفكارهم ومن ثم مناقشتهم ، وهذا ما تُوج به تفسير الميزان ، وجعل نصه تواصلياً وحِجاجياً[١] .

٤- الآثار العلمية والمؤلفات التي ألفها السيد الطباطبائي خلال مسيرة حياته ، في العلوم والمعارف جميعها وعلى مستوى المدن الثلاث التي عاش فيها ، منطقة الولادة ، ومنطقة الدراسة النجف الأشرف ، ومنطقة الاستقرار والتدريس ، فقد توزعت كتاباته بين الفقه ، والأصول ، والكلام ، والفلسفة ، والتفسير ، والأنساب ، والرياضيات ، والخط ، وغيرها كتعليقه على بعض أجزاء كتاب (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي- رحمه الله - فهذا واضح للعيان أنّه أراد أنْ يكون بهذا المستوى التخاطبي والتواصلي لأفراد المجتمع جميعها وهذا ما يسمى بالحِجاج التداولي[٢] .

٥- ما قاله العلماء في حقه يعد ذلك ميزة انماز وانفرد بها السيد الطباطبائي على أنّ نصه كان بالمستوى المطلوب الذي وصل إلى أفكار العالِم ، المتعلم على سواء ، فهو أحد كبار المحققين والمفكرين المبدعين صاحب مكانة مرموقة وآثار مشهودة ، حتى أنّه كان محطّ اعتناء المفكرين والباحثين ، فقال عنه مؤلّف كتاب مطارحات في قضايا قرآنية السيد محمد الحسيني : ((في مقتبل الدّراسة ... أخذت بالتوسع في قراءتي للتفاسير المشهورة ، التي أعجبني منها بشكل ملحوظ تفسير (الميزان في تفسير القرآن) للمرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي الذي لم يكن مقلداً في تأملاته الفكرية))[٣]، وقيل عنه أنّه الشخصية الفذة والعلمية الواسعة في تنوع المباحث التي يتبناها في طيات تفسيره بما ينسجم ومضامين النصوص القرآنية ، ولاسيما المباحث الفلسفية والعرفانية ، فضلاً عن الروائية والتاريخية والعلمية وغيرها ، إذ قال : ((هذا هو البحث الفلسفي ، وذاك هو البحث العرفاني للمسألة ميزة السيد الطباطبائي أنّه مزود بهما كأدوات ، وكمنهج ، وكقواعد تامة في محلها ، وعندما يأتي إلى القرآن يأتيه وعنده مصباح ينير له الطريق ، عندما يجلس بين يدي القرآن يكون أمام مفترق طرق ، فهذا احتمال يفضي به إلى طريق ، وذاك احتمال آخر ويفضي به إلى طريق ثانٍ وثالث وهكذا، هنا يأتي دور المصباح الذي تزود به، فهو الذي ينير له الطريق))[٤]، وهذا كله كفيل بأنْ يكون نصه بالمستوى الحِجاجي المطلوب .

---

[١] ينظر : مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي: ٣١-٣٣ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه : ٣٣-٣٤ ، وتطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية:١٦٠.

[٣] ينظر : مطارحات في قضايا قرآنية دراسة في تفسير " من وحي القرآن " للسيد فضل الله في سياق مناهج التفسير السائدة :١٠ .

[٤] أصول التفسير والتأويل مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين: ١٧ .

٦- ما عمله السيد الطباطبائي في مجال التأثير الاجتماعي في مجال الفكر والأخلاق، وفي إحياء العلوم العقلية ، وتربية جيل من العلماء في علوم الفلسفة والكلام وغيرها ، وتأليف الكتب باللغتين العربية والفارسية بمستويات عدّة تتناسب مع إفهام الخاصة والعامة، وهذا أدى إلى تعددية تلاميذه بصور ملفتة للنظر ممّا كان له الأثر البالغ في عملية التواصل مع الآخرين[١] .

ثانياً : التفسير :

لقد تمثلت المؤثرات التواصلية الحِجاجية في تفسيره بما يأتي :

١- تسمية الميزان بهذا الاسم ، فيه دلالة واضحة على كثرة ما عرض فيه من آراء وأقوال المفسرين وغيرهم، وتعرّضه لها بالمناقشة فكان كثيراً ما يوازن ويرجح بين الآراء السابقة عليه في الموضع الواحد مؤيداً لبعضها ورافضاً بعضها الآخر))[٢]، وهو لا يتحرج في ردّ ذوي الآراء المخلة في التفسير بسبب الوهم ، أو الجهل ، أو اللّبس في المناقشة العلمية بالأدلة والحجج ، وهذا ما جعل أقوال العلماء تترى مادحةً بهذا الكتاب والمذاهب جميعها[٣]، وهذا المعنى الحقيقي للحِجاج التداولي التواصلي بين أفراد المجتمع .

٢- تفسير القرآن بالقرآن : أنّ السيد الطباطبائي يعرض لنا في الموضع الواحد أكثر من نظير له في القرآن الكريم ، وفي هذا السياق يرى صاحب الميزان أنّ الدلالة على مفاهيم القرآن ، إنّما هي من ذات القرآن ، وليس من خارجه ؛ لأنّه تبيان لكل شيء ، إذ يقول : ((وحاشا أنْ يكون القرآن تبياناً لكلّ شيء ولا يكون تبياناً لنفسه))[٤] .

٣- عرض المعنى العام ، والمجمل للسورة أي السياق والمقام : فالسيد الطباطبائي يشير في مقدمة أي سورة إلى مكيها ومدنيها والمعنى العام، ثم يشرع في تفصيل المجمل في أثناء تفسيره لها، وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، ويتحدث عن جمع القرآن، والروايات المتعلقة بذلك ، ويتحدث عن إعجاز القرآن، والتحدي بالبلاغة، ويعتني بفواتح السور وخواتيمها، إلى غير ذلك ، وهذا كله له علاقة بحِجاجية النصوص وأنواعها .

---

[١] ينظر : الميزان في تفسير القرآن: ١ / ١٧ .

[٢] مواقف ورجال (الفيلسوف الإسلامي السيد محمد حسين الحسني الطباطبائي – مؤسس مدرسة جديدة في تفسير القرآن) (بحث) : ١٧.

[٣] ينظر : الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان: المقدمة : ج ١ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١٤/١.

٤- العناية بالسياق والمقام : فهو يعتني بتتبع السياق والضمائر، ووجهة الخطاب والمخاطَب والمقامات وأنواعها مما يوليه المحدثون عناية خاصة في الدراسات الحديثة سواء الدينية، أم اللغوية أم البلاغيّة .

٥- عنايته بفنون البلاغة : فالباحث المتتبع لا يكاد يمر بآية إلا ويجد تعليقاً للمفسر من ناحية بلاغية في علم المعاني أو البيان أو البديع .

٦- عنايته بآراء المفسرين : حينما يقابل بين الآراء ، ويناقشها ، ويرجح فيما بينها الأقرب إلى كتاب الله وأسلوبه وبيانه، ولم يكنْ وقفاً على كتب الإمامية، بل ضم إلى جانب ذلك كثيراً من كتب أهل السنة وهذا يكشف عن أحد جوانب موضوعيته ونظرته المعتدلة وعن رغبته في استيفاء البحث مادته من دون إهمال لآراء الآخرين ، كذلك أفاد من مدرسة التفسير في العصر الحديث ، ويعدُ متأثراً بمدرسة علم الكلام ، ومعالم الفلسفة[١] .

٧- عُني بتفسير ما روي عن بعض الصحابة والتابعين تنويراً لموضوع البحث الذي يراد الخوض فيه ، والابتعاد عن الرأي والاستحسان من جهة ، وعن العواطف والأهواء من جهة أخرى ، فكان موضوعياً يهدف إلى بيان الحقيقة واستجلاء الرأي وناقلاً بإخلاص إلا أنّه قد يرجح قولاً على قول ، وقد يناقش بعض الأقوال ، وقد يستعين بالرأي على الرأي الأخر، وقد يؤيد الرواية بالآية تأييداً لبيانه ، وقد يضعف بعض الروايات ، ولا يجد سبيلاً لتصحيحها ، وقد يجد في الروايات مصاديق لتعين المراد والإيحاء به[٢] ، وهذه المسألة بحد ذاتها حِجاجية صرفة لا غبار عليها .

٨- عنايته بالأبحاث الفلسفية ، وكان يروم من بعضها دعم وتأييد معاني الآيات وموضوعاتها القرآنية وقد يفند أحياناً بعض النظرات الفلسفية التي لا توافق القرآن الكريم[٣] .

نستنتج من ذلك أنّه يتفاعل مع النص كلاً وليس مع شواهد مفردة مبيناً أثر المؤكدات في تقوية المعنى، وهذا التلازم يُعد باباً مفتوحاً للدراسات الحديثة التي تؤكد أنّ النص قابلٌ للتأويل، والأطروحات العلمية الرصينة مقترنة بالمقاربة التداولية المحصنة والمقولات اللغوية، إذ يقترب السيد الطباطبائي في تفسيره من الحِجاج في أنّ سلطة المتكلم في الخطاب التي تتم عبر إنجاز الأفعال الكلامية وتأثيرها في المتلقي، والذي يمكن اكتشافه أنّ سمة التفسير هي كلام موجه

---

[١] ينظر : الدرس النحوي في تفسير الميزان (رسالة ماجستير) : ٢٧ – ٢٨ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه : : ١٠ / ٧٨ – ٢٣٠ – ٣٠٦ .

[٣] المصدر نفسه : ٥ .

للمستمعين الخاصة منهم والعامة على حد سواء ، وكذلك مراعاة فيه التيسير الذي من شأنه التلقي المعرفي من دون جهدٍ كبير، فالباحث يجد في مدونة الميزان مادة صالحة للدراسة الحِجاجية في بحث يكون أكثر سعة ؛ لأنّ هذا البحث يبقى قاصراً عن إيضاح كل الآليات الحِجاجية والتداولية التي وظفها السيد الطباطبائي .

الفصل الأول : **الحِجاج التداولي** :

يُركز هذا النمط من الحِجاج على الجانب التداولي في الخطاب ، على أنّ هذا الحِجاج مرتبط بالسياق من جهة، والوظيفة من جهة أخرى، أي بمعنى دراسة اللغة من وجهة لسانية تداولية بالتوقف عند الخطاب الحِجاجي الذي يتضمن في طياته معارف متنوعة ومختلفة يريد المتكلم إيصالها إلى المتلقي من أجل التأثير فيه أو إقناعه، وبهذا يكون الخطاب تداولياً حوارياً من جانب ، وحِجاجياً من جانب آخر[١]، أي إنّ الحِجاج التداولي بمثابة تخاطب وتواصل وتفاعل وإحالة سياقية وحوار بين طرفين : المتكلم والمتلقي .

وقد عبروا عن مصطلح الحِجاج التداولي بأنّه ((تيارٌ ناتجٌ عن التقاء تيارين نابعين من أصلين مختلفين ، ومتداخلين في الآن نفسه : تيارٌ ينبع من أطروحات فلسفية ومنطقية مختلفة ، يمكن جمعها تحت عنوان : (الفلسفة اللغوية) ، وتيارٌ ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب ، ويجتمع التياران في مجال عام مشترك بين اللغويين والفلاسفة والمناطقة وعلماء النفس نضعه تحت عنوان عام جداً هو (الأطروحات البراغماتية)))[٢] .

علاوة على ذلك فإنّ الحِجاج التداولي يتكئ على نظرية أفعال الكلام بوصفها غرضاً رئيساً للتداولية التي تعني بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب ، وبالأفراد الذين تجري بينهم تلك العملية التواصلية ، بغية الكشف عن المقاصد والاستعمالات ومن ثم الكشف عن قوة الإنجاز في المتلقي[٣] .

ويتجلى الحِجاج التداولي أيضاً في الحوار المتمثل بالاستلزام الحواري من جهة ، ومتضمنات القول تصريحاً وتضميناً من جهة أخرى ، وهذا يعني أنّ الخطاب الحِجاجي يكون على نوعين : صريح وضمني، ذلك أنّ الحوارية تكون نصف للمتكلم وهو الصريح ، ونصفه للمتلقي وهو الضمني فتكون علاقة الضمني بالصريح مندرجة في إطار التداولية المندمجة[٤]، والتي يمكن دراستها كما يأتي :

---

[١] ينظر : الِحجاج في النص القرآني " سورة الأنبياء أنموذجاً "(رسالة ماجستير): ٤٩ – ٥٣ .

[٢] الشرط الإنشاء النحوي للكون بحث في الأسس البسيطة المولدة للأبنية والدلالات : ١ / ٢١١ .

[٣] ينظر : التداولية عند العلماء العرب: ٤٠ ، والخطاب الحِجاجي وصلاته الاجتماعية (مقاربة سوسيولسانية) (بحث) : ١٤٩ .

[٤] ينظر : الحِجاج في اللسانيات التداولية، دراسة لنماذج من القرآن الكريم (بحث) : ١٤، والخطاب الحِجاجي وصلاته الاجتماعية (مقاربة سوسيولسانية) (بحث) : ١٥١ .

المبحث الأول : الأفعال الكلامية (المباشرة ، غير المباشرة ، المركبة) :

إنّ الفعل الكلامي يقوم على إيقاع التكلم وإنجازه، وله أثر واضح في عملية التواصل الحِجاجي ، أي إنّه يمثل حدثاً كلامياً في التواصل الإنساني، فهو يبحث في معنى الكلام المنطوق في سياق معين ، بما يؤديه من الإنجاز، والتأثير في المخاطَب ، فهو يُمثل إيقاعات فعلية مباشرة ، وغير مباشرة ، ومركبة ، وهذا ما سيتناوله هذا الفصل تمثيلاً في الميزان .

نظرية الأفعال الكلامية :

إنّ نظرية الأفعال الكلامية قد اتكأت على سابقها وإنْ نُسبتْ إلى (أوستن)، فقد قام(ريناتش) قبل الحرب العالمية الأولى بعزل الأعمال اللغوية عن اللغة، وجاء بعده (أوستن) وأطلق عليه تسمية الأعمال اللغوية، وكذلك أفاد (أوستن) من أطروحات (غرديناز)، وقد تطورت هذه النظرية واستقرتْ على يد (سيرل)[١] .

وتُعدّ النظرية نواة مركزية في الكثير من أعمال التداولية، وهذا ما يمنح الخطاب دلالته الفعلية الإنجازية كون الأفعال الكلامية هي أفعال حِجاجية فـ((مفهوم الحِجاج ينتمي في المنوال الموصوف إلى تداولية اللفيظ، وهو فيه نتيجة آليات دلالية منطقية ...))[٢]، وفحواه أنّه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثري، وفضلاً عن ذلك يُعدّ نشاطاً مادياً يتوسل أفعالاً تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أنْ يكون فعلاً تأثرياً في المخاطَب، اجتماعياً، أو مؤسساتياً، ومن ثم إنجاز شيء ما، ومن أمثلته : الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة[٣] .

وعلى هذا فإنّ حِجاجية أفعال الكلام متأتية من المستويات الثقافية للتلقي وهو الذي يؤكد الصفة البارزة لحِجاجية الخطاب، وهذا يجعل أيّ منطوقٍ صالحا، أو مقبولاً بالوسائل اللغوية المختلفة، التي يمثل الحِجاج مظهراً من مظاهرها[٤] .

---

[١] ينظر : القاموس الموسوعي للتداولية: ٤٦ .

[٢] الفلسفة والبلاغة مقاربة حِجاجية للخطاب الفلسفي : ٧٤ .

[٣] ينظر : التداولية عند العلماء العرب : ١٠ .

[٤] ينظر : الاستدلال الحِجاجي التداولي وآليات اشتغاله (بحث) : ٦٩ .

وفي هذا السياق يقول: (ديكرو) ((لقد انطلقنا من ملاحظة عامة أنّه كثير من الأفعال الكلامية لها وظيفة حِجاجية، توجه المتلقي إلى نتيجة محددة، أو تصرفه عنها، حين نبتعد قليلاً عن العمومية يمكن أنْ نقول: إنّ الوظيفة الحِجاجية تحمل علامات داخل الجملة نفسها: منها القيمة الحِجاجية لملفوظ ما، فهي ليست فقط نتيجة المحمولات الخبرية له، ولكن الجملة يمكنها أنْ تحمل عدة دلالات وعدة صيغ أسلوبية، والتي بالإضافة إلى محتواها الإخباري يمكنها أنْ تدلي بتوجيهات حِجاجية للملفوظ، حيث تعمل على توجيه المتلقي وجهة دون أخرى))[١] .

ففي قوله تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼالنساء: ٣٦ .

يُلحظ أنّ الفعل الإنجازي في النص تكمن قوته تراتبياً بعد عبادة الله سبحانه وتعالى ، وهو الإحسان إلى الوالدين ، والفعل مقدر محذوف ، قال السيد الطباطبائي : ((إحساناً مفعول مطلق لفعلٍ مقدر ، تقديره : وأحسنوا بالوالدين إحساناً ...))[٢] .

فالحذف جاء لغاية حِجاجية هي العناية والاهتمام ، إذ أشار إليه في خطابه واعقب ذلك بقوله : ((المراد به التوحيد العملي ، وهو إتيان الأعمال الحسنة ، ومنها الإحسان الذي هو مورد الكلام ...))[٣]، أيّ الفعل التأثيري (اعبدوا) في بِر الوالدين والإحسان إليهما، دلالة على قوة إلزام الإحسان إلى الوالدين وترك صفة البخل معهم .

وكذلك في قوله تعالى : ﭽ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼآل عمران: ١١٩.

إنّ الصريح في الآية الكريمة هو الموت بسبب الغيظ ، وهو كناية عن ملازمة الغيظ للمنافقين طوال حياتهم ، والذي يكمن في مضمرها المتمثل بسبب دوام الغيظ، ومن الناحية النفسية صفة مُريحة للمسلمين ، ويجعلهم أكثر ارتياحاً وثقة بالنفس، وهو بذلك يحمل في طياته قوة تأثيرية بما يحدثه من آثار نفسية وفعلية لدى المعنيين بالخطاب[٤] .

---

[١] بلاغة الإقناع في المناظرة: ٩٥ .
[٢] الميزان في تفسير القرآن : ٤ / ٣٠٠ .
[٣] المصدر نفسه : ٤ / ٢٩٩ .
[٤] ينظر : آليات الحِجاج القرآني (دراسة في نصوص الترغيب والترهيب): ٢١٣ .

إذ يقول السيد الطباطبائي : ((دعاء عليهم في صورة الأمر، وبذلك تتصل الجملة بقوله : (إنّ الله عليم بذات الصدور)، أي اللهم أمتهم بغيظهم إنّك عليم بذات الصدور أيّ القلوب أيّ النفوس))[١].

يُستشف من كلامه أنّه أشار إلى قوة الفعل الإنجازي بقوله الدعاء ، بدليل القوة الإلزامية تكمن في التقريع والإغاظة؛ إذ فسر عبارة الغيظ بقوله : ((والغيظ : هو الحنق ، وعض الأنامل على الشيء مثل يضرب للتحسر والتأسف غضباً وخنقاً))[٢] .

وجملة التذييل التي احتج بها السيد الطباطبائي بقوله ، هي بمثابة الحُجة بما سبقها من قضية ؛ لتثبت الحِجاجية التي أشار إليها ، والتي تكمن في حُجة المنطوق ، وكذا الأمر الذي أشار إليه هو بمثابة العلم بما في صدورهم وما أضمروه في قلوبهم ، وكذا الدعوة إلى الاتعاظ[٣] .

وهو بذلك لازم المعنى الاستدلالي في سياق الكلام، إذ اقترب تداولياً من فكرة حِجاجية للمنطوق ، فالعبارة الأولى تشمل على متضمن القول التداولي ، أفادته العبارة الثانية ، وهذا قانون من قوانين الخطاب ، أي التحرك التفسيري هنا يبدأ من الخارج إلى الداخل ، ثم البحث عمّا تعنيه الكلمات في توصيف الفعل الكلامي التداولي الذي يتحقق في موقف معين[٤] .

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ٣ / ٣٣٤ .

[٢] المصدر نفسه : ٣ / ٣٣٤ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه : ٣ / ٣٣٤ .

[٤] ينظر : في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية: ١٩٦ .

أولاً : الأفعال الكلامية المباشرة :

تُعدّ الأفعال الكلامية المباشرة واضحة في النصوص ، ولا تحتاج إلى بيان أيّ معنى إضافي ، فهي تقدّم منطوقاً محدداً واضحاً لا يحتمل التأويل، وهذه الخصيصة التي تكون من المباشرة التي سُمّي بها الفعل الكلامي المباشر، إذ إنّها : ((الأفعال التي يتلفظ بهِا المرسِل في خطابه ، وهو يعني حرفيَّاً ما يقول ، وفي هذه الحالة فإنّ المرسِل يقصد أنْ ينتج أثراً إنجازياً على المرسَل إليه ، ويقصد أنْ ينتج هذا الأثر من خلال جعله المرسَل إليه يدرك قصده في الإنتاج))[١] .

فتتماثل القوة الإنجازية للفعل مع إرادة المتكلم، ويستطيع السامع أنْ يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لعنصرين مهمين هما: معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنظم بها الكلمات في الجملة[٢]، وقد أحصى (أوستن) خمسة أصناف من الأفعال الكلامية[٣]، وهي :

١- الحُكميات :

هي إطلاق الأحكام على الواقع ، ومن أمثلتها : برأ ، وقيّم ، وحكم ، وحسب ، وحلل ، وأوجب ، وأرخ ، وفسر ...[٤] .

فالصاحب الميزان تعامل مع النص على وفق ما يمتلكه من أدوات التحليل في تفسيره لكلام الله سبحانه وتعالى ، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﭽ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ﭼ النساء: ٢٣ .

قال السيد الطباطبائي : ((والمبهمات من البهمة ، وهي كون الشيء ذا لون واحد لا يختلط به لون آخر، ولا يختلف في لون سمي به من طبقات النساء المحرمة ...))[٥] .

فيتبين أنّه تعامل مع الفعل الماضي المبني للمجهول ، وما يحمله من قوة إنجازية مباشرة التي تحدث تأثيراً في المخاطَب، في التحريم الذي وجهه الله سبحانه وتعالى في النص القرآني، بإصدار

---

[١] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٣٥ .

[٢] ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٨٤ .

[٣] ينظر : التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٦٢ .

[٤] ينظر : نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ١٠ .

[٥] الميزان في تفسير القرآن : ٤ / ٢٤٣ .

حكم إلهي يقتضي الالتزام به، وهذه الفكرة التي استعملها في الوصول إلى التحريم الصريح الذي يتضمن حكماً إلهياً .

وهذا الفهم هو تداوليٌ حِجاجيٌ عن طريق الجملة الإنجازية المبنية للمجهول التي تحمل دلالة زمن الفعل الإنجازي على صيغة الحاضر[١]، الذي ورد في النص القرآني وقاربه مقاربة تداولية .

وقد عَمِل هذا الأسلوب عملاً حياً يساعد المتلقي نفسه على تلقي غرض المشهد بمعناه العميق ليتدارك خياله ما قصرت عنه حواسه المادية فتتغاير الأفعال لذلك، ولعلّ السر في كون هذا الوضع اللغوي الوحيد في الآية كلها فعلاً مبنياً للمجهول هو تعلقه بالسماع، ومخاطبة حاسة السمع فيهتز القلب تطلعاً لهذه الحرمة[٢]، وإنّ صاحب التفسير قد استشف ذلك من خلال الفعل الماضي المبني للمجهول الذي يحمل قوة إنجازية قادرة أنْ تعوض غياب الفعل الكلامي المباشر الذي وضعه (أوستن) ضمن صنف الحكميات[٣] .

علماً قد جاء الفعل نفسه مبنياً للمعلوم عند الحديث عن الشرك في قوله تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼالمائدة: ٧٢، فهذه المغايرة من المجهول إلى المعلوم لحكمة اقتضاها السياق[٤] .

ويبدو أنّه توصل إلى الحرمة عن طريقين هما : الأول : رافد الفعل الكلامي المباشر ، والآخر : السياق الذي ورد فيه النص، إذ كثيراً ما يلجأ المتكلم إلى الحكميات للوصول إلى قصده ، وتحقيق هدفه الخطابي رغبة في إيقاظ ذهن المتلقي وتوجيهه إلى المراد عن طريق الاستعمال التداولي الحِجاجي في الكلام .

٢- **التنفيذيات** :

---

[١] ينظر : الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل المفهوم الفعلي اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي بحث ضمن كتاب : التداوليات علم استعمال اللغة: ٩٥ .

[٢] ينظر : الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول) : ٩ – ١٢ .

[٣] ينظر : نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب : ١٠ .

[٤] الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول : ٨ – ٩ .

وهي الأفعال التي تقوم على استعمال الحق ، أو القوة وما إليهما ، ومن أمثلتها : عيّن، وسمّى، واستقال، وأعلن، وصّوت، وصرّح، وأمر، ونهى، أيّ هي الأفعال التي تُؤخذ بوساطتها القرارات[١].

وقد حللّ السيد الطباطبائي هذا النوع من الأفعال عن طريق أهم المفاهيم المحورية فيها التي تمثلها أفعال الأمر، فهو يرى في قوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭽ هود: ٥٤- ٥٥.

إذ قال : ((أجاب هود (عليه السلام) عن قولهم بإظهار البراءة من شركائهم من دون الله ثم التحدي عليهم بأنْ يكيدوا به جميعاً ولا ينظروه ، فقوله : ((أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ))، إنشاء وليس بإخبار كما هو المناسب لمقام التبري، ولا ينافي ذلك كونه بريئاً من أول مرة فإنّ التبرز بالبراءة لاينافي تحققها من قبل، وقوله:(فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَتُنظِرُونِ) أمر ونهي تعجيزيان))[٢].

لقد تعامل السيد الطباطبائي مع أسلوب الأمر من زاوية خاصة ، هي زاوية فعل الأمر ، التي تُمثل أحد الأسس التي تقوم عليها الأفعال الكلامية المباشرة ، إذ يرى أنّ فعل الشهود حُجة على عدم مسّه بسوء مع البراءة منهم ، مع كونهم ذوي قوة ، وشدة لا يعادلهم أحد في الشدة والبطش ، ولولا أنّه نبي من الله مصون لقدروا عليه، ومن هنا وجه إشهاده في تبرية ربه سبحانه وتعالى وقومه[٣] .

وأثبت ذلك الحِجاج التداولي يُفهم من سياق كلامه، إذ قال : ((إنّ هذا التعجيز هو معجزة هود (عليه السلام) ، وذلك أنّ ظاهر الجواب أنْ يقطع به ما ذكر من الرد في صورة حُجة))[٤].

وحاجج عقلياً بما عرضه حول النص : قائلاً : ((فالحق أنّ قوله : ((إِنِّي أُشْهِدُ اللّهَ وَأَشْهَدُواْ)) ، مشتمل على حُجة عقلية على بطلان ألوهية الشركاء ، وعلى أية معجزة لصحة رسالة هود (عليه السلام)))[٥] .

فنجد أنّ (اشهدوا) بهذه الصيغة الإنجازية قد جاءت احتجاجاً عليهم، وتعجيزاً ، وهذه البراءة مستمرة لذا جاء الفعل المضارع حاملاً زمناً مستمراً وعبّر بصيغة الأمر التي تضمنت الاستهانة باعتقادهم، وأنّ فعل الأمر (فيكيدوني) أعطى للنص قوة فعالة توحي بالتحدي، وإلزام المتلقي بها

---

[١] ينظر : التداولية عند العلماء العرب : ٣٤ – ٣٥ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ١٠ / ٢٣٨ ، ١١ / ٤٤ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه : ١٠ / ٢٣٨ .

[٤] المصدر نفسه : ١٠ / ٢٣٨ .

[٥] المصدر نفسه : ١٠ / ٢٣٨ .

مهما بلغ عددهم ، وأدت به إلى الحِجاج ، مما أعطت النص الثقة بالله تعالى والإيمان به ، وإحداث اضطراب في دينهم[١] .

وقد استثمر السيد الطباطبائي تفسير أفعال الأمر في توظيف الحِجاج بمقاربته التداولية (أشهدوا) و (فكيدوني)، وأدرك لمضمون المقام بوصفه دعوة للخصم، فيلزم المتلقي بما تلفظه به المرسل من فعل إنجازي مرتبط ((بما يؤول إلى أفعال داخل الحياة الاجتماعية بدوافع عقلانية ؛ لأنّ الاقتناع والتوافق إنّما يؤولان إلى الالتزام بالفعل ، أو الإقرار به))[٢] .

٣- **الوعديات** :

وهذا النوع من الأفعال الكلامية المباشرة هو ((الزامات للمتكلم بأداء فعل ما، كما قد تكون افصاحات عن نياته ، ومن أمثلتها : وعد، ونذر، وأقسم، وراهن، وعقد، وعزم ، ونوى))[٣]، والغاية المبتغاة من هذا النوع من الأفعال الكلامية هو إلزام المتكلم القيام بعمل ما في الزمن المستقبل ، فيكون الفعل الذي يقوم به مطابقاً لما قاله ، ويتميز هذا النوع أيضاً بأنْ يكون المتكلم هو من يقوم بتلك المطابقة ، وأنْ يكون قادراً على أداء ما أُلزِم به[٤] .

لقد وظّف السيد الطباطبائي في هذا الجانب شواهد عدّة ، قارب فيها مجريات البحث التداولي ومنها فعل الوعد، عندما فسّر قوله تعالى : **چ ۋ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ې ې ې ۉ ې ئا ئە ئە ئو چ** التوبة: ٦٨ .

إذ قال : ((... وما يجزون به بوعدٍ من الله تعالى ... ، ثم ذكر ما وعدهم على ذلك فقال : ((وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ)) وعطف عليهم الكفار ؛ لأنّهم جميعاً سواء ((نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ)) من الجزاء لا يتعدى فيهم إلى غيرها ((وَلَعَنَهُمُ اللّهُ)) وأبعدهم عن رحمته ((وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)) ثابت لا يزول عنهم البتة))[٥] .

يُستشف من تحليل صاحب الميزان أنّه أرتكز على المعنى الدلالي للفعل (وعد الله) الدال على الماضي المتحقق الوقوع على الثقافة الدينية ، ومعرفته بالسياق ، فهو حدد ذلك بقرينة تداولية

---

[١] ينظر : أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي ، تنظير وتطبيق على السور المكية : ١٤٦ .

[٢] الفلسفة والبلاغة مقاربة حِجاجية للخطاب الفلسفي : ٩١ .

[٣] نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب :١٠ .

[٤] ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البُعد التداولي : ١١٤.

[٥] الميزان في تفسير القرآن : ٩ / ٢٨٠ .

تتمثل بمعرفته السابقة بالوعد الذي يقطعه المتكلم على نفسه لا يُنجز إلا في المستقبل ، ومن دون هذا الفهم لا يكون الله سبحانه وتعالى واعداً[١] .

وبمقتضى ذلك أوّل السيد الطباطبائي صيغة (وعد الله) عن وعيد فـ ((يُخبر عن وقوع الفعل مستقبلاً))[٢]، فالمفسر بحكم ثقافته ، ومعرفته بلغة القرآن الكريم ، يُدرك عن طريق تداعي المعنى مستقبلاً ، وإنْ أُستُعملتْ صيغة الماضي عوضاً عن المضارع فـ ((تنزيل حوادث المستقبل منزلة الماضي للإشارة إلى أنّ حدوثها واقع لا محالة))[٣] .

وهذا يعني أنّ ما أورده من تحليلات ، ومعالجات لهذا الفعل الكلامي تلتقي كثيراً مع ما جاء به التداوليون عندما وقفوا على الخطاب ، وقصد المتكلم مع قدرة المخاطَب على الاستدلال على المعنى المنشود ، وهذا ما يخرج الفعل الإنجازي من حيز القوة إلى حيز الفعل المتضح من تعبير السيد الطباطبائي ، وهذا وعد قد وفى به ، وهذا لا يختلف عمّا تفوه به علماء التداولية والحِجاج ، وقد كان تعدد المعاني للخطاب الواحد أحد دواعي توسيع الدراسات الحِجاجية ؛ إذ تُعد من استراتيجيات الخطاب ؛ ليعبر المتكلم عن مقصده الذي يتحدد بعناصر متعددة يبينها السياق ، وهو ما نادى به المفسّر ليقارب به المنهج التداولي الحِجاجي عن طريق طرحه وفهمه لذلك .

٤- **السلوكيات** :

وهذا النوع من أفعال الكلام يعبرُ فيه المتكلم عمّا يشعر به تجاه الآخرين، والواقع ويتمثل الغرض الإنجازي في ((تعبير المتكلم عن الموقف النفسي تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص))[٤] ، ويخلو هذا الصنف من أَفعال الكلام من اتجاه مطابقة ، ويمثل هذا الصنف منها أَفعال الكلام: الترحيب، والتهنئة، والشكر، والتعزية، والرفض، والتهكم، والإنكار والاعتراض ... فالمتكلم بمجرد التلفظ بألفاظ مخصوصة متعارف عليها في مجتمعٍ لغوي وفي سياق خاص، يكون قد أنجزَ فعلاً كلامياً من صنف التعبيرات .

وثمة أمر لابدَّ من الالتفات إليه هو الفصل بين الأفعال التي تصدر عن الذات المقدسة ، والأفعال التي تصدر عن الإنسان ؛ لأنّ صفات الله سبحانه وتعالى مختلفة عن صفات الإنسان ،

---

[١] ينظر : مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني: ٣٣٩ – ٣٤٠ .

[٢] التداولية عند العلماء العرب : ١٤٥ .

[٣] الأداة وزمن الفعل الماضي والمضارع في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه) : ٧١ .

[٤] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :٥٠.

إذ يجب تنزيه الباري عز وجل عن كلِّ فعل يصدر عن البشر ، مثل : الغضب والرضا والفرح والحزن ، وقد فُسرِتْ هذا الأفعال في القرآن الكريم على وجه التقريب والإفهام[١] .

ولما كان القرآن الكريم من أساليبه التربية النفسية ؛ فقد عمد لإقناع المتلقي بوساطة الأثر العاطفي الذي يحدثه في نفسه من الخطابات الحِجاجية المصورة الناتجة من تلك المعاني ، وفي هذا الإطار لا يُنسى دور العقل في إثارة تلك العواطف ، والانفعالات .

ولعل من أهمّ القضايا التي أولاها السيد الطباطبائي في تفسيره عنايته بقضية المعاني التي تدل عليها أقوال الله تعالى في الخطاب القرآني ، ومناسبة تلك المعاني للباري عز وجل، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﭽ ﺋا ﺋا ﺋەﺋه ﭽ الكهف: ٢٦ .

إذ قال : ((وعلى هذا فقوله: "أبصر به وأسمع" – وهما من صيغ التعجب معناهما كمال بصره وسمعه – لتتميم التعليل كأنّه قيل: وكيف لا يكون أعلم بلبثهم وهو يملكهم على كونهم من الغيب وقد رأى حالهم وسمع مقالهم))[٢] .

لو أمعنا النظر في النص لأمكننا الرصد للأبعاد التداولية الحِجاجية عن طريق خطاب فعل التعجب، المتوجه إلى النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ، وبذلك يكون التعبير على حقيقته ، وممّا يلفت النظر أنّ السيد الطباطبائي أطلق عليه مصطلح التعجب مستنداً في ذلك إلى قرينة حِجاجية ألا وهي معرفة نحوية ، فـ(طريقة المتكلم المعتادة في نظم ألفاظه للتعبير عن المعاني كي يمكن للمخاطَب أنْ يفهم المراد من كلامه حالاً ، بصرف النظر عمّا يعنيه الكلام في الظاهر))[٣]، وقد جاء هذا الكلام على شاكلة العرب ، فخاطبهم الله بما يفهمونه ويعلمونه ؛ لأنّ التعجب محال على الله سبحانه وتعالى.

وهذا التعبير جلب لنا حساً حِجاجياً يُفهم من النص، لما فيه من أبعاد تداولية معروفة لدى العلماء في إثارة المتلقي، وشد ذهن المخاطَب إلى الخطاب الموجه إليه؛ لأنّه لا يحمل الكلام على وجه التمثيل ، والمجاز ، فالمفسّر ركّز على النظرة الخارجية للنص، وأثرها في الوصول إلى القصد الإلهي فـ((يتعرف إلى صفات الله أولاً، ثم يعود إلى النص، ويفسره بلحاظ هذه المعرفة))[٤] .

---

[١] ينظر: الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية: ٢٤٢ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٢٢٤ .

[٣] علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص: ٩٠ .

[٤] دراسات في تفسير النص القرآني: ١ / ٧٦ .

ويُلحظ أنّ النص احتوى على فعل إنجازي عبّر وبشكل مباشر عن الحالات النفسية بصدق وإخلاص ، بصيغة التعجب ، فأتى الفعل الإنجازي التعبيري ليعبر عن نتيجة إيجابية مثلها الفعل الكلامي (أبصر، أسمع).

ونستطيع القول إنّ التعجب عند السيد الطباطبائي يُعدّ فعلاً كلامياً ينتمي إلى التعبيريات ، وهذا ما أوضحه في تفسيره لهذا النص ، وإنّ المفسر كان عالِماً بأثر المخاطَب في العملية التواصلية المنبثقة من الحوار، فالتعبير ينضوي على بُعد التأثير الذي يُكلل بالإنجاز العملي للفعل ويُعدّ استثماراً لطاقات اللغة على الدلالة باستعمالات متنوعة لدى السيد الطباطبائي ؛ فيكون التلميح أبلغ من التصريح أحياناً؛ لما فيه من قوة حِجاجية في الدخول إلى مكنون النفوس ، وإثارة دواعي الطاعة والامتثال فيها[١]، ولتحقيق الأثر الإنجازي لمثل هذه الأساليب هو فهم المتلقي لما هو مطلوب منه ؛ لأنّ ((عملية الفهم لا تتم إلا بوساطة متلقٍ حاضرٍ لأيّ نصٍ كان))[٢] .

فمن خلال مقاربة هذه الوحدات اللغوية المكونة للنص أمكن المفسر مقاربة المستوى الدلالي له ، بكونه أسلوباً للتعجب ؛ لأنّ النص يمتلك عائدية على وفق دلالته المستمدة من بنية التركيب[٣]، وبهذا يكون صاحب التفسير قد كون رؤية حِجاجية عن الخطاب الموجه إلى المخاطَب ، فتوصل إلى القصد من النص عن طريق السياق اللغوي ، وهذا ما أطره (أوستن) بإطارٍ عام في إنجاز جملاً صريحة[٤].

٥- **العرضيات** :

وهي الأفعال التي توضح علاقة الأقوال بالمحادثة ، أو المحاججة الراهنة ، مثل : أثبت ، وأنكر، وأجاب، واعترض، ومثَل، واستنبط، وشرح ، ووصف ، وصنّف[٥].

---

[١] ينظر : جماليات الإقناع في الأسلوب القرآني (بحث) : ١٥ – ١٦ .

[٢] إشكالات النص دراسة لسانية نصية : ٥٠٦ .

[٣] ينظر : التمني في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية): ٣٠٦ – ٣٠٧ .

[٤] ينظر : الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل المفهوم الفعلي اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي بحث ضمن كتاب (التداوليات وعلم استعمال اللغة) : ٩٥ – ٩٦.

[٥] ينظر : البُعد التداولي والحِجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل: ٦٠ .

ويُفهم من ذلك أنّ هذه الأفعال جميعها تخضع لدى (أوستين) للتأويل، بمعنى أنّها قد لا تكون صريحة بل تُفهم من سياقها ، لذا يتحول النص إلى فعل لغوي واحد عن طريق مجموعة من الأفعال لتُشكل مقصد النص، وهذا كله مرهونٌ بأثر الفعل التأثيري ومدى تأثره ، وردود فعله إزاء هذا المعنى ، أو ذاك .

ومن النصوص القرآنية التي اشتملت على أفعالٍ كلامية يُراد بها الإنكار لتوبيخ فاعلها، وقد عالجها السيد الطباطبائي معالجة حِجاجية ، كما في قوله تعالى : ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الإسراء: ٤٠ .

إذ قال : ((خطاب لمن يقول منهم : إنّ الملائكة بنات الله ، أو بعضهم بنات الله ، والاستفهام للإنكار ...))[١] .

فأشار صاحب الميزان إلى أنّ الخطاب الاستفهامي في الآية لفئة من الناس التي قالتْ إنّ الملائكة بنات الله ، والاستفهام الإنكاري بارزٌ رسماً، ومعنىً[٢]، قد خرج مجازياً للدلالة على التوبيخ الممزوج باللوم والعتاب للذين اتخذوا شركاء مع الله، ويبدو تكثيف هذه الدلالات عند السيد الطباطبائي لإحساسه الذاتي بموضع النص .

لذا يُعدّ الإنكار– الاستفهام الضمني – واحدًا من المعاني التي تفيدها الهمزة حين لا يُقصد بها الاستفهام الحقيقي، أي: طلب الفهم والعلم، وما بعده واقع، وفاعله ملام، فيتضح من النص أنّه أنكر عليه ذلك إنكارًا يحمل معنى التوبيخ، وما وقع بعد هذه الهمزة يكون قد وقع فعلاً، ويُفْهَمُ من هذا الاستفهام استنكار المتكلم وتوبيخه للفاعل[٣] .

ويبدو تضافر العناصر اللغوية بحمولاتها الدلالية جلياً لإنجاح الفعل الإنجازي المتمثل في حمل المخاطَبين على الإقناع، مما يدعم هذا المسعى ترهيباً مما ذهبوا إليه ، فهو ملفوظ تقريري لمعنى الإنكار، ووصفي مؤكد لخرق المخاطَبين لقضايا العقول ، وقد تضمن النص مجموعة من

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٣/ ٨٤ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه : ١٣ / ٨٥ .

[٣] ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٩٣ .

المؤكدات بلاغياً ، ودلالياً (لام التوكيد في الفعل المضارع (ليقولون) و(قولاً : المفعول المطلق) و(عظيماً : النعت)، علاوة على القيمة الحِجاجية [١] .

ويتبين ممّا تقدم أنّه تعامل مع هذا النوع من الأفعال الكلامية المباشرة تعاملاً جاء لـ ((توضيح مناسبة المقولات للخطاب))[٢]، الذي يساق لغرضٍ معين ، فعن طريق المؤهلات العلمية والمعرفية التي كمنت عنده استطاع أنْ يصل إلى مدلولات النص ، والاتكاء على الوسائل اللغوية الصريحة كالاستفهام ، وغيره التي تصب في منهاج المقاربة التداولية؛ لإبراز القيمة الحِجاجية للمتلقي ، ودرجة الإقناع من أجل التواصل بين الأطراف .

ثانياً : **الأفعال الكلامية غير المباشرة** :

[١] ينظر : شرح المفصل (ابن يعيش) : ٣ / ٤٨ ، وأساليب الاستفهام في القرآن الكريم: ٢٢٢ .

[٢] نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي: ١٢٠ .

الأفعال الكلامية غير المباشرة : هي ((التي يؤدي فيها المرء فعلاً كلامياً بصورة غير مباشرة من خلال أدائه فعلاً آخر مباشراً))[١]، أي إنّ هناك أعمالاً وأقوالاً يرمي المتكلمون من خلالها التعبير عن معانٍ أُخر غير معناها الحرفي، وهذا النمط من الأفعال يُعرف بهذه التسمية .

إذ انطلق (سيرل) في نظريته من التفريق بين الفعل الكلامي المباشر، وغير المباشر، وهي الجزء المكمل لما قدمه (أُوستين)، وصرح أنّ الاستعمالات اللغوية تتضمن أفعالاً لغوية غير مباشرة ، والتواصل اللغوي بالأفعال غير المباشرة أكثر استعمالاً من التواصل بالأفعال المباشرة[٢]، واعتمد على مبدأ المستمع يعرف أكثر[٣]، وهذا يدل على أنّ المنطوق اللغوي يحمل بصفة جوهرية خاصية حِجاجية تعمل على تغير الواقع .

يُزاد على ذلك أنّ المتكلم يستعملُ أَكثر من آلية لإنجاز فعله اللغوي غير المباشر، ويستثمر المعاني اللغوية، والعناصر الحافة بالخطاب ، والمعرفة المشتركة؛ ليصل بالمخاطَب إلى مغزى الخطاب، ويكشف الاستعمال اللغوي[٤]، فالجمل التي تُقال في سياقاتٍ معينة ماهي إلا إنجازٌ لأفعال، وقد نظر(ديكرو) إلى الخطاب الحِجاجي على أنّه فعل إنجازي يُراد منه تأدية فعل (الحِجاج)[٥] .

يتبين مما تقدم أنّ الفعل اللغوي، والفعل الحِجاجي ينطلقان من رؤية واحدة ، ويمتلكان الخصائص نفسهما بانتمائهما إلى منطق اللغة الطبيعي، ويتخذان من السياق، والقصد ، وظروف التلفظ منطلقاً إنجازياً يدخلهما في نظرية الفعل الكلامي، وكلاهما يسعى إلى تغيير فكرة ، أو سلوك المتلقي، بحمله على الاقتناع ، أو تخويفه ، أو تحذيره ، أو تشجيعه ، أَو مدحه ، أَو إرشاده ، وهذا ما جعل ((نظرية الحِجاج في اللغة امتداداً، وتطويراً لنظرية الأفعال اللغوية، بل إنّ (ديكرو) يعتبر الحِجاج فعلاً لغوياً خاصاً))[٦] .

---

[١] ينظر : العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي: ٢٢١ .

[٢] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٥١، واستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٣٩٥.

[٣] ينظر : العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي :٢٠٩.

[٤] ينظر : الخطاب القرآني دراسة في البُعد التداولي :١٢١.

[٥] ينظر : الحِجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) (أطروحة دكتوراه):٥٢.

[٦] الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله (بحث) : ٨٤ ، وينظر : الحِجاج في شعر أحمد الوائلي (رسالة ماجستير) : ١٠٥ – ١١٠ .

لذا صار لزاماً أَنْ نجعل السياق شرطاً في قراءة النص اللغوي ، إذ لا يمكن أَنْ نعدَّ القراءة صحيحة إلاّ في ضوء السياق[١]، فالسياق التداولي الحِجاجي، أو ما يسمى (بالسياق الوجودي) هو((الانتقال من الدلالة إلى التداولية حالما يدرك المرسِل، والمرسَل إليه، وكذلك موقعهما الزماني والمكاني هي مؤشرات للسياق الوجودي))[٢].

وقد عُرِف هذا المفهوم بين اللغويّين في بيان دلالة الألفاظ، وعياً منهم بما يحيط بالنشاط اللغوي، استناداً إلى مجموعة المفاهيم، والأَفكار التي تكشف عن دلالة النص اللغوي، وبيان المعنى المقصود، بعيداً عن المعاني الأُخرى التي تلتبس بالمعنى الذي أَراده المتكلم[٣] .

وبناءً على ذلك فإنّ السياق يحدد معنى الوحدة الكلامية بمستويات ، إذ يحدد نطق الجملة، ويساعد على القول بموجب القوة الكلامية، وبذلك يكون السياق بعلاقته المباشرة مع ما تحمله الألفاظ من المعاني المتعددة قد حدد معنى الفعل بدلالة الألفاظ في التركيب[٤] .

وقد أَخذ السياق في الميزان مساحة واسعة ، وتعددت خصائصه، فكان من دلالة سياق الآيات ما هو أقوى من ظاهر الآيات، وقد اعتمد السيد الطباطبائي على السياق لِما يحمله من مزية الدقة في الكشف عن دلالة الآيات أنْ يتصرف بظاهر الآية كلّما تعارض مع سياقها حتى يتناسب معه[٥]، إذ قال : ((لا حاجة إلى التكليف في بيان وجه الآية بما قبلها ، وارتباط وما بعدها بها على أنّ القرآن إنّما نزل نجوماً ، ولا موجب لهذا الارتباط إلا في السور النازلة دفعة واحدة ، أو الآيات الواضحة الاتصال الكاشف ذلك عن الارتباط بينها))[٦] .

ومن أمثلة ذلك عند السيد الطباطبائي في تفسيره لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ، ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ القيامة: ٢٢- ٢٣ .

---

[١] ينظر : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق: ٧٨ .

[٢] البراغماتية (القولفعلية) في تحليل أفعال الخطاب السياسي (خطاباً ترامب والملك سلمان أنموذجاً) : ٦٧ .

[٣] ينظر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٢١٧ .

[٤] ينظر : اللغة والمعنى والسياق: ٢٢٢ .

[٥] ينظر : بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم: ١٠٦ .

[٦] الميزان في تفسير القرآن : ٤ / ٣٠٥ .

فنلحظ أنّ السيد الطباطبائي قد أتكأ على السياق في تفسيره لهذه الآية بما ذهب إليه قائلاً : ((والمراد بالنظر إليه تعالى ليس هو النظر الحسي المتعلق بالعين الجسمانية المادية التي قامت البراهين القاطعة على استحالته في حقه تعالى بل المراد النظر القلبي ورؤية القلب بحقيقة الإيمان على ما يسوق إليه البرهان ...))[١] .

وأكد ذلك لغوياً قائلاً : ((بأنّ التقديم (إلى ربها) على (ناظرة) يفيد الحصر والاختصاص ، إنّ من الضروري أنّهم ينظرون إلى غيره تعالى كنعم الجنة))[٢]، أي أنّه أسند النظر إلى الوجوه لا إلى العيون ، أو الأبصار بمعنى أنّ وجوه أهل الجنة دائماً ينظرون إلى ربهم بما أنعم عليهم من الكرامات .

وأثبت حُجته أيضاً بما استشهد به عن النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ، قال: ((وفيه أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك ، قال: ((ينظرون إلى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا صفة معلومة))[٣] .

وردّ بقوله على من قال أنّ ناظرة بمعنى منتظرة ، ((بأنّ الانتظار لا يتعدى بـ إلى بل هو متعدٍ بنفسه، ورد عليه في مجمع البيان بالاستشهاد بقول جميل بن معمر:

وإذا نظرتُ إليكَ من ملكٍ والبحر دونكَ جدتني نعما))[٤] .

وهذا ما جعل السيد الطباطبائي يأخذ بسياق المحاججة في إثبات الرأي المتداول ليحقق غرض المتكلم، في حصر النظر بالتوجه لله سبحانه وتعالى ، والتعلق به وحده، وهو نظرٌ ليس حسياً، بل هو النظر القلبي إذ توجهتْ قلوب المؤمنين إلى ربهم لا يشغلهم شاغل عن تلك الرحمة الإلهية ، فضلاً عن ذلك أَنّ سياق تقديم الجار والمجرور من أساليب التوكيد التي تُزيل الشك ، وتُميط الشبهات وتُمكّن الأمر في النفس[٥]، وهذا ما ذهب إليه صاحب الميزان.

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٩٧ .

[٢] المصدر نفسه : ٢٠ / ٩٨ .

[٣] المصدر نفسه : ٢٠ / ١٠٢ .

[٤] المصدر نفسه : ٢٠ / ١٠٢، والبيت يُنسب للشاعر : جميل بن معمر ، ولم اعثر عليه في ديوانه .

[٥] ينظر : السياق والمعنى، دراسة في أساليب النحو العربي :١٢١، وأساليب التأكيد في اللغة العربية : ٦٧.

وفي سياق ذكر (السِّنة والنوم) في قوله تعالى : ﭽ ﮉ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ البقرة: ٢٥٥ .

ذهب جمهور من العلماء إلى أنّ المحورية تدور نحو الترقّي في الإثبات يكون من الأَضعف إلى الأَقوى، وفي النفي يكون الترقّي من الأَقوى إلى الأَضعف[١]، وذهب الزمخشري إلى أنّ تقديم السِّنَة على النوم جاء لأَجل السبق الزمنيّ إذ إنّ السِّنَة أَسبق من النوم زمناً، فكان الأَجدى أَنْ يأتي السياق بتقديم السِّنَة على النوم للاعتبار الزماني[٢] .

بينما السيد الطباطبائي يرى أنّ المراد من التقديم ليس كما ذكر علماءُ التفسير في ذلك ، وإنّما هو ترتيب الألفاظ بحسب أَثرها على القيومية ولما كان النوم أَقوى تأثيراً جاء متأخراً بعد السِّنة ، قال : ((بل المراد هو صحة الترقي وهي مختلفة بحسب الموارد ، ولمّا كان أخذ النوم أقوى تأثيراً وأضر على القيومية من السِّنة كان مقتضى ذلك أنْ ينفي تأثير السِّنة وأخذها أولاً ثم يرتقي إلى نفي تأثير ما هو أقوى منه تأثيراً))[٣] .

وساق دليلاً حِجاجياً لغوياً آخراً أثبت من خلاله ما يريد قوله ، قال : ((إنّ الترتيب المذكور لا يدور مدار الإثبات والنفي دائماً كما يقال : فلان يجهده حمل عشرين بل عشرة ولا يصح العكس))[٤] .

وعلى سبيل المغايرة السياقية في الخطاب القرآني الذي يهدف إلى الإقناع ، والتأثير ، وما يشغله المتلقي موقعاً وسطاً بين التأويل ، والبيان بوصفهما انعكاساً لعملية التواصل ، فإنّه في لحظة انتقال النص من سياقٍ إلى آخر لتنبيه المتلقي إلى أهمية السياق الذي انتقل إليه النص بصورة مفاجئة ، وكلما زاد السياق الجديد اختلافاً عن السياق الأول ارتفعت القيمة الحِجاجية للنص ، ومن الاستعمالات المغايرة السياقية عند السيد الطباطبائي في تفسيره لقوله تعالى : ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ البقرة: ١٢٥ .

إذ قال : (((وَاتخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصلًّى) إشارة إلى تشريع الحج ، والأمن في البيت ، والمثابة هي المرجع ، من ثاب يثوب إذا رجع ، وقوله تعالى ((، كأنّه عطف على قوله جعلنا

---

[١] ينظر : البرهان في علوم القرآن: ٢٩٦/٣ ، وتفسير الوسيط: ٤٢/١.

[٢] ينظر : الكشاف: ١٠١/٣.

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ٢٨٣ .

[٤] المصدر نفسه : ٢ / ٢٨٢– ٢٨٣ .

البيت مثابة ، بحسب المعنى ... ، وربما قيل : الكلام على تقدير القول ، والتقدير قلنا اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ... ، بمنزلة التوطئة أشير به إلى مناط تشريع الصلاة))[١] .

وظاهر الكلام من النص أنّه التجأ في تفسيره إلى المغايرة السياقية، إذ انتقل السياق بصورة مفاجئة من التحدث عن تشريع البيت إلى الجعل بصيغة الأمر ، لتنبيه السامع وكسر توقعه ، فتحققت الحِجاجية عن طريق المغايرة السياقية في النص[٢] .

وقد أوضح السيد الطباطبائي هذه المغايرة السياقية في تفسيره أيضاً لبعض الآيات القرآنية توجيهاً منه ، وتوضيحاً لهذه الظاهرة اللغوية ، كما في قوله تعالى : **ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ** النساء: ٢٩- ٣٠ .

إذ قال: ((وتغيير السياق في قوله: فسوف نصليه ناراً بالخصوص عن سياق الغيبة الواقع في قوله: إن الله كان بكم رحيماً إلى سياق التكلم تابع للالتفات الواقع في قوله: (ذلك)عن خطاب المؤمنين إلى خطاب الرسول، ثم الرجوع إلى الغيبة في قوله: وكان ذلك على الله يسيراً إشعار بالتعليل، أي وذلك عليه يسير؛ لأنّه هو الله عز اسمه))[٣] .

يتضح أنّ في هذا التغاير من الغيبة إلى التكلم تأكيداً وتنبيهاً، فضلاً عن التعظيم فـ((حكمة الالتفات أنْ تلتفت الأذهان إلى ما يعقب ذلك من البيان فتنتبه))[٤]، فالتغاير في الخطاب لم يأتِ إلا نكتة في الكلام تزيد نشاط السامعين ، وتسترعي انتباههم لفهم مناحي الكلام أكثر ، وبهذا يُفهم الجمال في السياق القرآني .

ويرى (ريفاتير) أنّ ((الارتباط بين الإجراء الأسلوبي ، وعملية التلقي يقع في قلب المشكلة، ويصلح أساساً لاستخدام التلقي كمعيار لتحديد الوقائع الأسلوبية))[٥]، فإنّ الانتقال من تأثير

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١ / ٢٣٥ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٢٣٥ ، والإعلامية في الخطاب القرآني (دراسة في ضوء نظرية التواصل): ٨٤ – ٨٥

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ٢٧٢/٤ .

[٤] المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية: ٤٧٣ ، وينظر : التغاير السياقي في القرآن الكريم: ١٠٢ .

[٥] الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة: ١٤٩، وينظر : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : ١٨٧ .

الأسلوب بالقوة إلى تأثيره الواقعي بالفعل يُعد ظاهرة مزدوجة تشمل أولاً الوحدة اللغوية، وإثارة انتباه القارئ .

فيتضح ممّا تقدم من ذلك أنّ للسياق التداولي الحِجاجي أمره الواضح في الأخذ في كثير من مجريات التفسير؛ لإيضاح الفكرة، والتلقي المبرم لدى السامع المتفهم الذي يروم إلى إيصال المعنى التداولي[١]، وتتحقق الأفعال الكلامية غير المباشرة في مجموعة من الأساليب اللغوية التي تعطي بُعداً تداولياً حِجاجياً ، وهي :

١- الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر :

كثيراً ما يكون لفظ الفعل الكلامي خبراً، ومعناه غير الخبر كالأمر، والنهي، والدعاء، والمدح، والذم، والتعجب، وغيرها، فهذه المعاني انبثقت عن الخبر تركيبياً، وتفهم من سياق الحال للعملية التخاطبية في بعدها التداولي الحِجاجي ، وهذه المعاني المتشعبة لا يمكن وضع أحكام محددة لها؛ لأنّها أوسع من أنْ تحيط بها مثل تلك الدراسات[٢]، ونلحظ هذه الظاهرة في قوله تعالى: ﭽ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ﭼ الكهف: ٧٨ .

قال السيد الطباطبائي: ((ويمكن أنْ تكون الإشارة إلى نفس الفراق، والمعنى هذا الفراق قد حضر كأنّه كان أمراً غائباً فحضر عند قول موسى ...))[٣] .

فالمعنى: إنّ ذلك هو الحد الفاصل الذي فرق بينهما في هذه الصحبة، فهو إيذان بانتهاء المصاحبة التي كان منها ذلك التعليم ممّا علمه الله تعالى[٤]، فالإشارة بحسب قول صاحب الميزان إلى متصور قائم في ذهن المتكلم ، والمتلقي، وقيامه في ذهنهما بناءً على مقام التواصل، فقد فُهِم ذلك من شرط الصحبة القائم بينهما باتفاق، وهو عدم السؤال، والسؤال أقل وجوه الاعتراضات والإنكار والتخطئة أعظم منه، وقول موسى (عليه السلام): (قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) يضمر الإنكار لفعله، وتصويب أخذ الأجر، وفي ذلك تخطئة ترك الأجر، ومن هنا كانت الإشارة

---

[١] ينظر : في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية : ٧٢ .

[٢] ينظر : نظرية المعنى في الدراسات النحوية: ٣٧٦ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٢٨٠ .

[٤] ينظر : زهرة التفاسير: ٤٥٦٧/٩.

إلى متصور حاضر في الذهن، وقيل إنّ الإشارة إلى الوقت الحاضر، أي هذا الوقت وقت فراقنا، أو إلى الاعتراض الثالث من موسى(عليه السلام)، أي هذا الاعتراض سبب فراقنا[1] .

ويبدو أنّ هذه الآراء تؤكد الإشارة إلى غير الفراق، مع عدم وجود مانع من أنْ تكون الإشارة إلى الفراق نفسه ، فالتلفظ بهذا القول هو فعل خبري قد أنجز في سياقه فعلاً كلامياً آخر غير الإخبار، وهو إيقاع الفراق، فهو فعل كلامي غير مباشر، أُريد منه إيقاع الفراق لا مجرد الإخبار، وقد تضافرت في إنجاز ذلك عناصر السياق ، وقصد المتكلم مع القدرة الاستدلالية للمتلقي في الكشف عن المعنى المراد.

ومن الأفعال المنبثقة عن فعل الخبر ما جاء في قوله تعالى في قصة يوسف (عليه السلام) لمّا اعتذر منه إخوته كما في قوله تعالى : ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﭼيوسف: ٩٢، فجملة (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) جملة في محتوها الدلالي تدل على الإخبار، إلّا أنّه يمتنع الإخبار في هذا المقام، إذ إنّ المتكلم لا يعرف هل يأذن الله لهم بالمغفرة أو لا ؟ ، والقول بذلك يعد رجماً بالغيب، فالشرط التمهيدي لفعل الإخبار لم يتحقق هنا، لذلك فالجملة تتضمن فعلاً كلامياً آخر، ويُفهم ذلك من مقام التواصل ، وسياق الاعتذار، فلما كان السياق سياق اعتذار عَلِم المخاطبون أنّ يوسف(عليه السلام) لم يرد أنْ يخبر عن مغفرة الله لهم، لذا حُمل على الدعاء لهم، قال السيد الطباطبائي : ((وهذا دعاء واستغفار منه لإخوته الذين ظلموه جميعاً وإنْ كان الحاضرون عنده اليوم بعضهم لا جميعهم))[2].

فهو يعتقد أنّ الخبر الوارد في الآية قد خرج إلى غرض بلاغي هو الدعاء، فالسيد الطباطبائي هنا قد استدل من سياق النص القرآني الوارد فيه الخبر خروج الكلام عن معناه الحقيقي إلى غرض بلاغي وهذا يدل على اعتماده في بيان الحُجة .

فيتبين من ذلك أنّ الدعاء هنا فعل كلامي غير مباشر؛ لأنّه أنجز بلفظ الخبر، وقد استدل على ذلك بقدرة المخاطَب ، والمعلومات المشتركة بين المتخاطبين وإنّما ((جاز لفظ الخبر في الدعاء ؛

---

(1) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٢٨٠ ، والسور المكية في القران الكريم مقاربة تداولية (رسالة ماجستير) : ١٣٢ – ١٣٣.

(2) الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٩٦ .

لأنّه يعلم أنّ القائل لهذا لا يعلم ما فعله الله بمن يدعو له من الرحمة ، وغيرها فيخبر به، فيعلم أنّ لفظ الإخبار منه على معنى الدعاء))[1]، وبذلك تُعدّ هذه الأفعال من صنف (الطلبيات) في تقاليد الاستعمال اللغوي[2] .

ومن الأفعال الكلامية غير المباشرة التي تُنجز بلفظ الخبر فعل القسم، نحو قوله تعالى : ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ، ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﭼيس:١٦- ١٧، فقول المرسلين (رَبُّنَا يَعْلَمُ) من التراكيب الخبرية التي تفيد القسم، قال : ((إخبار عن رسالتهم وقد أكد الكلام بأنّ المشددة المكسورة ، واللام ، والاستشهاد بعلم ربهم بذلك ، وقوله (ربنا يعلم) ، معترضة بمنزلة القسم ...))[3] .

يرى السيد الطباطبائي ((أنّ القسم هو تقييد الخبر أو الإنشاء بشيء ذي شرافة وكرامة من حيث أنّه شريف أو كريم فتبطل شرافته أو كرامته ببطلان النسبة الكلامية، فإنْ كان خبراً فببطلان صدقه وإنْ كان إنشاءً أمراً أو نهياً فبعدم امتثال التكليف، والقسم من أعلى مراتب التأكيد في الكلام))[4] .

لعلّ في إشارة صاحب الميزان الأخيرة، ما يكشف لنا عن اختلاف أشكال التوكيد، فهو يعد القسم من أعلى مراتب التوكيد في الكلام، وأنّ القرآن قد استعمل القسم كثيراً في تأكيده وهو يلمح إلى هذه النقطة، فهو يريد أنّ يقول: إنّ دخول القسم على الجملة الخبرية أو الإنشائية يؤثر سلباً أو إيجابا في امتثال التكليف للمخاطبين ، إذ إنّ في عدم امتثالهم إبطال لشرافته وكرامته.

وأكد حِجاجية المسألة عن طريق كلامه في قوله تعالى: ((وما علينا إلا البلاغ المبين)) ، إذ قال : ((البلاغ هو التبليغ ، والمراد به تبليغ الرسالة أي لم يؤمر، ولم يكلف إلا بتبليغ الرسالة ، وإتمام الحُجة))[5] .

وهذا يدل تأكيد الحِجاج بعطفه بتفسير البلاغ ؛ لأنّه متمّم للمعنى المعروض ، وعليه فإنّ فعل القسم فعل كلامي غير مباشر في الآية، إذ أُنجز بلفظ الخبر، وجرت طريقة الاستدلال عليه بأنّ المقام مقام إنكار يتطلب التوكيد والقسم ، وليس الإخبار بعلم الله تعالى، ولذلك يُعدّ القسم هنا المنجز بلفظ الخبر ضمن (الإخباريات)، أو بلغة (سيرل) ضمن (التقريريات) ؛ لأنّه يُراد منه توكيد

---

[1] شرح كتاب سيبويه: ٣ / ١٩٩ .

[2] ينظر : نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي : ١٨٩ .

[3] الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٦٢ .

[4] المصدر نفسه : ١٠ / ٣٢٢ .

[5] ينظر : المصدر نفسه : ١٧ / ٦٢ .

مطابقة الخبر للعالم الخارجي، وهو عند (د. مسعود صحراوي) فعل كلامي جزئي يندرج ضمن فعل كلامي كلي يشمل كل أساليب التوكيد هو فعل التأكيد[١] .

وممّا يُنجز بلفظ الخبر (فعل التعهد ، والتعاقد)، إذ يكون بين طرفين يلتزم كلٌ منهما على فعل شيء في المستقبل، نحو قوله تعالى : ﴿ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ القصص:٢٧- ٢٨ .

قال السيد الطباطبائي: ((عرض من شعيب لموسى (عليه السلام) أنْ يأجره نفسه ثماني سنين، أو عشراً قبال تزويجه إحدى ابنتيه، وليس العقد قاطع، ومن الدليل عدم تعين المعقودة في كلامه (عليه السلام)))[٢].

يتضح من كلام صاحب الميزان أنّ عرض شعيب (عليه السلام) لما رأى قوته ، وأمانته أنْ ينكحه إحدى ابنتيه بعقد هو أنْ يأجره ثماني حجج ، أو عشر، فوافقه موسى (عليه السلام) على ذلك وقال: (ذلك بيني وبينك) ، وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب، يريد ذلك الذي قلته ، وعاهدتني فيه ، وشارطتني عليه قائم بيننا جميعاً، وقد تمّ التعاقد ، والتعاهد بينهما بناءً على هذا القول ، وأكد فعل التعاقد في قوله : ((ذلك الذي ذكرته وقررته من المشارطة والمعاهدة))[٣] .

فقول موسى (عليه السلام) فعل كلامي غير مباشر أنجز بلفظ الخبر، وأفاد معنى التعاقد ، والتعاهد بين الطرفين، فيلتزم كل واحد منهما بفعل ما تعاهد عليه، فشعيب (عليه السلام) يلتزم بأنْ ينكحه إحدى ابنتيه وموسى (عليه السلام) يلتزم بالإجارة على أيّ الأجلين، وهذا التعاقد فعل كلامي غير مباشر يصنف ضمن (الالتزاميات)[٤].

وعلى العموم فالبُعد الدلالي التداولي من أنْ يأتي الفعل الكلامي خبراً ومعناه غير الخبر يتعلق هذا بالمخاطبين وجهد المتلقين في تأويل الملفوظات ومعارفهم اللغوية ومقاصدهم ، أما الشرط المحوري في ذلك فهو (إحالة السامع المستقبلية) وما يكون عليه بعد تلقيه هذه الأفعال وهذا الشرط كامن في الكلام والسياق ومقاصد المتخاطبين[٥]، وبُعدها التداولي خاص كل الخصوصية في

---

[١] ينظر : التداولية عند العلماء العرب :٢١٢.

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ٢١ .

[٣] المصدر نفسه : ١٦ / ٢٢ .

[٤] ينظر : السور المكية في القرآن الكريم مقاربة تداولية (رسالة ماجستير) : ١٣٨ .

[٥] ينظر : البُعد التداولي والحِجاجي في الخطاب القرآني : ٥٢ .

النصوص ولاسيما القرآنية منها ؛ لأنّ سياقاتها مكتسبة ودلالاتها تتجاوز الملفوظ نفسه مرتكزاً على المضمر وما يُشيره من مجال تأويلي واسع ، وهذا متأتٍ أصلاً من نوعية الخطاب الذي يتكئ على المجاز، إذ تخلق الأفعال الكلامية غير المباشرة فعلاً مركزياً يوحي بحدث كلامي يربط النص ويؤدي إلى تماسكه سواء أكان الفعل صريحاً أم مضمراً ؟ .

يتضح مما تقدم أَنّ المفسر لم يهمل دلالات الأخبار الواردة في الآيات القرآنية، وإنّما تفحص فيها ودقق النظر معتمداً في ذلك على رصيد بلاغي واسع ، وسعة إدراك للمعاني التي يمكن أنْ يفيدها السياق، فتراه تارة يستدل على الغرض البلاغي بنصوص قرآنية أخرى تحمل الغرض نفسه، وتارة من خلال تعليقه على الآيات وتفسيره لها .

٢- الأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء : وهي :

أ- الأمر :

إنّ صيغ الأمر تخرج إلى إنجاز أفعال كلامية غير مباشرة كالالتماس والدعاء والإذن والتحدي وغيرها، ويجري اختصاص الأمر عند إنجازه في المقامات المختلفة على مستويين[١] .

الأول : مستوى يتحدد بمنزلة المتكلم من المخاطب، ويقسم الأمر من خلالها على : أمر حقيقي ، ودعاء والتماس[٢] .

الآخر : مستوى يتحدد بموقف المتكلم من المخاطب وغرضه ومقصده، وما يكون مع ذلك من ألوان المقامات .

فمن الأول ما جاء على لسان إبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى: **چ** □ □ □ □ □ □ □ **ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ چ** سورة الشعراء : ٨٣-٨٦ .

يتبين أنّ الأمر الوارد في الخطاب (هب، ألحقني، اجعل، اجعلني، اغفر) أنجزت فعل الدعاء؛ لأنّ الخطاب صادر من منزلة دنيا (متمثلة في النبي إبراهيم(عليه السلام)) إلى منزلة أعلى (تتمثل في الله سبحانه وتعالى) مصحوباً بخضوع وخشوع، ولما كانت الحال كذلك استعظم أنْ

---

[١] ينظر : الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: ٤٣٨ .

[٢] ينظر : المقتضب: ١٣٢/٢ .

يقال: إنّ إبراهيم أمر ربه تعالى، لانتفاء شرط الاستعلاء، بل يحمل الكلام هنا خضوعاً ، وتذللاً[١]، إذ قال : ((وكذا كون هذا الدعاء ، والمحكي في سورة البقرة دعاءً واحداً))[٢] .

إذ يُعد أسلوب الأمر المتمثل بصيغة (آفْعَلْ) من أهم الأساليب التي وردت في الخطاب ؛ لأنّه أشهر من بقية الصيغ التي يلقيها المرسل إلى المتلقي ، فنجد أنّ السيد الطباطبائي قد أشار إلى أنّ الفعل الإنجازي هو فعل الدعاء ، مرتبط بمكونات لسانية ، وغير لسانية، ولذا فإنّه يصنف ضمن (الطلبيات) ، فمنزلة المتكلم من الخطاب هي التي تحدد أسلوب الأمر، وفي كل مقام يستلزم من المتكلم أمراً يوائم ذلك المقام ، ويناسبه[٣] .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ الكهف: ١٠ .

قال السيد الطباطبائي : ((تفريع لدعائهم على أويهم كأنّهم اضطروا لفقد القوة ، وانقطاع الحيلة إلى المبادرة إلى المسألة))[٤] .

يظهر من كلام صاحب الميزان أنّه نظر إلى المسألة نظرة تداولية عن طريق فعل الأمر الذي دل على الدعاء، والمعرفة التي يتمتع بها عن طريق السياقات القرآنية ، فالفعل الكلامي المباشر هو فعل الأمر، والفعل التداولي غير المباشر هو الدعاء وهو طلب إيتاء الرحمة لأصحاب الكهف ، وهو يُصنف ضمن الأفعال (التوجيهية)، وهذا ما ينسجم مع البُعد الحِجاجي لمنطوق الكلام[٥]، فهو يرى أنّ صيغة الأمر الواردة في الآيات ليس المراد منها امتثال الأمر؛ لذا أخرجها عن معناها الحقيقي إلى غرض مجازي وهو الدعاء.

فضلاً عن أنّ أفعال الأمر اكتسبت بُعداً حِجاجياً بوصفها أدتْ إلى نتائج ضمن مسارات إنجازها، وإنّ الامتثال والتنفيذ لهذه الأوامر أصبحت حُجة عليهم، فشكل الأمر ضمن بنية النداء نسجاً حِجاجياً مقنعاً للتأثير في المتلقي وإقناعه .

ومن أمثلة خروج الأمر لإنجاز فعل كلامي آخر غير مباشر كما في قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ فصلت:

---

[١] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ٢٢٨ – ٢٣٠ .
[٢] المصدر نفسه : ١٥ / ٢٣٠ .
[٣] ينظر : مراعاة المخاطب في النحو العربي: ٢٣٧ .
[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٢٠٠ .
[٥] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٣٤٧-٣٤٩ .

٤٠، ذكر السيد الطباطبائي أنّ المراد من فعل الأمر (اعملوا) هو التوعد، قال : ((سياق تهديد لملحدي هذه الأمة))[(١)] .

يظهر من كلامه أنّه ليس المقصود المعنى الحرفي للأمر، وإنّما أُريد به فعل كلامي آخر، يُفهم من مقام السلطة التي شبهها بسياق التهديد، عُلِم أنّ المراد الوعيد، فقد وّجه المتكلم فعله الإنجازي بحسب مقاصده الإنجازية، ويكون بذلك مرتبطاً بأفعال كلامية أخرى توجهه ، وتؤطر مساره الإنجازي، فالوعيد هنا فعل كلامي غير مباشر، أنجز بلفظ الأمر، ويصنف ضمن (الإلتزاميات).

ومنه ما خرج فعل الأمر الكلامي غير المباشر إلى التسوية، في قوله تعالى : **ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ**الطور: ١٦ .

قال السيد الطباطبائي : ((فاصبروا أو لا تصبروا تفريع عن الأمر بالمقاساة ، والترديد بين الأمر ، والنهي كناية عن مساواة الفعل، والترك، ولذا أتبعه بقوله (سواء عليكم)، أي هذه المقاساة لازمة لكم لا تفرقكم سواء صبرتم ، أو لم تصبروا فلا الصبر يرفع عنكم العذاب، أو يخففه ، ولا الجزع ، وترك الصبر ينفع لكم شيئاً))[(٢)] .

استطاع صاحب الميزان أنْ يصل إلى الفعل الكلامي غير المباشر عن طريق دلالة السياق اللغوي ؛ لأنّ الخطاب القرآني هو الفعل، إذ الصبر، وعدم الصبر هي أفعال لا أقوال، وبهذا التفت التفاتة تداولية حِجاجية تجاوزت حدود السياق اللغوي هذا من جانب .

ومن جانب آخر فتح خروج فعل الأمر للتسوية جملة (سواء عليكم) في السياق هذه الدلالة التي تحاكي نظرية الأعمال، والجزاءات، وفعل التسوية هو من صنف الأفعال (الإثباتية) التي تقدم الخبر بوصفه تمثلاً لحالة موجودة في الخارج[(٣)] .

ومنه أيضاً قوله تعالى : **ﭽ** □ □ □ □ □ □ □ □ □ □، □ □ □ □ □ □ □ □ □ **ﭼ ص:١٥- ١٦** .

قال السيد الطباطبائي : ((وهذه الكلمة استعجال منهم للعذاب قبل يوم القيامة استهزاء بحديث يوم الحساب ، والوعيد بالعذاب فيه))[(٤)] .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٣٢٢ .

(٢) المصدر نفسه : ١٩ / ١٠ .

(٣) ينظر : الأبعاد التداولية في الميزان في تفسير القرآن (أطروحة دكتوراه) : ٤٧ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ١٥٤ .

فيتضح من ذلك أنّ صاحب الميزان أخرج الأمر إلى فعل الاستهزاء، وهذا بنفسه يثير التساؤل ، والمقاربة اللسانية التي نحن بصددها ، والحديث عنها ، فقد فَهم النص فهماً حِجاجياً يدور الحديث فيه عن طريق كلامهم خرج على جهة الاستهزاء، ويدل على ذلك ما عُلِم من كفرهم ، إذ شاهد الحال أنّهم كافرون، وقد طلبوا أمراً على ماحكي لهم من الجزاء، وكان طلبهم غير مطموع فيه، لذا حمل المعنى على الاستهزاء ، فأنجزوا بلفظ الأمر فعلاً كلامياً غير مباشر هو الاستهزاء من معتقدات المؤمنين، وعليه يصنف هذا الفعل ضمن (التعبيريات) ، بوصفه يُعبر عن موقف نفسي تجاه مبدأ البعث ، والجزاء[١] .

ب- النهي :

للنهي صيغة واحدة هي الفعل المضارع المقرون بـ (لا) الناهية ، ويؤدي الكف عن الفعل على وجه العلو والاستعلاء[٢]، ويكون ذلك لمنزلة المتكلم من المخاطَب ، ومنه قوله تعالى: **ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ**طه: ٩٤ .

قال السيد الطباطبائي: ((ويظهر من قوله : (لا تأخذْ بلحيتي ولا برأسي) إنّه أخذ بلحيته ، ورأسه غضباً ليضربه ...))[٣] .

إنّه أشار إلى المحاورة التي جرت بين موسى ، وهارون(عليه السلام) بعدما رجع موسى من ميقات ربه ، ووجد بني إسرائيل يعبدون العجل، فجعل يؤنب أخاه هارون لكونه الخليفة بعده ، والنهي الوارد على لسان هارون(عليه السلام) مؤذن بأنّ موسى(عليه السلام) حين وبخه أخذ بشعر لحية هارون ، فالنهي هنا كان بين الأخوين _ بين الأخ وأخيه_[٤] ، فلم يكن على أصل معناه الحرفي الذي يقتضي استعلاء من جهة المتكلم، فأنجز بلفظ النهي فعلاً كلامياً غير مباشر هو الالتماس، ويصنف ضمن (الطلبيات).

ومن مظاهر خروج النهي لمعنى النصح لإنجاز أفعال كلامية غير مباشرة قوله تعالى: **ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ**البقرة: ٣٥ .

---

[١] ينظر : المصدر نفسه : ١٧ / ١٥٤ ، ومعاني القرآن (النحاس) : ٣٨٨/٤.
[٢] ينظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٢ / ٣٢٤ .
[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ١٥٧ .
[٤] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ١٥٧ .

يرى السيد الطباطبائي في النهي : ((إنّما كان نهياً تنزيهياً إرشادياً يرشد به إلى ما فيه خير المكلف ، وصلاحه في مقام النصح لا نهياً مولوياً))[1] .

فالنهي هنا للنصح والإرشاد، لآدم وحواء (عليهما السلام)، فالفعل الإنجازي هو الحث، والتأكيد من مقام النصح على عدم الاقتراب للشجرة من قبل المخاطَب ، وهذا تقرير المرسَل لغايات تربوية.

ومنه أيضاً قوله تعالى : چ ہ ۂ ۃ ۀ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ چآل عمران: ١٠٥
.

فالنهي هنا مستعمل للتحذير، قال السيد الطباطبائي : ((مآل حالهم بمرأى ، ومسمع من المؤمنين فعليهم أنْ يعتبروا بهم وبما آل إليه أمرهم فلا يجروا مجراهم ، ولا يسلكوا مسلكهم))[2] .

يعتقد أنّ الآية في مقام التحذير، فالنهي لم يقف على حد النهي بل تجاوزه عن طريق وجود تذييل في الآية الشريفة تبين نتيجة عدم التزام هذا التحذير، فالبعد الاجتماعي التداولي حاضر في ذهنيته عندما يوجه المتلقين للاعتبار ، فالفعل الإنجازي هو التزام المؤمنين بعدم التفرق ، والمتكلم عالم بقدرتهم على إنجازية هذا الفعل ، وإيجاد الفعل التأثيري الذي يتعلق بالخطاب .

ومنه ما دل على الحث ، والرغبة في قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ چ
آل عمران: ١٠٢ .

قال السيد الطباطبائي: ((وبالجملة : النهي عن الموت إلا مع الإسلام إنّما هو لمكان عده اختيارياً، ويرجع بالآخرة إلى الكناية عن لزوم الإسلام في جميع الحالات حتى يقع الموت في واحدة من هذه الحالات ، فيكون الميت مات في حال الإسلام))[3] .

يُستشف أنّه أراد بذلك الكلام واقعاً على الموت بالإقامة على الإسلام ، والثبات عليه، والناهي هو الله سبحانه وتعالى منشئ الخطاب ، والفعل الإنجازي هو (لا) الناهية والفعل المضارع ، فالنهي هنا ليس عن الإتيان، ولكنه نهي عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الإتيان، وفي ذلك حث على الالتزام ، وترغيب له في حصول المبتغى من فحوى المنهي عنه، ومن

---

(1) المصدر نفسه : ١ / ١١٣ .
(2) المصدر نفسه : ٣ / ٣٢١ .
(3) الميزان في تفسير القرآن : ٣ / ٣١٩ .

الملفوظات التي استعين بها على إمكانية تحقق الفعل الإنجازي ، ونجاحه الملفوظ الوصفي (حق تقاته)[١] .

ومن المعاني التي يؤديها النهي هو معنى التيئيس ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ئۆ ئۆ ئۇ ئۇ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى﴾ التحريم: ٧ .

قال السيد الطباطبائي : ((المعنى : لا تعتذروا اليوم بعد دخول النار فإنّ الاعتذار توبة والتوبة غير مقبولة بعد دخول النار، إنّما تجزون ما لزم في مقابل عملكم من الجزاء في الحكمة ، وفي اتباع الآيات السابقة بما في هذه الآية من خطاب القهر تهديد ضمني، وإشعار بأنّ معصية الله ورسوله ربما أدى إلى الكفر))[٢] .

فيُلحظ أنّ قوة الفعل الإنجازي تكمن في لفت انتباه المخاطَبين، ووصفهم بالكفر، وورد ذلك بفعل النهي الذي دل على اليأس في عدم قبول التوبة، وهذا منطلق الحِجاج، ومحتواه الذي اشتركت فيه مجموعة من العناصر اللغوية التداولية في أفق تحقيق الفعل التأثيري[٣] .

وقد تدخل أداة النهي على صورة من صور الفعل والمراد النهي عن صورهِ كلها[٤]، وقد اعتمد السيد الطباطبائي هذا النوع من النهي في قوله تعالى : ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ﴾ طه: ٨١ .

قال السيد الطباطبائي : ((قوله: "ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي" ضمير فيه راجع إلى الأكل المتعلق بالطيبات وذلك بكفران النعمة وعدم أداء شكره))[٥] .

فقد أشار صاحب الميزان في تفسيره إلى النهي عن الطغيان في أنواعه جميعها ولم يشمل نوعاً مخصوصاً، والطغيان معناه لا تتعدوا ما حرم الله عليكم وتأكلوه وهو حرام ، فأسلوب الخطاب يملأه النصح والإرشاد بلهجة هادئة لطيفة (ولا تطغوا فيه) ، وازدادت حدة اللهجة في قوله تعالى بعدما فرغ من النهي وحذرهم بأسلوب لين هادئ جاء بقوله تعالى بعد ذلك (وَمَن يحْلِلْ عَلَيْهِ غَضبى فَقَدْ هَوَى) ، وهذه اللهجة فيها زجر وتقريع لهؤلاء القوم لكن نلمح كلمة (غضب) وحاشاه سبحانه في أنْ يغضب كما يغضب البشر ويطرأ عليه التغيير مثلهم ،وإنما أراد بالغضب العقاب ، فقال السيد

---

[١] ينظر : آليات الحِجاج القرآني (دراسة في نصوص الترغيب والترهيب) : ٢١٩ – ٢٢٠ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ١٩ / ٢٩٧ .

[٣] ينظر : البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات: ١٤٢ .

[٤] ينظر : دلالات التراكيب دراسة بلاغية: ٢٥٨ .

[٥] الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ١٥٢ .

الطباطبائي محتجاً ببحثه الروائي : (("ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى" ما ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): هو العقاب يا عمرو إنه من زعم أن الله عز و جل زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق، إن الله عز و جل لا يستفزه شيء و لا يغيره))[١] ، فحذرهم بلهجة شديدة ومن يحل عليه العذاب فكأنّه هوى، فالمتلقي في هذا الخطاب يجده تدرج في الخطاب مثلما يبدأ بنصحه فعندما لا يجد من متلقيه أي استجابة يعمد إلى تشديد لهجة الكلام لينبهه بما هو فيه من عناد وطغيان وحتى يكون أكثر استجابة للكف عن العمل الذي نصح به ، فطريقة النهي هنا جاءت بقدرة هائلة على معاضدة الحِجاج ومساندة الخطاب في السعي إلى الإقناع والحمل على الإذعان[٢] .

ت- الاستفهام :

يُعد الاستفهام بالرؤية التداولية الحِجاجية ركيزة مهمة في استعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية، ويكون على هذا الحال خطاب إنجازي من المرسِل يحدد به حركة المتلقي تجاه ما يريده ، ويكشف به المجهول[٣]، فهو ((طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل ، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه إنّه طلب خبر ما ليس عندك ، أيّ طلب الفهم))[٤] .

وهذا يعني أنّ القدرة التي يؤديها الاستفهام تُسهم في تكثيف الخطاب ، وتوجيه المتلقي لمعاني التداولية، ومن هذه المعاني التي يخرج إليها الاستفهام، هي الأمر كما في قوله تعالى : **ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ** الأنبياء: ١٠٨ ، ذكر السيد الطباطبائي أنّ صيغة الاستفهام (فهل أنتم مسلمون) خرجت إلى الأمر، قال: ((لما وقع عليه علمكم هذا من توحيد الله سبحانه وكون هذا القرآن كتاباً نازلاً بعلمه، وهو أمر بالإسلام في صورة الاستفهام))[٥].

---

[١] المصدر نفسه : ١٤ / ١٦١ .

[٢] الحِجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : ١٥٣ .

[٣] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٣٥٢ .

[٤] أساليب بلاغية ، الفصاحة – البلاغة – المعاني: ١١٨ .

[٥] الميزان في تفسير القرآن : ١٠ / ٩٠ .

حفل الاستفهام بـ(هل) تقنية عالية وأضافت الحوارية مهمة داخل النص، إذ تقوم بنقل النص من الذاتي إلى الموضوعي، ومن المثالي إلى الواقعي[١]، وقد استدل السيد الطباطبائي على ذلك بامتناع حمل المعنى على الاستفهام ، وأنّ المرسِل سبحانه لمّا بين لهم ضلالهم دعاهم للإيمان بالحق، وترك أصنامهم، فلم يرد الإجابة على السؤال، فجاء بالاستفهام لتمثيل حال المخاطبين بحال من بين له المتكلم حقيقة شيء ثم اختبر مقدار تأثير ذلك البيان في نفسه، فصيغة (هل أنت فاعل كذا) تستعمل للحث على فعل في مقام الاستبطاء ، فالمراد من الآية الأمر (أي أسلموا) ، والحث على الإسلام، وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمقاصد المتكلم، فالأمر هنا فعل كلامي غير مباشر أنجز بالاستفهام ، ويصنف ضمن (الطلبيات)[٢] .

ومنه ما خرج إلى التقرير، في قوله تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ، ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼطه: ١٧- ١٨ .

يرى السيد الطباطبائي أنّ الاستفهام في النص خرج إلى التقرير، وغايته إثبات صفات هذه العصا، قال : ((ليسميها ويذكر أوصافها فيتبين أنّها جماد لا حياة لها))[٣] ، والغاية من ذلك غاية نفسية ، قال : ((حتى يأخذ تبديلها حية تسعى مكانة في نفسه (عليه السلام)))[٤] .

فقد رأى أنّ الاستفهام أنتج فعلاً تقريرياً بما يثق المتلقي بصدقه فلا يحتاج إلى مؤكدات لجعل القوة الإنجازية كبيرة نابعة من داخل الوجدان لاستقرار هذا الأمر في النفس ؛ لأنّ موسى (ع) كان مقراً بجماد العصا، والأوصاف التي وصف بها العصا والفعل التأثيري كشفت عنه الآيات السابقة، وهذا التقرير الذي يُصنف ضمن الأفعال (الإخبارية)[٥] .

وقد يأتي أسلوب الاستفهام للتوبيخ، كما في قوله تعالى : ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼالصافات: ١٢٥ ، يُشير السيد الطباطبائي إلى ذلك ، بقوله : ((وكلامه (عليه السلام) على ما فيه من التوبيخ ، واللوم يتضمن حُجة تامة على توحيده تعالى ...))[٦]، فقد أخرجه إلى معنى التوبيخ ، وهو جزء من الإنكار، فما وقع بعده جدير بأنْ ينفى ، وهذه الآية جاءت في سياق قصة إلياس، وهو من آل هارون ، بعث إلى بعلبك ، والتي سميت باسم صنم يدعى (بعل) نصب في معبدها ، وكلامه على

---

[١] ينظر : فضاء الكون الشعري من التشكيل إلى التدليل، مستويات التجربة الشعرية عند محمد مردان مجموعة مؤلفين: ٢٧٦.
[٢] ينظر : معاني القرآن(النحاس) : ١٠٣/٥.
[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ١١٦ .
[٤] المصدر نفسه : ١٤ / ١١٦ .
[٥] ينظر : جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية ، جمالية ، نقدية : ١٥٣ .
[٦] الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ١٣٢ .

ما فيه من لوم وتوبيخ يتضمن حُجة على توحيده تعالى، فالفعل الكلامي جاء استفهاماً، وقوته الإنجازية غير المباشرة تكمن في توبيخهم على عبادة الأصنام وترك أحسن الخالقين ، ففعلهم مستهجن وخارج عن الفطرة السليمة ، أمّا الفعل التأثيري فيكمن في بيان جهلهم وسفاهة رأيهم[١] .

فالسؤال الحِجاجي بـ(الهمزة)، وميزة هذا السؤال أنّه يحصر الإجابة المتمثلة بالإقرار بالفكرة المعروضة وهي غاية الخطاب الحِجاجي؛ لأنّ (ديكرو) رأى أنّ غاية الحِجاج تتمثل في:((أنْ يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أنْ يسير فيها))[٢] .

وكثيراً ما يؤدي الاستفهام معنى التجاهل، ومنه قوله سبحانه: **ﭽ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ﭼ** الفرقان: ٦٠ .

قال السيد الطباطبائي : ((فالضمير(لهم) عائد على الكفار، والقائل هو النبي(صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بدليل قوله بعد: (أنسجد لما تأمرنا)؟ ولم يذكر اسمه ليتوجه استكبارهم إلى الله سبحانه وحده ، وقوله : (قالوا : وما الرحمن ؟) سؤال منهم عن هويته، وماهيته مبالغة منهم في التجاهل به استكباراً منهم على الله، ولولا ذلك لقالوا : ومن الرحمن ؟))[٣]، مّما يفيد الاهتمام بتقرير هذا الاسم لله تعالى في نفوس السامعين، فسؤالهم (وما الرحمن؟) سؤال عن هويته مبالغة في التجاهل به واستكباراً منهم، ومراد السائل في مثل هذا السؤال أنّه لا معرفة له من المسؤول عنه بشيء أزيد من اسمه[٤] .

فقد رأى أنّ الاستفهام هنا مستعمل في الاستغراب والتجاهل، فلم يرد المعنى الحرفي للاستفهام ، وإنّما أنجزوا به فعل التجاهل والاستغراب، وقد استدل المفسرون لإثبات هذا المعنى بحال المخاطبين الذين لم يعهدوا هذا الاسم، ولمّا سمعوه من القرآن أنكروه قصداً للتحاجج على النبي(صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، والتعسف، وليس ذلك عن جهل بمدلوله، ولا بكونه جارياً على مقاييس لغتهم، فالمستوى الثقافي للمتخاطبين موجه أساس للكلام بل هو من المكونات

---

[١] ينظر : المصدر نفسه : ١٧ / ١٣٣ .

[٢] الحِجاج في الشعر العربي ، بنيته وأساليبه : ٢٣ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ١٨٨ .

[٤] ينظر: المصدر نفسه : ١٥ / ١٨٨ .

الرئيسة التي تساعد على إنجاز الكلام الفعلي، ولذا الاستغراب ، أو التجاهل فعل كلامي غير مباشر ، ويصنف ضمن (التعبيريات)[١] .

ومنه ما خرج إلى التكذيب ، كما في قوله تعالى : ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ القيامة: ٦ .

يرى السيد الطباطبائي أنّ هذا السؤال يدل على التكذيب، إذ قال : ((والسؤال سؤال تكذيب إذ من الواجب على من يدعي إلى الإيمان ، والتقوى ، وأنذر بهذا النبأ العظيم ... ، أنْ يتخذ حذره ، ويتجهز بالإيمان ، والتقوى ، ويتهيأ للقاء اليوم قريباً كان أو بعيداً ، فكل ما هو آتٍ قريب لا أنْ يسأل متى تقوم الساعة ؟ وأيان يوم القيامة ؟ فليس إلا سؤال مكذب مستهزئ))[٢]، يجد أنّ الاستفهام أنتج فعل التكذيب وهو فعل كلامي غير مباشر من صنف الأفعال (التوجيهية) .

وأيضاً ما دل على التحضيض في قوله تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ النساء: ٨٢ .

يقول السيد الطباطبائي في تفسير هذا النص : ((هو تحضيض في صورة الاستفهام))[٣]، وهذا الفهم للاستفهام كفعل كلامي غير مباشر مفاده التحضيض، وزيادة الحث رتب عليه أثراً إنجازياً تداولياً إذ قدم نتائج عملية للتدبر الذي تحث عليه الآية الكريمة عن طريق الاستفهام ، وهم من الأفعال (التوجيهية)[٤] .

جاءت المساءلة الحِجاجية عند صاحب الميزان بعد عرضه لقضايا هي محل تساؤل وإقرار في ذهن المتلقي وهذه القضايا من المسلمات عند المتلقي ، وإنّما تساءل عنها ليؤكدها وليصادق عليها المتلقي من تلقاء نفسه حتى اذا حصلت المصادقة من قبل المخاطِب وهي لابد حاصله وإنْ تأخرت كانت تلك المصادقة وسيلة لترتقي درجة أُخرى في سلم الإقناع بجوهر ما يريد .

يتبين أنّ المسألة الاستفهامية الحِجاجية عند السيد الطباطبائي في تفسيره هي محل تساؤل ، وإقرار في ذهن المتلقي ليؤكدها وليصادق عليها المتلقي من تلقاء نفسه حتى اذا حصلت المصادقة من قبل المخاطِب ، وهي لابد حاصله ، وإنّ تلك المصادقة وسيلة لترتقي درجة أُخرى في سلم الإقناع ، والتأثير .

---

[١] ينظر : معالم التنزيل تفسير: ٩٢/٦ .
[٢] الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٩٢ .
[٣] الميزان في تفسير القرآن : ٥ / ١٦ .
[٤] ينظر : المصدر نفسه : ٥ / ١٨ .

ثالثاً : **الأفعال الكلامية المركبة** :

هي ((مجموعة من الإثباتات الموجهة لتبرير، أو دحض رأي، ولإقناع حكم عقلاني يتفاعل بكيفية معقولة، مع درجة مقبولية وجهة النظر المطروحة))[١] .

وهذا يعني أنّ القيمة الحقيقة للجملة لا تنحصر في البناء الدلالي لها، وإنّما ترتبط بالواقع ، وتشكل المعطى الأساسي الذي تشتغل عليه المركبة التداولية، وعندما يكمن التأويل لدى المتلقي ، يثبتَ الاتصال بين المتكلم ، والمتلقي، وهذا ما يثير الاستجابة التأويلية، وهي خاصية تداولية حِجاجية ، تكشف عن جوهر المعنى ، والقدرة على حمل الغرض من الكلام كاملاً ، وليس مجزءاً ، حتى تتضح الفكرة من المقال، ذلك أنّ الحِجاج يتأسس في سلسلة الاستدلالات الدلالية التي تكونها الأفعال الكلامية داخل الخطاب العام[٢] .

وهذه المنطوقات المركبة تحدد قوة تواصلية ملائمة لتبليغ الحِجاج، وتأويله ، إذ يمكن للمؤشرات السياقية في حالة الحِجاج غير المباشر أنْ توضح القوة التواصلية للمقول ، وتساعد على تأويلها ، وهذا لا ينحصر في مستوى العبارات والجمل المفردة ، بل كفعل إنجازي مركب ، لا ينجزُ وظيفته الحِجاجية إلا إذا ارتبط في مستوى الجملة ، أو العبارة بإنجازات أخرى بسيطة ومركبة تُعبر عن وجهة نظر معينة ، لا يتحقق الحِجاج بدونها[٣] .

---

[١] النظرية الحِجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية : ١١٩ .

[٢] ينظر : الفلسفة والبلاغة مقاربة حِجاجية للخطاب الفلسفي : ٧٠ – ٧٤ .

[٣] ينظر : النظرية الحِجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية : ١١٩ – ١٢٠ .

فالفعل الإنجازي المركب، فعل تواصلي مشروط بفعل استجابي إقناعي، مؤثر في مقبولية الحدث اللغوي المكون لسياق الفعل، كأنْ يكون رسالة، أو مداخلة، أو إنتاجاً مرتبطاً بسياق الحياة الواقعية لمستعملي اللغة ، وقد يكون أحياناً تعاقدياً[١] .

وهكذا يأخذ الحِجاج أثره داخل سياق صراع الآراء، خاصية واضحة في إطار مستوى تفاعلي، تابعاً لورود فعل آخر، في النصوص اللغوية المعروضة، وبهذا نقدم صورة مضبوطة لمعقولية حِجاجية منتظرة ملائمة لشروط الإنجاز، تبعاً لوجهات النظر المرتقبة للمتلقي[٢] .

نخلص من ذلك أنّ الأفعال الكلامية المركبة تُنجز في مرحلة الحديث الخلافي الانسجامي المترابط أوله بآخره، التي تُشكل طرفاً حاسماً في حلّ الخلاف، وبهذا تكتّمل استراتيجية تحليل الخطاب الحِجاجي للأفعال الكلامية التي تعطي السمات الممارسة التداولية في نسق نصي إعلامي عالٍ، تنتج تفاعلاً ناجحاً بين الأفعال التواصلية المنجزة[٣] .

فعلى صعيد السور القرآنية نجد السيد الطباطبائي في بدايات السور القرآنية يتطرق للموضوع الرئيس لهذه السور عن طريق تتبع الآيات القرآنية ، وهذا يمكن عدّه فعلاً مركباً ، كما في سورة الزخرف، إذ يقول : ((السورة موضوعة للإنذار كما تشهد فاتحتها ، وخاتمتها ، والمقاصد المتخللة بينها إلا ما في قوله تعالى : ﭽ ڤ ڎ ،ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ھ ه ﭼالزخرف:٦٧- ٦٨ إلى تمام ست آيات استطراديه))[٤] .

فالفعل المركب في هذه السورة هو فعل الإنذار قد ارتكز على مجموعة من الأفعال البسيطة داخل السورة ، وفعل الإنذار فعل كلامي من صنف (الإلزاميات) .

فيظهر من كلام السيد الطباطبائي أنّ اعتماده الوصول إلى الفعل الكلامي المركب للإنذار، جاء عن طريق السياق اللغوي للسورة الشريفة، وهذا ما شابه رؤية (فان دايك) التي تنص على وجود أفعال كلامية بسيطة نصل إليها بتتابع لوجود فعل مركب .

---

[١] ينظر : المصدر نفسه : ١٢٠ .

[٢] ينظر : الحِجاج والعنصرية (بحث) : ٢٠٧ .

[٣] ينظر : الحِجاج والعنصرية (بحث) : ٢٠٨ ، والنظرية الحِجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية : ١٢٥ – ١٢٦.

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٦٨ .

أمّا في سورة مريم نجده يبرز الفعل الكلامي للسورة بالاعتماد على خاتمة السورة ، إذ يقول : ((غرض السورة على ما ينبئ عنه قوله تعالى في آخرها **ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ** مريم: ٩٧))[١] .

فالسياق هنا دل على التبشير والإنذار، إذ ساقه سوقاً بديعاً فأشار إلى قصة زكريا ويحيى، وقصة مريم، ثم عدّ البيان في السورة أشبه شيء ببيان المدعي بإيراد أمثلته، فالسورة كما ترى تفتتح بذكر أمثلة ثم تعقبها باستخراج المعنى الكلي المطلوب بيانه ، فالسورة تُقسم الناس إلى ثلاث طوائف[٢] .

الأولى : الذين أنعم الله عليهم من النبيين وأهل الاجتباه والهدى .

الثانية : أهل البغي .

الثالثة : الذين تابوا وآمنوا وعملوا صالحاً .

فالسيد الطباطبائي بهذا التفصيل الذي ذكره في منهجه توصل للفعل المركب وهو فعل التبشير ، والإنذار من صنف الأفعال الإلزامية عن طريق اعتماده على تصريح المتكلم بذلك إذ نظر إلى السياقات القرآنية في الآية فرآها تتحدث عن قصص جملة من الأنبياء، والصالحين، ووازن سياقات السورة بسياقات المتكلم الذي يستشهد بجملته من الأمثلة ويوردها، فالنتيجة أنّه بالإمكان أنْ تصل إلى الفعل الكلامي المركب اعتماداً على تصريح المتكلم[٣] .

وفي المورد نفسه نجد أنّه يكرر المشهد بذكره الحِجاج في بداية تفسيره لسورة الأنعام ، إذ قال : ((غرض الصورة هو توحيده تعالى بمعناه الأعم أعني أنّ للإنسان رباً هو رب العالمين جميعاً ... ، ولذلك نزلت معظم آياتها في صورة الحِجاج على المشركين في التوحيد، والمعاد، والنبوة ... ، وسياقها على ما يعطيه التدبر سياق واحد متصل لا دليل فيه على فصل يؤدي إلى نزولها نجوماً ، وهذا يدل على نزولها جملة واحدة ، وأنّها مكية فإنّ ذلك ظاهر سياقها الذي وجه الكلام في جلها ، أو كلها إلى المشركين))[٤] .

---

[١] المصدر نفسه : ١٤ / ٥ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه : ١٤ / ٥ – ٦ .

[٣] ينظر : الأبعاد التداولية في الميزان في تفسير القرآن (أطروحة دكتوراه) : ٤٩ – ٥٠ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ٧ / ٥ .

فقد توصل السيد الطباطبائي للفعل المركب ، وهو فعل التوحيد ، من صنف التوجيهيات عن طريق تصريح المتكلم (الله سبحانه وتعالى)، إذ نظر إلى السياقات القرآنية في السورة فرآها تتحدث جملةً ، وتفصيلاً عن موضوع واحد، وكذلك سياق السورة عن طريق الآيات التي يوردها المتكلم ، مصرحاً بذلك أنّه حِجاجاً[١] .

وأمّا على صعيد الآيات القرآنية وكما في قضية انفلاق البحر لموسى (عليه السلام)، قال تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼطه: ٧٧ .

قال السيد الطباطبائي : ((الإسراء : السير بالليل، والمراد بعبادي بنو إسرائيل، وقوله : (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً) ، قيل : المراد الضرب بالعصا كما يدل عليه كلامه تعالى في غير هذا الموضع ، وأنّ (طريقاً) مفعول به لأضرب على الاتساع وهو مجاز عقلي، والأصل اضرب البحر ليكون لهم طريقاً))[٢] .

يُستشف من كلام صاحب الميزان أنّه اعتمد الوصول إلى الفعلين المركبين عن طريق الفهم القرآني (الإسراء ، والطريق المتمثل بالإلحاق لفرعون) ، وهذه الدلالة واضحة ومتداولة لدى المتلقي للنص ، إذ تكّون هذا الحدث من فعلين مركبين: أولهما : هو خروج موسى (عليه السلام) ومن معه من بني إسرائيل من مصر ليلاً هرباً من فرعون ، وكان هذا الفعل متوافقاً مع المعايير البشرية ، وما يتبعه من علم بفرعون وحكومته، وجمعه لجنوده، ومحاولة الإلحاق ببني إسرائيل من تنفيذ خطتهم ، وإعادتهم لسلطانه ، والانتقام منهم ، وبلوغ الهاربين على مشارف البحر ، فكل ذلك فعل حِجاجي مصور، ونتيجته محسومة لفرعون وملائه ، وبعدها تأتي العملية التواصلية في الخطاب في ثقة واطمئنان (كلا أنّي معي ربي سيهدين) ، ويأتي أمر الله له (أنْ اضرب بعصاك الحجر)[٣].

أمّا الفعل الآخر : هو لحاق فرعون وملأه بموسى ، فيقول الله (عز وجل) (فغشيهم من اليم ما غشيهم) ، وهنا استعمل القرآن الكناية لتعطي الدلالة على وصف المكان المخيف فضلاً عن شدة العذاب ، وهذان الفعلان في سورة واحدة من أفعال التوجيهيات اللذان يحققان حِجاجية عالية ؛ لأنّ المتلقي يسأل عن الأحداث ، والوقائع الطبيعية ممّا يعزز التواصل مع النص[٤] ، فالممارسة

---

[١] المصدر نفسه : ٧ / ٥ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ١٥٠ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه : ١٤ / ١٥١– ١٦٨ ، والإعلامية في الخطاب القرآني دراسة في ضوء نظرية التواصل: ١٦٠ – ١٦١ .

[٤] ينظر : الميزان في تفسير القرآن: ١٤ / ١٥٠ .

الطلبية تفترض من يتلقى التوجيهات عبر المعايير، والشروط المعرفة ممّا يعطي الخطاب الإنجازي صفة عمومية ، وهذا النوع نجده متداولاً بكثرة في الخطاب القرآني[١] .

ويتميز هذا النوع من الخطاب بالوضوح في التعبير عن قصد المتكلم، فيؤمن اللبس عن السامع ممّا يحقق الاستجابة فـ((لا يُعقل أنْ تخاطب العقول بلغة غير مفهومة، وإلا لانتفى أصل الغرض ، وهو إفهام الناس ، وتوصيل المعنى))[٢]، وهذا الصنف يضم كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بصرف النظر عن صيغتها.

وذُكر في موضع آخر الحدث نفسه في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼالأعراف: ٩٦ .

أشار النص القرآني إلى حقيقة مهمة عن طريق فعل الإيمان، وفعل التقوى، وأثرهما في الواقع الاجتماعي ، وهذا هو الواضح من كلام السيد الطباطبائي، إذ يقول : ((وتوضيحها أنّ العالَم بما فيه من أجزاء متعلق الأبعاض مرتبط الأطراف يتصل بعضها ببعض اتصال أعضاء بدن واحد ، وأجزائه بعضها ببعض في صحتها وسقمها واستقامتها في صدور أفاعيلها، وقيامها بالواجبات من أعمالها فالتفاعل بالآثار والخواص جارٍ بينها عام شامل لها))[٣] .

نرى أنّه أشار إلى منطلق حِجاجي تداولي استنتاجي مرتبط بفعل واحد ، وهو فعل فتح البركات من السماء والأرض، وعليه تستقر المعادلة بأنّ الالتزام بالشريعة الحقة عقدياً ، وسلوكياً، أيّ أنّ البركات كانت مغلقة وفتحها الالتزام بالشريعة الإسلامية[٤]، وهذه الأفعال الكلامية يتدرج ضمن الأفعال (الإثباتية) .

وقد يكون المركب الحِجاجي على صعيد الجملة الواحدة،كما في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭼالنبأ: ١ .

قال السيد الطباطبائي: ((فالتساؤل من المشركين ، والإخبار عنه في صورة الاستفهام للإشعار بهوانه ، وحقارته ، لظهور الجواب ، عنه ظهوراً ما كان ينبغي معه أنْ يتساءلوا عنه))[٥] .

---

[١] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٣٢٣ .

[٢] دراسات في تفسير النص القرآني: ٢ / ٢٢٥ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ٨ / ١٦٣ .

[٤] ينظر : الأبعاد التداولية في الميزان في تفسير القرآن (أطروحة دكتوراه) : ٥٣ .

[٥] الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ١٣٩ .

يُلمح من كلام صاحب الميزان أنّه أشار إلى تساؤل القوم بعضهم بعضاً على أمرٍ، إذ إنّ سياق السورة سياق الجواب يغلب فيه الإنذار والوعيد، وكلاهما يصنف من أفعال الوعديات ، تأييد به أنّ كفار مكة من المشركين النافين للنبوة، والمعاد دون المؤمنين، ودون الكفار، والمؤمنين جميعاً[١] .

فيتبين أنّ كلامه يحقق دلالات ، ومنها : استثارة المخاطَب ، وتهيئته للحكم ، وحث المخاطَب للبحث عن الجواب التي خرجت عن دلالتها الظاهرة إلى دلالات أخرى أعمق، وأدق، وهذه الدلالة هي مراد السياق الذي وردت فيه .

وكما يرى (ديكرو) أنّ الاستفهام يفرض على المخاطَب إجابة محددة يمليها المقتضى الناشئ عنه، فيتم توجيه الحوار، ومن ثم يأتي لإجبار المخاطَب على الإجابة على وفق ما يرسمه البعد الاستفهامي[٢] .

إذ يتمتع التركيب الاستفهامي بأهمية كبيرة في بنية الخطاب الحِجاجي، وهذا ما أشار إليه السيد الطباطبائي في قوله: ((أصله عمّا، وما استفهامية تحذف الألف منها اطراداً إذا دخل عليه حرف الجر نحو : لمَ ، ومّمَ ، وعلى مَ ، وإلى مَ ...))[٣]، فأراد استعلام المتلقي بهذه الصيغة لما فيه من التأثير والتشويق، ثم التفصيل لتمكن الخبر في نفس السامع[٤] .

وفي موضع آخر أيضاً في قوله تعالى : **ﭽ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮓ ﮓ ﮔ ﮔ ۇ ۇ ۆ ﭼ** إبراهيم: ٣١ .

أفاد السيد الطباطبائي من بناءِ الوحدات التركيبية في النص ليستكشف ، ويوضح المعنى المقصود من قبل المتكلم حِجاجياً، إذ يقول : ((ومقول القول محذوف لدلالة الفعلين عليه، والتقدير : أقيموا الصلاة ، وأنفقوا ... ، والإشكال فيه بأنّ المجزوم في جواب الأمر يجب أنْ يكون مترتباً عليه ، ولا يلزم من الأمر بالصلاة ، والإنفاق أنْ يطيعوا ذلك))[٥] .

---

[١] ينظر: المصدر نفسه : ٢٠ / ١٣٩ .

[٢] ينظر: البُعد التداولي والحِجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل : ١٢٨ – ١٢٩ .

[٣] ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ١٣٩ .

[٤] ينظر: الحِجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية : ١١٧ .

[٥] الميزان في تفسير القرآن : ١٢ / ٤٦ .

وهذا المعنى المحذوف دلالة على تطييب النفوس ، ومناسب لضخامة الأمر، وتخفيف لأمر الحدث ، علاوة على السياق الخاص الذي يقتضي حذف مقول القول[١]، فالنتيجة أنّه بالإمكان أنْ نصل إلى الفعل الكلامي المركب اعتماداً على تصريح المتكلم، فنظرية أفعال الكلام ترى أنّ بعض الكلمات عبارة عن أفعال كلامية، وإنّنا عندما نتكلم بها ننجز أفعالاً عن طريق الكلمات المحددة ، وهذه الخطوة مفصلة في الفكر اللغوي ، وشغل كثير من الدارسين.

المبحث الثاني : الاستلزام الحواري :

أول من أطلق هذا المصطلح هو(غرايس) ؛ لأنّ اللازم فيه لا ينفك عن ملزومه[٢]، ويُراد به ((المعنى التابع للدلالة الأصلية، أو ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلاً مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر))[٣] .

فهو يُعدّ من أهم الركائز التي تعتمدها التداولية ، إذ تعود نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي ألقاها (غرايس) عام ١٩٦٧م، عنوانها (المنطق والحوار) في جامعة هارفارد ، وكانت نقطة البداية عنده أنّ الناس في تبادلهم للحوارات فيما بينهم قد يقصدون ما يقولون ، أو يقصدون أكثر ممّا يقولون ، أو يقصدون العكس ممّا يقولون، فتركزت دراسته على إيضاح الاختلاف بين ما يُقال وما يُقصد، فما يُقال هو ما تعنيه حقيقة اللفظ ، وما يُقصد هو ما يريد المتكلم إبلاغه على نحو غير مباشر اعتماداً على كثير من المرجعيات التي يمكن أنْ يصل المخاطَب إلى مراد المخاطِب[٤]، كما في قوله تعالى : ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ الأعراف: ٥٣، فالمراد من النص هو الاستفهام الذي خرج لمعنى التمني؛ لأنّ الاعتماد على المعنى الحرفي لا يفضي إلى دلالة المتكلم ومراده[٥].

وبهذا الفعل الكلامي يستطيع المحاجِج أنْ ينجز ((أفعالاً لغوية غير مباشرة باستعمال أفعال لغوية أخرى؛ لتدلّ على معنى آخر غير الذي وُجِدت له في حقيقتها، فتتوّلد عنها معانٍ أصلية وترد في سياقات تناسب المقام، ويكون ذلك بواسطة ما يسمّى بـ(قرائن الحال) إذ تخترق أحد شروط

---

[١] ينظر : التعبير القرآني: ٧٧ – ٨٠ .

[٢] ينظر: أدوار الاقتضاء وأغراضه الحِجاجية في بناء الخطاب ، بحث ضمن كتاب (الحِجاج مفهومه ومجالاته) :١٥٤/١ .

[٣] الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها : ١٨ (الهامش) .

.

[٤] ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٢ .

[٥] ينظر : التداولية وتحليل الخطاب (الرؤى والتمثلات) : ٨٧ .

إجراء المعنى الأصلي فيمتنع إجراؤه، ويتوّلد معنى آخر يناسب المقام))[١]، وينقسم الاستلزام الحواري على :

١- **الاستلزامات العرفية الحوارية المخصصة**[٢]: وهي المعاني ذات الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطاً وثيقاً ، وتلازمها ملازمة في مقام معين، ومن أمثلة ذلك في العربية (لكن)، فهي تستلزم دائماً أنْ يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقعه المخاطَب ، مثل : زيدٌ غني لكنه بخيل[٣] .

٢- **الاستلزامات الحوارية المعمّمة**[٤] : أو ما يسمى (الاستلزام النموذجي أو النمطي)[٥] ويُعرف بأنّه المعاني التي تُولد بحسب ما يعتري السياق من تغيرات ، فلا تُلازم حالة ، بل هي متغيرة على وفق طبيعة السياق الذي ترد فيه[٦]، فهو ((المعنى المُستفاد من السياق))[٧].

وثمة فرق بين الاستلزام الحواري والاقتضاء لابد الإشارة إليه وهو أنّ ((الاقتضاء مفهوم منطقي بينما الاستلزام مفهوم لساني تداولي، ذلك أنّ الاقتضاء يمتاز بكونه لا يتغير بتغير ظروف استعمال العبارة فهو ملازم لها في جميع الحالات والأحوال، أما الاستلزام فإنّه يتغير بتغير ظروف إنتاج العبارة اللغوية))[٨] .

ويقوم مفهوم الاستلزام الحواري عند (غرايس) على الكيفية التي تُستعمل فيها اللغة ، إذ يمكن للمتكلم أنْ يقول شيئاً ويقصد منه شيئاً آخر، وكيف يسمع المتلقي شيئاً ويفهم شيئاً آخر ؟ ، فتمكن (غرايس) من العثور على حلّ لهذه الاشكالية، فيما أطلق عليه بـ (مبدأ التعاون) بين المخاطِب والمخاطَب، وهو مبدأ حواري عام[٩]، وهو((مجموعة القواعد التي يخضع لها المتحاورون؛ ليتحقق

---

[١] دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم – مقاربة تداولية –: (بحث) :٢٠.

[٢] ينظر : الأبعاد التداولية عند الأصوليين ، مدرسة النجف الحديثة أنموذجاً: ٧٤ .

[٣] ينظر : التداولية عند العلماء العرب : ٣٥ ، والاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي : ٨٠ – ٨١ .

[٤] ينظر : الأبعاد التداولية عند الأصوليين ، مدرسة النجف الحديثة أنموذجاً : ٧٥ .

[٥] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٤٣٢ ، ونظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي : ١٦٢ .

[٦] ينظر : التداولية عند العلماء العرب : ٣٥ ، وأفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٣ .

[٧] النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ:٨٦ .

[٨] إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري (بحث) : ٢ .

[٩] ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٣ .

ليتحقق التواصل بينهم، وليصلوا إلى فائدة مشتركة تتطور بقدر ما يساهم كل طرف مساهمة فعّالة في الحوار، وبما يراه مناسباً لمقام القول))[١] .

ويتحقق الاستلزام الحواري عند خرق أحد مبادئ التعاون الحواري[٢]، وهذا الخرق هو الذي يولد الاستلزام الحواري[٣]، وهذه المبادئ ، هي :

١- **مبدأ الكم** : اجعل إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه الحوار، فلا تزيد أَو تنقص[٤] .

٢- **مبدأ الكيف** : ليكن قولك صادقاً، ولا تقل ما لا تمتلك دليلاً عليه[٥] .

٣- **مبدأ المناسبة** : ليكن كلامك في حدود مناسبة القول، أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فليس للمتكلم أنْ يخرج عن مناسبة الحديث[٦] .

٤- **مبدأ الطريقة** : على المتكلم على وفق هذه القاعدة أنْ يتجنب الغموض، واللبس، وأنْ يكون كلامه واضحاً، ويراعي الترتيب[٧]، ويتناول البحث تلك القواعد في حالة الخرق من خلال الآتي :

أولاً : مبدأ الكم :

ويُخرق مبدأ الكم بالزيادة ، أو النقصان ، بحسب حاجة طرفي الخطاب ، فعندما يتحقق الخرق لمبدأ الكم يتحقق الاستلزام الحواري[٨]، وقد أشار السيد الطباطبائي إلى هذا الأسلوب في مواطن وقف عليها محللاً ، ومنها :

١- **خرق مبدأ الكم بالزيادة** : من الأساليب التي تعامل معها السيد الطباطبائي في خرق مبدأ الكم بالزيادة هو أسلوب (التكرار)، الذي ورد في النص القرآني لغرض التوكيد في قوله تعالى: **ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ**طه: ١٨ .

(١) النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ:٩٠.

(٢) ينظر : التداولية عند العلماء العرب : ٣٤ .

(٣) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٣٥.

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٣٤ .

(٥) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها :٩٩ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه :١٠٠.

(٧) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٣٤.

(٨) ينظر : التداولية عند العلماء العرب : ٣٤ .

فيُلحظ أنّ اللازم على قاعدة الكم أنْ يكون الجواب (عصاي)، إلا أنّه قد تمّ خرق هذا المبدأ لفوائد ، وغايات العصا فأعطت معاني جديدة ، وقد استشف السيد الطباطبائي هذه الدلالات بقوله : ((والاستفهام للتقرير، سُئل (عليه السلام)، عمّا في يده اليمنى وكانت عصاه ، ليسميها ، ويذكر أوصافها فيتبين أنّها جماد لا حياة له حتى يأخذ تبديلها حيّة تسعى مكانه في نفسه (عليه السلام) ، ويمكن أنْ تكون الإشارة بتلك إلى العصا لكن لا بداعي الاطلاع على اسمها، وحقيقتها حتى يلغو الاستفهام بل بداعي أنْ يذكر ما لها من الأوصاف ، والخواص ، ويؤيده ما في كلام موسى (عليه السلام)، من الإطناب بذكر نعوت العصا ، وخواصها ، فإنّه لما سمع السؤال عمّا في يمينه وهي عصا لا يرتاب فيها فَهِم أنّ المطلوب ذكر أوصافها فأخذ يذكر اسمها ثم أوصافها ، وخواصها، وهذه طريق معمولة فيما إذا سُئل عن أمر واضح لا يتوقع الجهل به))[1].

فالسؤال هنا لم يكن للاستعلام عما في يد النبي موسى (عليه السلام) بل كان استفهاماً أُريد به تنبيههُ لما في يده من شيء حقير لا قيمة له، والفائدة المتوخاة من الاستفهام (ما) هنا يرجع إلى كون (ما) تُستعمل للسؤال عن غير العاقل – وهذا واضح – ومن المُحال أنْ يكون السؤال للاستعلام ؛ لانّ ذلك محال على رب العزة ، ففائدته أنّ الله سبحانه وتعالى قد أراد بعد سؤاله أنْ يُظهر من الحقير شيئاً نفيساً يعرضه أولاً على الحاضرين ويقول : ما هذا ؟[2] .

وقد استعمل كلمة العصا ليهشّ بها على غنمه ، وبها رحمة بالحيوان ، ولا يناسب استعمال كلمة غيرها، فهذا الاستعمال يتحول إلى فعل إنجازي يحمل في طياته التفاتات خفية ، وإشارات دلالية؛ لإثارة المتلقي، ولفت نظره إلى دقة التركيب ، وسر جماليته ، وسبب مجيئه بهذا البيان[3].

وأردف معللاً ذلك التكرار بقوله: ((وإطنابه (عليه السلام) ، بالإطالة في ذكر أوصاف العصا ، وخواصها قيل: لأنّ المقام هو مقام المناجاة ، والمسارة مع المحبوب يقتضي ذلك ؛ مكالمة المحبوب لذيذة ، ولذا ذكر أولاً أنّه عصاه ليرتب عليه منافعها العامة، وهذه هي النكتة في ذكر أنّها عصاه))[4] .

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ١١٦.

[2] ينظر : المصدر نفسه : ١٤ / ١٥١ .

[3] ينظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ١ / ٧٢٤ ، والبحث الدلالي في الميزان في تفسير القرآن : ١٤٩.

[4] الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ١١٧ ، وينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٨ / ٤٩١ ، والتحرير والتنوير: ١٦ / ٢٠٦ .

وهذه الدلالات الاستلزامية اعتمدت على خرق قاعدة الكم من قبل النص القرآني ، إذ فتح هذا الخرق الآفاق أمام السيد الطباطبائي لاستحصال المعاني الجديدة للنص، وهو أحد أقسام الإطناب في ((وضع الظاهر موضع المضمر))[١]، وقد تعامل معه من هذا الباب بقوله :(بإطنابه)؛ لأنّ الإطناب في سياقه أرجح عند بعض العلماء من الإيجاز في غير سياقه بوصفه يؤدي البيان على أتم وجه[٢].

ومن هنا يتضح أنّه كانت لدى السيد الطباطبائي نظرة حِجاجية في تحليل النص القرآني في حديثه عن خرق المتكلم لمبدأ من مبادئ التعاون الحواري، وهذا ما قال به التداوليون في خرق مبدأ الكم بالزيادة لغرض يقصده المتكلم[٣]، فهم يرون أنّ هناك علامات يتضمنها الخطاب يفهمها المتلقي، فيكون عن طريقها الخطاب ناجحاً، إذا فكك المتلقي النص الذي ركبه المتكلم بشكل سليم ؛ لأنّهم يعدون اللغة طريقة التواصل بين المتحدثين ، يتم بوساطتها توصيل الأفكار[٤]، وهذا ما نلاحظه في كلام السيد الطباطبائي في هذا الموضع .

٢- **خرق مبدأ الكم بالنقصان** : إنّ خرق مبدأ الكم بالنقصان الذي أشار إليه السيد الطباطبائي عن طريق شرحه ، ومعالجته لبعض النصوص القرآنية بالتحليل، والتفسير، هو طريق الحذف لمبدأ الكم بالنقصان ، ومن ذلك ما تحدث به في قوله تعالى : **چ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ** الأعراف: ٣٨ .

أشار السيد الطباطبائي إلى أنّ هناك حذفاً في النص ، وعلّله بالإيجاز؛ لأنّ ذكره يؤدي إلى خلل في المعنى، ولا يؤدي الغرض الذي سيق الخطاب لأجله؛ لأنّ المقام مقام الحذف لا الذكر، قال : ((فيفيد فائدة التكنية بالإشارة إلى الملزوم وإفادة الملازمة، و فيه مع ذلك نوع من الإيجاز، فإنّ فيه اكتفاء بمحاورة واحدة عن محاورتين، والتقدير قالت أخراهم لأولاهم : أنتم أشد ظلما منا لأنكم ضالون في أنفسكم وقد أضللتمونا فليعذبكم الله عذابا ضعفا من النار، ثم رجعوا إلى ربهم بالدعاء عليهم و قالوا ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا... إلخ))[٥] .

---

[١] معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١ / ٢٧٤ .

[٢] ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٢٠٢ .

[٣] ينظر : التداولية عند العلماء العرب : ٣٤ .

[٤] ينظر : المدخل إلى علم اللغة: ٧٠ – ٧١ .

[٥] الميزان في تفسير القرآن : ٨ / ٩٤ .

لقد تعامل صاحب الميزان مع الحذف الذي ورد في النص من باب علم السامع به ، وهو لدى التداوليين خرق لمبدأ الكم بالنقصان أيّ : ((أنْ يكون إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار))[١]، وعرض المسألة من باب الإيجاز بالحذف ((ويكون بحذف كلمة ، أو جملة ، أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف))[٢]، والمحذوف في النص هو الجملة التي قام بتعينها إذ يقول : (قالت : أخراهم لأولاهم أنتم أشد ظلما منا لأنكم ضالون في أنفسكم)؛ بوصفه متلقياً للنص ، فقد عمل على معرفة معنى النص اعتماداً على الحذف الموجود فيه؛ لأنّ من التداوليين من يقول : ((إنّ المتكلمين هم الذين يوصلون المعنى عبر التضمينات ، وإنّ المستمعين هم الذين يتعرفون على هذه المعاني الموصولة عبر الاستدلال ، وإنّ الاستدلالات المختارة هي التي ستبقى على إفتراض التعاون قائماً))[٣]، وهو ما عمل عليه السيد الطباطبائي في تحليله للنص ؛ لأنّ كتاب الله تبارك وتعالى قد راعى كثيراً من الجوانب التي يتعامل بها العرب في لغتهم .

يُزاد على ذلك أنّ صاحب الميزان كانت لديه ملامح المقاربة التداولية في التعامل مع الحذف الذي ورد في النص، لماذا يحذف المتكلم؟ وما الغاية من الحذف ؟ فيقول العلماء : أنّ ((النقص في المعلومة بإمكانه أنْ يجعل المستمع يفكر، ويستنتج بأنّ ثمة نوعاً من القصدية المحددة وراء عدم الانتظام الإخباري))[٤]، فوجد أنّ حالة الخرق التي حصلت بالزيادة جاءت لغرض التوكيد ، وحالة الخرق بالنقصان جاءت حفاظاً على المعنى، والذي ((يتيح للمتكلم أنْ يكثف المعنى في أقل ألفاظ ، وهذا التكثيف يجعل قيمة لكل لفظة من كل هذه الألفاظ القليلة فيحصر المعنى المراد إبلاغه بطريقة تفضل الكلام المسهب الذي ينتشر فيه المعنى انتشاراً يعسر على المتلقي مثلاً أنْ يلم به))[٥] .

فضلاً عن أنّ القوة الحِجاجية التي تحققت في الفعل الماضي بـ (أضلونا) ، قد جاءت متناسبة مع سياق الآية للدلالة على المعنى المراد تحقيقه[٦]، ويشير هذا البناء إلى أنّ الحدث وقع في زمن زمن الماضي مرات عدّة كما أشار إلى ذلك السيد الطباطبائي ، قائلاً : ((يكون الضعف عذابنا ؛

---

[١] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٩٦ .

[٢] البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع: ٢٤٢ .

[٣] التداولية: ٧١ .

[٤] مدخل إلى دراسة التداولية (مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل): ٨٦ – ٨٧ .

[٥] البحث الدلالي في الميزان في تفسير القرآن : ٢٤٦.

[٦] ينظر : صيغة فَعَلَ في القرآن الكريم (دراسة صرفية دلالية): ٢٢٦ .

لأنّهم ضلوا في أنفسهم ، وأضلوا غيرهم بالإعانة (قال)، الله سبحانه (لكل)، من الأولى ، والأخرى (ضعف من العذاب)))[1] .

ثانياً : **مبدأ الكيف** :

ويقتضي هذا المبدأ أَنْ يكون المتكلم صادقاً في قوله، ويؤدي خرقه إلى نوع من أَنواع الاستلزام الحواري حتى يُوصِل المخاطِب ما يريد إبلاغه إلى المخاطَب[2]، وقد تلمس السيد الطباطبائي هذا النوع في تفسيره لبعض الآيات، فمثال ما استُعمِل فيه خرق مبدأ الكيف في قوله تعالى : **چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ**ق: ١٦ .

نقل الليث عن الخليل(ت١٧٥هـ) قوله: ((حبل الوريد: عرق يدر في الحلق، والوريد: عرق ينبض من الحيوان لا دمَ فيه))[3]، وقال الفراء: ((الحبل هو الوريد بعينه أضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسميه، والوريد:. عرق بين الحلقوم والعلباوين))[4] .

يُلحظ أنّ الله لم يُرد أنْ يخبرنا بالقرب المكاني ، ولا مجال لحمل الآية عليه، لتنزهه سبحانه عن المكان، فمراد الآية بيان القرب المعنوي ، إذ نوه إلى ذلك السيد الطباطبائي بقوله : ((الوريد عرق متفرق في البدن فيه مجاري الدم ، وقيل هو العرق الذي في الحلق ، وكيف كان، فتسميته حبلاً لتشبيهه به، وإضافة حبل الوريد بيانية ، والمعنى : نحن أقرب إلى الإنسان من حبل وريده المخالط لأعضائه المستقر في داخل بدنه فكيف لا نعلم به وبما في نفسه؟ ، وهذا التقريب للمقصود بجملة ساذجة يسهل تلقيها لعامة الإفهام وإلا فأمر قربه تعالى إليه أعظم من ذلك وأعظم، فهو سبحانه الذي جعلها نفساً ، ورتب عليها آثارها فهو الواسطة بينها ، وبين نفسها ، وبينها وبين آثارها ، وأفعالها فهو أقرب إلى الإنسان من كل أمرٍ مفروض حتى في نفسه ، ولكون هذا المعنى دقيقاً

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ٨ / ٩٥ ، وينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١/ ١٤١ .

[2] ينظر : مدخل إلى الدلالة الحديثة: ٣١ .

[3] العين : ٢٣٦/٣ ، وينظر: تهذيب اللغة : ٥١/٥ .

[4] معاني القرآن (الفراء) : ٧٦/٣ .

يشق تصوره على أكثر الأفهام عدل سبحانه إلى بيانه بنحو قوله : (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)))[1] .

فالقرب هنا ((كناية عن إحاطة العلم بالحال؛ لأنّ القرب يستلزم الاطلاع، ومن لطائف هذا التمثيل أنّ حبل الوريد مع قربه لا يشعر الإنسان بقربه لخفائه...، فلذلك اختير تمثيل هذا القرب بقرب حبل الوريد))[2] .

فلم يكن هناك قرب حقيقي في الأمكنة، وتقديم الأخبار بهذه الصورة يُراد به معنىً مستلزم، هو العلم بأحوال الإنسان وخفاياه، وقد فَهم المتلقي ذلك بصورة استدلالية، فلم يحمل الكلام على حقيقته في المكان، مع تأييد السياق للعلم بما توسوس به النفس، عُلم أنّ المقصود علم الله بدقائق الإنسان ، وأعماله، وما يكنه في صدره من خواطر وأسرار، وقد نشأت عن ذلك الاستلزام صورة بيانية تمثلت بالكناية والتمثيل[3]، هذا من جانب .

ومن جانب آخر فإنّ صيغة (أقربُ) التي وردت قد دلتْ على التفضيل ، واستمرارية الأمر، وتكراره ، وديمومته ، بعكس الفعل الماضي الذي يدل على تحقيق الأمر، أو الفعل المضارع الذي يدل على الحال والاستقبال ، ويُراد بالصيغة هنا إثبات الوصف لمحله، ومن حيث الزمن فاسم التفضيل يدلُّ في معظم صوره على الاستمرار والدوام، ما لم توجد قرينةٌ تعارض هذا، فهذه الصيغة تهدف إلى استلزام يُستفاد من دلالته في أصل الوضع وهي الاستمرارية والديمومة والتكرار[4] .

وإنّ (أفعل التفضيل) يعدّ من الأدوات اللغويّة التي يستند إليها أصحاب الحجاج اللغوي للتدليل على الحِجاجيّة اللسانيّة للملفوظ، فهو يستعمل حجاجيا لتقويم الأشياء أو الأشخاص في الخطاب، فيشير بذلك إلى ترتيب يقع في أعلى السلم الحجاجي[5] .

وخرق هذه القاعدة لا يعني بالضرورة خروج الخطاب عن مبدأ التعاون فما يوصف بالاستعارة هو الذي يؤدي إلى إعادة إنتاج المعنى، والمتكلم حين يعدل بقوله من الخطاب الصريح إلى الاستعارة لم يخرج من دائرة الوضوح، ويدخل في دائرة الإبهام، بل إنَّ هذه الاستعارة هي ما

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٢٨٢ .

[2] التحرير والتنوير : ٣٠١/٢٦ .

[3] ينظر : السور المكية في القران الكريم مقاربة تداولية (رسالة ماجستير) : ٥٤ .

[4] ينظر : النحو الوافي: ٣ / ٣٩٥ .

[5] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٥٠٧ – ٥٠٨ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ .

تضيف زيادة إلى المعنى، و يضفي عليها طابعاً حجاجياً؛ لأنَّه هو من يُحدث أثراً في المتلقي[١] .

يخلص البحث من ذلك إلى وجود خرق لمبدأ الكيف في آلية الحِجاج التي تلمسها السيد الطباطبائي في بعض الآيات القرآنية بتقديم الأدلة، والبراهين على قوله، والذي يُعدّ لدى التداوليين أحد مبادئ التعاون الحواري الذي نحن بصدده .

ثالثاً : **مبدأ المناسبة** :

بناءً على هذه القاعدة لابد أنْ يطابق القول السياق الذي يقال فيه، فلا يخرج عن مناسبة الحديث، بمعنى أنْ يكون الكلام مناسباً للموضوع ، أمّا إذا كان هناك خرق لمبدأ المناسبة ، فإنّ الكلام يخرج عن مناسبة الموضوع لغاية ما يتخذها المخاطِب لإيصال المعلومة للمخاطَب[٢] .

ويلحظ أنّ السيد الطباطبائي قد تعامل مع مسائل خرق مبدأ المناسبة عن طريق تحليله لبعض الآيات القرآنية ، ومنها قوله تعالى : **چ ٹ ٹ ،ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ، ٹ ٹ ڤ ڤ ،ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ** الذاريات:١٠ - ١٣ .

إذ يقول فيه : ((والسؤال بأيان – الموضوعة للسؤال عن زمان مدخولها – عن يوم الدين وهو ظاهر في الزمان إنّما هو بعناية أنّ يوم الدين لكونه موعوداً ملحق بالزمانيات فيسأل عنه كما يسأل عن الزمانيات بأيان ، ومتى ... ، ويمكن أنْ يكون من التوسع في معنى الظرفية بأنْ يعد أوصاف الظرف الخاصة به ظرفاً توسعاً فيكون السؤال عن زمان الزمان سؤالاً عن أنّه بعد أي زمان ، أو قبل أي زمان ...))[٣] .

فقد سألوا عن زمن وقوع يوم الدين، فكان الأصل في جوابهم أنْ يُقال: في يوم كذا ، أو سنة كذا، ولكن أجابهم الله سبحانه بقوله: (يوم هم على النار يفتنون)، فكما أنّهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب لحصول العلم، كذلك لم يجبهم سبحانه جواب مجيب معلم مبين[٤] .

---

[١] ينظر : السيميائية وفلسفة اللغة: ٢٣٧.

[٢] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٨ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٣٠٠ ، وينظر : مثلاً : ١ / ٢٣٥ ، ٢ / ١٣٢ ، ٤ / ٥١ .

[٤] ينظر : المصدر نفسه : ١٨ / ٢٩٩ ، والتحرير والتنوير: ٢٦ /٣٤٥ .

فالسؤال عن زمان يوم الدين يدل على وقوعه ، فالتقدير: أيان وقوع يوم الدين ، أو حلوله ؛ لأنّ أسماء الزمان حقها أنْ تقع ظروفاً للأحداث لا للأزمنة، إذ هم حين قالوا: إيان يوم الدين، أرادوا التهكم ، والإحالة، فتلقى كلامهم بغير مرادهم ؛ لأنّ في الجواب ما يشفي وقع تهكمهم[1] .

فيُستشف من ذلك نقطة التحول في الأسلوب الذي أنشأ الاستلزام الحواري في عدم ملاءمة الجواب للسؤال لجريانه على الأسلوب الحكيم، والمعنى المستلزم من ذلك هو النهي عن تهكمهم ، والوعيد لهم تعريضاً بطريقة تفكيرهم التي ينبغي أنْ تكون على الأهم، والأهم هنا طريقة النجاة ، والعمل لمرضاة الله لا السؤال عن وقت ذلك اليوم بصورة تهكمية ، فالاستلزام الحواري إذن تولد عن عدم الملاءمة ، فالتعابير التي تخرق هذا المبدأ تتضمن ، وتحيل على تعابير مضمرة تظهر في سياقات معينة .

فالسيد الطباطبائي قد تلمس هذا الخرق في تفسيره لهذا النص، والذي يكون لغاية يبتغيها المتكلم في تعبيره ، وهذا يعني أَنّ خرق مبدأ المناسبة هي (استراتيجية) خطابية يعمد إليها منشئ الخطاب لغاية يكشفها السياق، وهذا يدل على أنّ انتهاكه يتحقق في كل خطاب يُراد به عكس ما يُقال، أَو قول شيء غير متوقع[2] .

رابعًا : مبدأ الطريقة :

لابد للمتكلم على وفق هذه القاعدة أَنْ يكون كلامه واضحاً خالياً من الغموض، والتطويل غير ملتبس، وتحصل ظاهرة الاستلزام الحواري إذا تمّ خرق مبدأ الطريقة، لإيصال المعنى إلى المخاطَب ، وإنجاح الحوار بين طرفي الخطاب[3]، وقد أشار السيد الطباطبائي إلى ذلك ، في حديثه عن قوله تعالى : **ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ**الفاتحة: ٥ .

إذ قال : ((فهو تعالى مالك على الإطلاق من غير شرط ولا قيد وغيره مملوك على الإطلاق من غير شرط ولا قيد فهناك حصر من جهتين، الرب مقصور في المالكية، والعبد مقصور في العبودية، وهذه هي التي يدل عليها قوله: إياك نعبد، حيث قدم المفعول وأطلقت العبادة))[4] .

---

[1] ينظر : مفاتيح الغيب: ٢٨/ ١٦٤ .

[2] ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:١٨٢ .

[3] ينظر : التداولية عند العلماء العرب : ٣٤ .

[4] الميزان في تفسير القرآن : ١ / ٢٥ .

وقال أيضاً : ((والوجه في الحصر الذي يفيده تقديم المفعول، والوجه في إطلاق قوله: نعبد، والوجه في اختيار لفظ المتكلم مع الغير، والوجه في تعقيب الجملة الأولى بالثانية، والوجه في تشريك الجملتين في السياق))[١] .

إذ يرى أنّ العرب لا تقدم ولا تؤخر إلا لسبب، والسبب هنا هو التخصيص لازم للتقديم في معنى" إِيّاك نَعْبُدُ وَإِيّاك نَستَعِينُ" يقولون نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك، فإنّهم يرون إنّ هذا التقديم إنّما هو((تقديم يقال إنّه على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل))[٢]، وإنَّما كون المفعول لا يقتضي له أنْ يكون بعد الفاعل، فإذا قُدِم على الفاعل نوي به التأخير[٣]، وقد اعتمد السيد الطباطبائي على السياق للوصول إلى مراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي ذُكِر في النص، وهذا ما يبحث عنه التداوليون الذين يعتمدون على المخاطَب في فك الشفرات التي ترافق النص، إذ يرون أنّه ((يبرز دور المخاطَب في وظيفته التي يقوم بها عند تلقيه الخطاب وهي وظيفة التفكيك، أي تفكيك الرسالة اللغوية، وهو دور إيجابي من حيث كونه مكملاً لعملية التركيب التي قام بها المخاطِب؛ وذلك لأنَّه ليس هناك عملية تخاطب يتم إنجازها دون أن تمر بمرحلتي التركيب والتفكيك))[٤] .

ممّا سبق يُلحظ أنّ السيد الطباطبائي قد توصل في قوله تعالى : (إِيّاك نَعْبُدُ وَإِيّاك نَستَعِينُ)، إلى نتيجة مفادها: إنَّما قُدم المفعول على الفعل والفاعل لغاية التخصيص؛ لأنّه لو لم يُقدم المفعول على الفعل والفاعل لحصل إشكال في المعنى يذهب بالمتلقي إلى معنى آخر غير الذي سيق الخطاب لأجله، إذ يقول صاحب الكشاف: ((وجب أنْ يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله ـ عز وجل ـ بالابتداء، وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله:" إِيّاك نَعْبُدُ " ، حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص))[٥] .

فالهدف المبتغى، والغاية المرجوة من انتهاك مبدأ الطريقة بحسب ما يرى صاحب التفسير، إنّما جاءت لأمر ضروري تتوقف عليه كثير من القضايا؛ لذلك أطّرَ المسألة باستناده إلى رواية الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال : ((وروي بطريق عامي عن الصادق (عليه السلام): في قوله

---

[١] المصدر نفسه : ١/ ٢٧ .

[٢] دلائل الإعجاز في علم المعاني:١٠٦/١.

[٣] ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٢٤٨ .

[٤] المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية : ١٥٥.

[٥] الكشاف : ٣/١.

تعالى: إياك نعبد الآية، يعني: لا نريد منك غيرك ولا نعبدك بالعوض والبدل: كما يعبدك الجاهلون بك المغيبون عنك))[1] .

فالمتكلم وإنْ خرق أحد مبادئ التعاون فإنّه متعاون في المبدأ التخاطبي العام مع المخاطَب ، فهو يعطيه حافزاً، ومثيراً للبحث عن المعنى المضمر ما يضمن له المشاركة فاعلة في الخطاب يتوصل عبرها إلى فهم المعنى الضمني المستلزم من المعنى الحرفي الذي يتجدد فهماً، وتأويلاً ، فالاستلزام هنا حدث لوجود الاشتراك في الخطاب فخرق المبدأ بقصده إلى الغموض، والالتباس لمعنى لا يمكن إدراكه إلا بالتأويل، وهذا ما تكشفه القرائن[2]، هذه مجمل القواعد الحوارية التي تلمسنا مقاربتها في الميزان، إذ يمكن أنْ نلحظ الخروقات الخطابية لقواعد (غرايس)، قد تجلت تطبيقاتها في الآيات الكريمة على وفق مقتضيات السياق التخاطبي ، وعملية التواصل، وأمكننا الكشف عن ذلك بطريقة الاستدلال التي تستند إلى معايير من داخل الخطاب وخارجه، بغية إيضاح القصد التداولي الحِجاجي للخطاب، وقد برع السيد الطباطبائي في المسك بزمام المقاصد الخطابية ، وتبيينها عن طريق الاستدلال .

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ١/ ٣٦ .

[2] ينظر : محاضرات في فلسفة اللغة :٢٩.

المبحث الثالث : متضمنات القول :

يُعدّ هذا المفهوم من المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها المنهج التداولي؛ إذ يؤلف حلقة متصلة مع حلقات البحث التداولي الأخرى ، وقد أخذ بُعداً جديداً في ضوء الأبحاث التي قام بها (غرايس)، ليشمل ((كلّ ما يكتشفه الخطاب من هوية المتكلمين وشخصيتهم، ومن علاقاتهم المتبادلة، ومن كل الشروط المختلفة للتبادل اللغوي))[١] .

فمتضمنات القول : هي ((رصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية ، وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال ، وغيره))[٢]، أي أنّه معيارٌ للبحث في معنى المتكلم ومقاصده التي لا يعبر عنها الشكل اللغوي ، ويُعدّ هذا المعنى جزءاً أصيلاً من الدلالة العامة للخطاب[٣]، ولما كان ذلك القصد ، أو المعنى هدف العملية التواصلية ، وبغيتها، فلا عجب أنْ يلقى المعنى كل ذلك الاهتمام والعناية[٤] .

وفي متضمنات القول يؤدي المقام أثراً كبيراً في الكشف عن درجات العمق المعنوي ، مع الأخذ بالحسبان خصوصية النص القرآني لكونه خطاباً إنسانياً يحمل من الناحية الدلالية تشابهاً، أو تطابقاً مع مواقف أخرى[٥] .

وتتشكل متضمنات القول من نمطين ، هما : الافتراض السابق ، والقول المضمر .

---

[١] السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة : ٤١ .

[٢] التداولية عند العلماء العرب : ٣٠ .

[٣] ينظر : قوانين الخطاب في التواصل الخطابي (بحث) : ٢٢٠.

[٤] ينظر : المضمر: ٦٢٠ .

[٥] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٩ .

أولاً : **الافتراض السابق** :

يُعرف بأنّه: ((مفهوم برجماتيكي تتضمنه العبارة في المقام الذي ترد فيه من حيث المعلومات المشتركة لدى المتكلم، والمخاطَب))[١]، أو هو ((الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات ، والبنى التركيبية العامة))[٢] .

فالافتراض السابق قد يكون ذا طبيعة لسانية ، يمكن إدراكه عن طريق العلاقات اللغوية التي يتضمنها القول ، التي لم يُفصح عنها المتكلم فهو يُعد من عمليات التبليغ لا يُصرح بها المتكلمون ، وهي تشكل خلفية ضرورية لنجاح العملية التبليغية[٣] .

يتضح أنّ الافتراض السابق آلية من آليات المنهج التداولي يُعنى بدراسة المعطيات، والمعارف المشتركة بين المتكلم ، والمتلقي، أو بين ما ينبغي أنْ يكون معروفاً، أو يُفترض العلم به مسبقاً قبل التفوه بالخطاب[٤]، وهو مظهر مهم في العملية الحِجاجية بين المتخاطبين؛ إذ يدخل المخاطَب ضمن اعتقادات المخاطِب بغية فرض قوله ، وما يستلزمه حِجاجياً[٥] .

ويُعدّ الافتراض السابق من القضايا اللغوية التي أسهمت في تطور الخطاب التداولي، وبخاصة التداولية المدمجة، بوصفه المحتوى الذي تبلغه الجملة بكيفية غير مباشرة ، أي استعمال اللغة في مقامات معينة، فضلاً عن مقاصد المتكلم[٦]، ممّا يسوغ الافتراض السابق المعنى السياقي العام

---

[١] علم الدلالة السيمانيتيكية والبراجماتية : ١٧٦ .

[٢] التداولية عند العلماء العرب : ٣٠– ٣١ .

[٣] ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها: ٣٤ .

[٤] ينظر : التداولية : ٥٢ – ٥٣ .

[٥] ينظر : نظرية الحِجاج في اللغة بحث ضمن كتاب ، (أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) : ٣٧٤ .

[٦] ينظر: الاقتضاء التخاطبي دراسة تداولية في آيات من سورة الأنعام بحث ضمن كتاب (التداولية في البحث اللغوي والنقدي) : ٤٢٤.

الذي يحتضن التخاطب[١]، ومن هنا كان من الضروري أنْ تكون بين المتخاطبين قضايا خلفية مشتركة فهي المحرك لعملية التبادل التواصلي بينهم، إذ لا وجود للتواصل ما لم يكن قائماً على خلفية معرفية مشتركة بين المتخاطبين .

ولأهمية الافتراض السابق في عملية التواصل والإبلاغ، فقد كان محط أنظار العلماء الذين نبّهوا إلى توخي الحذر والدقة في دراسته، بالتفريق بين (الافتراض السابق المنطقي) وهو الاستعمال العام للفظ الافتراض السابق في لغة الحياة اليومية، و(الافتراض السابق التداولي) وهو : الاستعمال الاصطلاحي في البحث التداولي[٢]، وهذا ما يحاول البحث إثباته عند السيد الطباطبائي في تفسيره.

١ – التعريف :

يرتبط مفهوم التعريف ارتباطاً وثيقاً بمدى معرفة المتكلم ، والمخاطَب ، آخذاً بالتصور افتراض علم المخاطَب بالشيء المراد ، فالعلم يقتضي التعريف[٣] .

ومن علامات التعريف هي التعريف بـ (أل)، يقول سيبويه : ((وأما الألف واللام فنحو (الرجل) و(الفرس) و(البعير) وما أشبه ذلك، وإنّما صار معرفة؛ لأنّك أردت بالألف ، واللام الشيء بعينه دون سائر أمته، لأنّك إذا قلت: مررتُ برجلٍ، فإنّك إنّما زعمت أنّك إنّما مررت بواحدٍ ممّن يقع عليه هذا الاسم، لا تريد رجلاً بعينه يعرفه المخاطَب، وإذا أدخلتَ الألف، واللام فإنّما تُذكّره رجلاً قد عرفه، فتقول: الرجل الذي من أمره كذا وكذا؛ ليتوهم الذي كان عهده ما تذكر من أمره))[٤] .

فأداة التعريف تشير إلى المعلومات المشتركة ، والسابقة بين المتحاورين في عُرفِ التداوليين، ويُلمس البعد التداولي من أنواع (أل) التعريفية هو العهد الذهني، كأنْ يكون بين المتكلم، والمخاطَب عهدٌ مسبق[٥]، ونستطيع أنْ نستدل على ذلك عن طريق وقوف صاحب التفسير على

---

[١] ينظر : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي :١١٣ .

[٢] ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢٨ – ٢٩ .

[٣] ينظر : مراعاة المخاطب في النحو العربي : ١١٨ ، والتعريف والتنكير بين الدلالة والشكل: ٨١ .

[٤] الكتاب: ٢ / ٥ .

[٥] ينظر : معاني النحو) : ١ / ١٠٥ – ١٠٦ .

قوله تعالى: ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ

المزمل:١٥- ١٦ .

قال السيد الطباطبائي : ((وفي التعبير عن موسى بالرسول إشارة إلى أنّ السبب الموجب لأخذ فرعون مخالفته أمر رسالته))[١]، وأشار إلى ذلك في موضعٍ آخر، إذ قال : ((ويبقى الكلام على التعبير عن موسى ، وهو يخاطبه بالرسول))[٢] .

يُفهم من كلامه أنّ الخطاب هنا موجه لأهل مكة، وقد نكّر الرسول ثم عرفه ؛ لأنّه أراد القول: أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل، فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه[٣]، فتنكير لفظ (رسولاً) الأول إشارة إلى معلومة لاحقة لم تخصص بعد، إذ يتوقع السامع أنْ يخبر أكثر عن هذا الرسول في لفظ (الرسول) جاء معرفاً؛ لأنّه مذكور من قبل، أي يمتلك المخاطَب معرفة مسبقة به، فـ ((لما جرى ذكر الرسول المرسل إلى فرعون أول مرة جيء به في ذكره ثاني مرة معرفاً بلام العهد وهو العهد الذكري، أي: الرسول المذكور آنفاً، فإنّ النكرة إذا أعيدت معرفة باللام كان مدلولها عين الأولى))[٤].

وبهذا الإسهام تقدم أداة التعريف دليلاً، وإشارة على المعلومات السابقة بين المتحاورين، وبها تُثار لدى المتلقي عمليات ترتيب معينة ضرورية لفهم المعنى عن طريق الاستعمال الموجه لأشكال التعريف[٥]، وهذا يؤدي إلى البلاغة، ويتعدى المعنى النحوي المكتسب من التركيب إلى الغوص في أعماق الآية، واقتناص أدق المعاني من ثراء دلالة النظم، والسياق والذي به يطبق شرط الافتراض السابق[٦] .

لقد أدرك السيد الطباطبائي أثر الافتراض السابق في فهم النص القرآني عن طريق الارتكاز على المعطيات السياقية المنوطة بالنص ، فالمفسر يعلم أنّه ((في كثير من الأحيان يكون للآية مفهوم إذا فُسرِت منفردة، يختلف كل الاختلاف عن مفهومها إذا ما وضعت جنب الآيات المشابهة لها في المضمون))[٧] .

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٦١ .

[٢] المصدر نفسه : ١٤ / ١٦٠ .

[٣] ينظر : الكشاف : ٦٤١/٤ .

[٤] التحرير والتنوير : ٢٧٤/٢٩ .

[٥] ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصي : ٢٩ .

[٦] ينظر : دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة: ٢٦٩.

[٧] التحرير والتنوير : ٨ / ٢٧٩ .

فـ(ال) التعريفية تُستعمل للعهد الذهني الذي يعتمد معرفة سابقة من دون ذكر لفظي سابق في عملية التخاطب ، بل توصل إليها المفسر عن طريق معرفة سابقة اعتمد عليها بأدوات القرائن النصية والخارجية، المتمثلة بعبارة (رسولٍ) و (الرسول)، هي استدلالات تحيل ذهنياً على ما ارتسم في ذهن المخاطَب عن أمر الله سبحانه وتعالى نبيه موسى (عليه السلام)، أنْ يأخذ برسالته ، وكلامه بقوةٍ ، فالمتكلم سبحانه وتعالى، يرسل إشارات ليحفز ذهن المخاطِب لتذكيره بعهدٍ سابقٍ مرتبط بذلك الاسم المقترن بتلك العلامة، إذ ((لا قيمة للكلمات في البنية التركيبية إلا من خلال السياق الخارجي الذي يجسد فعليتها، فقيمتها التداولية لا تتعلق بدلالتها الأولية، بل تتحقق من ملاقاتها بالواقع الذي يجسد إنجازيتها))[١] .

فالحديث الواقع محكوم بـ ((العلاقة المفترضة بين المتكلم، والمستمع في أثناء الاتصال الكلامي، والفيصل في ذلك هو درجة علم السامع بالشيء المراد))[٢]، وهذا يعني أنّ المتكلم عندما يبلّغ متلقي الكلام خطاباً ما، فإنّه يقوم بتوظيف اللغة على وفق أسلوبٍ معين بناءً على قدرة المتلقي في استيعاب المعنى المقصود من ذلك الخطاب[٣]، وهذا ما يسمى بالافتراضات السابقة للمناسبة اللغوية[٤]، فالهدف إذن من التعريف هو إفادة المتلقي إفادة تامة لتحديد الأبعاد الدلالية وما يرتبط بها.

٢- الصفة :

ويُراد بها : ((التابع المشتق أو المؤول به المباين للفظ متبوعه))[٥]، أي أنّ الهدف من الوصف هو تعريف الأسماء ، وتقريبها إلى ذهن السامع حتى لا تلتبس بغيرها ؛ لأنّها وسيلة للإيضاح ، والبيان للاسم السابق ، ويمكن استجلاء تلك المسألة التي أشار إليها السيد الطباطبائي في تفسيره لقوله تعالى : **ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ**البقرة: ٨٠ .

---

(١) المرجعية اللغوية في النظرية التداولية (بحث) : ١٣ .
(٢) التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل : ٨٢ .
(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٨٣ .
(٤) ينظر : الأبعاد التداولية عند الأصوليين ، مدرسة النجف الحديثة أنموذجاً : ١٩٧ .
(٥) حاشية الدسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ١٣ .

قال السيد الطباطبائي : ((وهي أيام عبادتهم للعجل، قابلهم الله تعالى خطاباً بما يظهر به كذبهم في دعواهم ، وأنّهم يعلمون ذلك من غير تردد وارتياب))[١] .

يُستشف من كلامه أنّه لم يبين عدد الأيام في تفسيره للنص معتمداً على الافتراض السابق ، فظن للسبب الذي لم يُذكر من أجله العدد ، وهو أنّ مدة عبادتهم للعجل كانت معلومة عندهم ، وهي أربعون ليلة ، فلما كان معناها مؤقتاً معلوماً عندهم وصفوه بمعدودة[٢]، فبيّن سبب عدم ذكر العدد هو علم المخاطَب بها ، فهو يراعي المخاطَب ، ومدى بيان الخطاب له ، وما يحتاجه حتى يفهم الخطاب ، إذ عمل في تحليله للآية القرآنية على وفق الافتراض السابق، ومن هنا كان مُسلّماً به من طرفي الخطاب؛ ليؤدي التفاهم، والتواصل بين أطراف الخطاب ، فهو يُعدّ اللحمة التي ينسجم بها الخطاب[٣] .

إنّ التأمل في النص يُفصح عن إيجاد المعرفة الخارجية المتمثلة بعلم المخاطبين فهم يعلمون سلفاً بعدد الأيام ، التي تُسعف المتلقي بفيض من التوقعات التي تسبق عملية التلفظ فيسهل عليه إدراك قصد المتكلم ، وقد تضافرت مع هذه المعرفة، معرفة أخرى وهي اللغة ، واستعمالها بوصفها أداة إجرائية في التحليل التداولي ، وهذا ما يصدق على (الصفة)، واستعمالها الذي تحقق بعبارة (معدودة) الذي أعطى بُعداً تداولياً حِجاجياً لما له الأثر الواضح في تفسير النص ، ففيه يكون ((جمع غير العاقل إنْ كان بالإفراد يكون أكثر من حيث العدد من الجمع السالم كأنهار جارية وأنهار جاريات، فالجارية أكثر من حيث العدد من الجاريات))[٤]، فمعدودة هي جمع كثرة ، وهي أكثر من استعمال لفظة (معدودات)[٥] .

فالكفاية اللغوية ترى أنْ يكون السامع عالماً باختصاص اللفظ بما جرى عليه في التركيب النصي، والكفاية التداولية ترى أنّ مثل هذا الحدث الديني من شأنه ألا يخفى عليهم ، وهاتان الكفايتان لا تخرجان عن مفهوم الافتراض السابق الذي يبلور نتيجة الخلفية المعرفية[٦] .

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١ / ١٩٠ .

[٢] ينظر : الخطاب القرآني دراسة في البُعد التداولي : ٤٢ .

[٣] ينظر : مبادئ التداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين: ١١٨ .

[٤] لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ١/ ٥٤٨ .

[٥] ينظر : المصدر نفسه : ١/ ٥٤٨ .

[٦] ينظر : التداولية : ١٣٠ .

فالسيد الطباطبائي وإنْ لم يصرح بالافتراض السابق إلا أنّ تحليلاته للبنى اللغوية أشارت إلى ذلك، وبمقتضى ذلك نقول : إنّ (الصفة) مفهوم تواصلي يقوم على علاقة تخاطبية تبنى على المعلومات المتبادلة بين المشتركين في عملية التواصل ، وعلى الذاكرة المستمدة من التخاطب ، والسياق المقالي لتعيين العنصر المعرّف في البنية التركيبية هو المرجِع الذي ينشّط الافتراض السابق للخطاب القرآني[١].

٣- (من) التبعيضية :

للحرف (من) مجموعة من المعاني، أهمها ابتداء الغاية، والتبعيض والتوكيد، وقد أشار إليها سيبويه بقوله : ((وأمّا (من) فتكون لابتداء الغاية، وتكون أيضاً للتبعيض ، تقول : (هذا من ثوبٍ) ، و(هذا منهم)، كأنك قلت بعضه ، وقد تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيماً ، ولكنها توكيد بمنزلة (ما) إلا أنّها تجر ؛ لأنّها حرف إضافة، وذلك قولك : ما أتاني من رجلٍ))[٢].

ويُلمح الافتراض السابق المنوط بـ(من) التبعيضية من خلال حديث السيد الطباطبائي في تفسيره لقوله تعالى : **چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک چ** النساء: ١٢٤ .

إنّ استعمال (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصالِحَاتِ) بدل جزء من كل (من يعمل الصالحات) له دلالته في النظر التداولي ، في الاتساع والدقة في التعبير، وما لها من بُعد للواقع الحسي الذي يظهر فيه التأويل للمعاني المقصودة التي يتلمسها المخاطَب لالتماس الفروق بين المعاني للحروف ، وما تسبغها على سياقاتها من دلالات خاصة تكشف فيها أغراض النظم ودواعيه ، وهذا ما يُلحظ في (من) التبعيضية[٣]، إذ تلمس صاحب الميزان ذلك بقوله : ((فأتى بمن التبعيضية، وهو توسعة في الوعد بالجنة، ولو قيل: ومن يعمل الصالحات – والمقام مقام الدقة في الجزاء – أفاد أنّ الجنة لمن آمن وعمل كل عمل صالح، لكن الفضل الإلهي عمّم الجزاء الحَسن لمن آمن وأتى ببعض الصالحات فهو يتداركه فيما بقي من الصالحات، أو اقترف من المعاصي بتوبة، أو شفاعة))[٤].

فيُستشف من هذا النص معرفة المفسر بالاستعمالات اللغوية التي تتغير تبعاً لاختلاف المقاصد التواصلية ، ومراعاة حال المخاطَب ، فالمفسر على علم مسبق أنّ الخطاب القرآني يلجأ إلى تغير

---

[١] ينظر : دلالات التركيب دراسة بلاغية : ١٧٠ .

[٢] الكتاب : ٤ / ٣٤٧ .

[٣] ينظر : من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم: ٣٣٣ ، والبنى الأسلوبية في سورة الشعراء: ١٠٢ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ٥ / ٧٧ .

التراكيب اللغوية لمقاصد يريد تحقيقها معتمداً على ما يفترضه من معلومات سابقة في ذهن المخاطَب[١]، وهذا ما يسمى بالافتراضات السابقة للمناسبة العقلية[٢] .

ناهيك عن أنّ الافتراض السابق المتضمن في (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصالِحَاتِ) أنّ ثمة من بقي من الصالحات، لابدَّ إدراكه، وكان ذلك أمراً مشتركاً، ومعرفة مسبقة بين اطراف العملية التواصلية، أفادته (من) التي تدل على التبعيض، ويمكن تمثيل صورة الافتراض بأنّ هناك أعمال صالحة لم تُدرك، وكذلك الأمر قد تضمن افتراضاً مسبقاً بأنّ هناك من يبغض العمل الصالح ، ويقترف المعاصي[٣] .

وهذا الفهم هو الذي جعل المفسر يعلل تعليلاً تداولياً في استعمال (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصالِحَاتِ) يعود إلى قصد المتكلم (سبحانه وتعالى)، عبر التركيب اللغوي المنوط بـ (من) التبعيضية؛ لأنّ ((لكلِّ بنيةٍ تركيبية معناها، ومقصدها التداولي، ولكلِّ صيغةٍ لفظيةٍ إبلاغيه توجهها ملابسات الخطاب ، وأغراضه ، ومن أهمها حال السامع))[٤] .

فهذا الاستعمال الذي تحقق به البُعد التداولي عن طريق مبدأ الاهتمام الذي تضمن معنى الاختصاص بالأداة ، وهنا تتضح العلاقة بين نمط الجملة، وصيغتها في تأدية المطلوب من الافتراض السابق ، والمتضح من قول المفسر[٥]، الذي يمكننا الكشف من خلاله عن الافتراضات السابقة ، والمعلومات المشتركة بين طرفي العملية التخاطبية، والمقررة سلفاً بينهما، والتي في ضوئها يُبنى الكلام، ومن ثم التواصل، وقد ينشأ الافتراض عن بنى نحوية معينة، أو ظواهر لغوية مختلفة .

٤- أداة الشرط (لو) :

---

[١] ينظر : التداولية وعناصر المقدرة الاتصالية (بحث) : ٧ .

[٢] ينظر : الأبعاد التداولية عند الأصوليين ، مدرسة النجف الحديثة أنموذجاً : ١٩٦ .

[٣] ينظر : الميزان في تفسير القرآن ٥ / ٧٧ .

[٤] الفكر اللساني التداولي قراءات في التراث والحداثة : ٢٣٣ – ٢٣٤ .

[٥] ينظر : أثر المكان في فهم الجملة عند سيبويه (بحث) : ٩٠ .

وهي أداة شرط غير جازمة تفيد تعليق الجواب على الشرط في الزمن الماضي[١]، وذهب النحاة إلى أنّها حرف امتناع لامتناع[٢]، أي امتناع الشي لامتناع غيره ، ويفهم من ذلك أنّ شرطها ممتنع ، لامتناع الجزاء؛ لأنّ (لو) موضوعة ليكون جزاؤها مقدر الوجود في الماضي ، والمقدر الوجود في الماضي يكون ممتنعاً فيه، فيمتنع الشرط الذي هو ملزوم لأجل امتناع لازمه أي الجزاء[٣]، ومن الافتراضات التي تحققت بواسطة استعمال (لو) في قوله تعالى: ﭽ ھ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ﭼالزمر: ٤ .

قال السيد الطباطبائي : ((فقوله: (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) شرط صدر بـ (لو) الدال على الامتناع للامتناع ، وقوله: (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) أي لاختار لذلك مما يخلق ما تتعلق به مشيئته على ما يفيده السياق ، وكونه مما يخلق لكون ما عداه سبحانه خلقا له ، وقوله: (سبحانه) تنزيه له سبحانه، وقوله: (هو الله الواحد القهار) بيان لاستحالة الشرط ، وهو إرادة اتخاذ الولد ليترتب عليه استحالة الجزاء))[٤] .

وأشار أيضاً بقوله –محتجاً بذلك– إذ قال : ((فمحصل حُجة الآية قياس استثنائي ساذج يستثنى فيه نقيض المقدم لينتج نقيض التالي وهو نحو من قولنا: لو أراد الله أنْ يتخذ ولداً لاصطفى لذلك بعض من يشاء من خلقه لكن إرادته اتخاذ الولد ممتنعة لكونه واحدا قهارا فاصطفاؤه لذلك بعض من يشاء من خلقه ممتنع))[٥] .

يتضح من النصوص أنّ إيمان المفسر بأثر علم المخاطَب ، وعلاقته بقول المخاطِب ، بوصفه متلقياً، ومتمرساً على قرائن حالية، ومقالية مكنته من التوصل إلى عنصر الامتناع على الله سبحانه وتعالى الأولاد، والبنات، فالآية إذن تضمنت افتراضاً مسبقاً بعدم إرادة الله لاتخاذ الولد، وقد سيق ذلك بطريقة كلامية حِجاجية وكأنّ محتوى الافتراض حقيقة مؤكدة، ومسلّمة لا يمكن أنْ يُعاد النظر فيها، وهنا تكمن خصوصية الافتراض السابق إنّ الله لم يرد أنْ يتخذ ولداً، ومن ثم لم يقع منه اتخاذ الولد[٦]، وهذا ما يسمى بالافتراضات السابقة للمناسبة العادية[٧] .

---

[١] ينظر : شرح التصريح على التوضيح بمضمون التوضيح في النحو: ٢ / ٤١٩ .

[٢] ينظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٢٨٩ .

[٣] ينظر : شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب : ٤٥١/٤ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ١٩٢ .

[٥] المصدر نفسه : ١٧ / ١٩٣ .

[٦] ينظر : البُعد التداولي عند سيبويه(بحث) : ٢٦٣ .

[٧] ينظر : الأبعاد التداولية عند الأصوليين ، مدرسة النجف الحديثة أنموذجاً : ١٩٧ .

والإشارة الأخرى في النص وهي الجمع بين التقديم والتأخير ، و(لو) التي أدت معنى إضافياً، وهذا ما أورده صاحب الميزان من كلام الزمخشري في الكشاف[١] في سؤال: ما الفرق بين قولك (لو جاءني زيد لكسوته)، ونظيره قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ الزمر: ٤ ، وبين قوله: (لو زيد جاءني لكسوته) ، فأجاب بأنّ القصد في الأول أنّ الفعلين تعليق أحدهما بصاحبه لا غير، من غير تعرض لمعنى زائد على التعليق الساذج الذي بينه وهو المعنى في الآية الأولى؛ لأنّ الغرض نفي أنْ يتخذ الرحمن ولداً ، وبيان تعاليه عن ذلك وليس لأداء هذا الغرض إلّا تجديد الفعلين للتعلق دون أمر زائد عليه، وقد بينا ذلك، وأمّا في الثاني فقد انضم إلى التعلق بأحد معنيين، أما نفي الشك ، أو الشبهة أنّ المذكور الذي هو زيد مكسو لا محالة لو وجد منه المجيئ، ولم يمتنع ، وأمّا بيان أنّه هو المختص بذلك دون غيره[٢] .

وفي ضوء ما تقدم سيكون التناسب بين التقديم والتأخير ، و(لو) كاشفاً عن مقام الآية القرآنية فلا تُبنى إلا تبعاً لمقاصدها وأسبابها ، أو لموجب تقتضيه، وتستدعيه ، وهو الافتراض[٣] .

فالافتراض السابق هنا اتكأ عليه طرفا الخطاب في عملية التواصل ، انطلق المخاطِب من العناصر السياقية في إنتاج خطابه ، واعتمد المخاطَب عليها في تأويله ليتمكن من فهم الخطاب[٤] الخطاب[٤] ، وهذا ما عمل عليه السيد الطباطبائي بوصفه متلقياً للنص؛ لذا عمل على الولوج إلى إلى عمق النص مدركاً إياه بإمكانياته المعرفية .

ومن هنا فإنّ الافتراضات السابقة التي يُستشف أنّ المفسر قد انطلق منها هي ((افتراضات يمكن استنباطها من الرسالة نفسها؛ لأنّها تتضمنها بطريقة لا يجد المتلقي صعوبة في إدراكها، وتصدر هذه الافتراضات عن المعلومات التي اكتسبها المتكلم من خلال محيطه الاجتماعي، واجتهاداته الشخصية))[٥] .

٥ – الوصل والفصل :

---

[١] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ١٩٣ ، والكشاف : ٤ / ١١٢ ، والبرهان في علوم القران : ١ / ١١٥ .

[٢] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ١٩٣ .

[٣] ينظر : دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة : ٢٦١ .

[٤] ينظر : النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة : ٢٠ .

[٥] المعنى وضلال المعنى أنظمة دلالية في العربية: ١٥٣ .

أمّا الوصل فيُراد به : ((عطف بعض الجمل على بعض وأمّا الفصل تركه))[١]، ويتم الوصل بإحدى أدوات العطف المعروفة وذلك بتوظيفها بين مكونات الخطاب لتتواصل الفكرة من دون قطعها، في حين نجد أنّ الفصل هو عدم وجود مثل هذا التناسب الدلالي للمكون التركيبي بإسقاط العاطف وترك استعماله استغناء بروابط معنوية في سياق الكلام[٢] .

وقد مثلت ظاهرة الفصل والوصل جانباً مهماً في الدراسات اللسانية قديماً وحديثاً فتناولها الدارسون من جوانب مختلفة، نحوية وبلاغية عند القدماء[٣]، ومعنوية وتداولية عند المحدثين[٤].

وقد اعتنى مفسرو الخطاب القرآني عناية فائقة بمواضع العطف وصرحوا به ؛ لأنّه وسيلة للربط بين أجزاء النص ، وقد تختلف توجيهاتهم باختلاف العنصر الذي وقع العطف عليه ، ويتمّ هذا التوجيه بناءً على افتراضات مسبقة ممّا يتبناه المفسر من معتقدات وأفكار، فالمعنى القرآني في أصله واحدٌ ولكنه ((ليس واحداً في أذهان المتلقين فربما تتعدد مستويات فهمه عند المتلقين وفقاً لمداخل وعيهم التي ترجع إلى خلفياتهم الثقافية))[٥] .

وهذا ما يمكن رصده عند السيد الطباطبائي في عطف (الملائكة) على لفظ الجلالة في قوله تعالى : **چ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئىئى ئى ئد ى ىچ**البقرة: ٢١٠ .

قال السيد الطباطبائي: ((وظاهر الآية أنّ الملائكة عطف على لفظ الجلالة، وفي الآية التفات من الخطاب* إلى الغيبة وتبديل خطابهم بخطاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإعراض عن مخاطبتهم بأنّ هؤلاء حالهم حال من ينتظر ما أوعدناهم به من القضاء على طبق ما يختارونه من اتباع خطوات الشيطان ، والاختلاف والتمزق، وذلك بأنْ يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة، ويقضي الأمر من حيث لا يشعرون))[٦] .

يُلحظ من النص أنّ المفسر قضى باشتراك الملائكة مع الله في قضاء الأمر بالواو العاطفة ، وهذا الحكم الذي أدلى به المفسر أنبنى على فرضية مسبقة مفادها أنّهم ثبتوا في علم الكتاب ،

---

[١] الفصل والوصل في القران الكريم ، دراسة في الأسلوب: ١٩٣ (بتصرف) .

[٢] ينظر : المعاني في ضوء أساليب القران: ٣٠٧ .

[٣] ينظر : الكتاب : ١ / ٦٠ – ٦١ ، ودلائل الإعجاز: ٢٢٢ .

[٤] ينظر : الوصائل في تحليل المحادثة ، دراسة في استراتيجيات الخطاب : ١٣ .

[٥] أثر العقيدة في توجيه الدلالة القرآنية ، تفاسير الإمامية إلى نهاية القرن السابع للهجرة أنموذجاً (أطروحة دكتوراه) : ١٧ ، وينظر : الخطاب القرآني دراسة في البُعد التداولي : ٥٠ .

[٦] الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ٨٦ .

وعرفوا دقائقه، وأنّهم منقادون للأوامر الإلهية ، وهذا يمثل جزءاً من ثقافة المفسر المعرفية التي استعان بها لإقناع المخاطَب على صحة ما استدل به هو اعتماد الحِجج لتوجيه النص القرآني من أجل التواصل التأثيري في أذهان المتلقين[١] .

وقد أعضد ذلك بالمعرفة اللغوية ، فبتضافر السياق الثقافي مع السياق الداخلي يتسنى للقارئ التوصل إلى المقصد الحقيقي من إدراكه أنّ العطف الحاصل في القرآن هو عطف المفردات ، وليس عطف الجمل لتتّم عملية الوصل ، لعلمه السابق أنّ القيمة الدلالية للربط في حرف العطف (الواو) تكمن في فهم المعاني التي يفضي إليها هذا الحرف ، وأثره في تجانس أجزاء النص ، وتماسكه[٢] .

ولم يكتفِ بهذا القدر بل نوه إلى العدول المتمثل من الحضور إلى الغيبة الذي يُعدّ من أروع أنواع البلاغة ذات دلالة مؤثرة، وهذا التغاير فيه سر لطيف من الأسرار التي احتواها القرآن الكريم ، وهو لون من ألوان الصياغة الذي يعين على الإيحاء بكثير من الأغراض ، ومنها الافتراض السابقة[٣] .

وما يجب أنْ يُقال في هذا المقام : إنّ السيد الطباطبائي يُذكرنا بما رسخ في أذهان علماء التداولية أنّ الكفاية الاستدلالية تتدخل للربط بين ما يعرضه المخاطِب ، وما يتوافر لدى المخاطَب من كفاية لسانية ، وتداولية بغية الوصول إلى المعنى المراد[٤].

وإذا كان الوصل هو العطف في بنية متماسكة ، فالفصل لا يعني فك أجزاء الكلام ؛ بل تكون له فائدة كبيرة هي جعل المتلقي، والمتكلم على علاقة وثيقة في عملية التواصل اللغوي[٥]، وهذه الأهمية تُلحظ في فكر السيد الطباطبائي في قوله تعالى: **چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ چ**البقرة: ٨٣ .

إذ قال : ((قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) ، الآية في بديع نظمها تبتدئ أولاً بالغيبة ، وتنتهي إلى الخطاب حيث تقول: ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون، ثم إنّها تذكر أولاً الميثاق وهو أخذ للعهد، ولا يكون إلا بالقول، ثم تحكي ما أخذ عليه الميثاق فتبتدئ، فيه

---

[١] ينظر : أثر العقيدة في توجيه الدلالة القرآنية ، تفاسير الإمامية إلى نهاية القرن السابع للهجرة أنموذجاً (أطروحة دكتوراه) : ١٩ .

[٢] ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٣ .

[٣] ينظر : التغاير السياقي في القرآن الكريم : ١١١– ١١٢ .

[٤] ينظر : في تداوليات التأويل(بحث) : ١١١ .

[٥] ينظر : نحو المعاني: ١٠١ .

بالخبر، حيث تقول: لا تعبدون إلا الله، وتختتم بالإنشاء حيث تقول وقولوا للناس حسنا إلخ ، ولعل الوجه في ذلك كله أنّ الآيات المتعرضة لحال بني إسرائيل لما بدأت بالخطاب لمكان اشتمالها على التقريع ، والتوبيخ وجرت عليه كان سياق الكلام فيها الخطاب ثم لما تبدل الخطاب بالغيبة بعد قصة البقرة لنكتة داعية إليها كما مر حتى انتهت إلى هذه الآية، فبدأت أيضاً بالغيبة لكن الميثاق حيث كان بالقول وبني على حكايته حُكِي بالخطاب فقيل : لا تعبدون إلا الله إلخ، وهو نهي في صورة الخبر، وإنّما فعل ذلك دلالة على شدة الاهتمام به، كان الناهي لا يشك في عدم تحقق ما نهى عنه في الخارج، ولا يرتاب في أنّ المكلف المأخوذ عليه الميثاق سوف لا ينتهي عن نهيه، فلا يوقع الفعل قطعاً ، وكذا قوله: (وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين) ، كل ذلك أمر في صورة الخبر، ثم إنّ الانتقال إلى الخطاب من قبل الحكاية أعطى فرصة للانتقال إلى أصل الكلام، وهو خطاب بني إسرائيل لمكان الاتصال في قوله: وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ثم توليتم إلخ ، وانتظم بذلك السياق، وقوله تعالى: (وبالوالدين إحسانا)، أمر، أو خبر بمعنى الأمر والتقدير وأحسنوا بالوالدين إحسانا، وذي القربى واليتامى والمساكين، أو التقدير: وتحسنون بالوالدين إحساناً، إلخ))[1] .

يُلمس أنّ الميثاق الذي أُخذ على بني إسرائيل تضمن أموراً عدة اختلفت عن سابقها فكان على رأس الميثاق عبادة الله وحده وعدم الإشراك به شيئاً، ثم جاءت بعده المواثيق ، فكان لابد من أداة تربطها لئلا يظهر الميثاق وكأنه يحمل المعنى نفسه في حين نجد الاختلاف بارزاً في كون الجملة خبرية لكنها مؤولة إلى جملة إنشائية، فجملة(لَا تَعْبُدُونَ) إنشائية معنىً؛ لأنّها على معنى(لا تعبدوا) ذلك أنّ أخذ الميثاق يقتضي الأمر والنهي فإذا وقع بعده خبر أُول بالأمر أو النهي ، وقد عطفت عليها جملة (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) وهي إنشائية لفظاً ومعنىً؛ لأنها على تقدير (وأحسنوا بالوالدين إحساناً) فالجملتان اتفقتا في الإنشائية معنىً واختلفتا في اللفظ، لذا عطف الثانية على الأولى لوجود جامع ولا مانع من العطف[2] .

في حين يُلحظ مواطن الاتصال تستمر على طول الميثاق ابتداءً من قوله تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) فالوصل منذ بداية الخطاب وحتى آخره ؛ وذلك لانّ لكل منها خصوصية وشأن يجب على أهل الكتاب مراعاته، في حين يجمعهم أمر مهم، وهو إنّ أخذ الميثاق كان على صورة الخبر لفظاً، وعلى

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ١ / ١٨٣ – ١٨٤ .

[2] ينظر : المعاني في ضوء أساليب القران : ٣١٨ .

الإنشاء معنىً، قيل (لا تعبدون إلا الله) وهو نهي في صورة الخبر، وكذا قوله وبالوالدين إحساناً، وذي القربى واليتامى والمساكين كل ذلك أمر في صورة الخبر، ثم الانتقال إلى الخطاب من قبل الحكاية أعطى فرصة للانتقال إلى أصل الكلام، وهو خطاب بني إسرائيل لمكان الاتصال في قوله تعالى :(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ)[١] .

فلما كان هناك مشاركة دلالية بين أجزاء الخطاب بما يسبقها، وكان هناك مشاركة في الحكم كون الجملتين إنشائيتين أوجب إدخال أداة الوصل لإحكام العلاقة بينهما وتقويتها[٢]، فالتناول اللساني المتمثل باختيار هذا الوجه من العرض، واستبعاد وجه العطف قائم على أساس الإحاطة بالعلاقة بين التركيب، والسياق الحاف بالنص للأطراف المشاركة في الإنجاز الكلامي فـ((المتكلم يبني معانيه ، ويسوقها إلى مخاطَب يفترض فيه مسبقاً امتلاكاً لآليات منطقية طبيعية ، واستدلالية ، وقواعد خطابية بلاغية تمكنه من إدراك ما تضمنه الكلام من معانٍ))[٣] .

فالمعرفة الموسوعية لدى السيد الطباطبائي تدخل عاملاً حاسماً في تفسير البنى اللسانية، وتشمل هذه المعرفة التكون الثقافي، والاعتقادات الدينية المسبقة، وهذا الفهم يقارب ما تبنته التداولية أنّ ((شخصية المتكلم المعرفية ، والاجتماعية دوراً في بناء الفرضيات التأويلية الذي يقوم بها المخاطِب مسبقاً كعدّة يوظفها في عملية التأويل))[٤] .

يُستشف من ذلك أنّ معالجات صاحب التفسير لبعض الآيات القرآنية جاءتْ على وفق آلية من آليات المنهج التداولي في ظل ما يسمى لدى التداوليين بالافتراض السابق بالنظر إلى العوامل اللغوية التي تتضمن بعض المعلومات المشتركة ، والمعارف السابقة التي تمكن المتكلم من إنتاج التراكيب اللغوية من دون أنْ تحدث الجملة في فهم المتلقي فهماً مخالفاً ، لما هو مألوف ؛ لأنّه على علمٍ مسبق بكل تلك التراكيب ، وما تؤديه من وظيفة تواصلية .

ثانياً : **الأقوال المضمرة** :

---

[١] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١ / ١٨٤ .

[٢] ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب :١٨٨.

[٣] التداوليات : علم استعمال اللغة : ١٣٤ .

[٤] المصدر نفسه : ١٣٤ .

يُراد بها : ((كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أنْ يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث))[١]، فهي ترتبط بوضعية الخطاب ومقامه ، والوصول إليها على أساس معطيات لغوية[٢]، التي يمكن إدراكها عن طريق العلامات المتضمنة للأقوال[٣] .

فالأقوال المضمرة التي تُفهم من السياق ولا يُصرح بها، أي الانتقال من المعاني المباشرة إلى المعاني غير المباشرة ، ومراعاة السياق للوصول إلى المعاني المقصودة من الخطاب ، فهي غير ظاهرة على سطح الملفوظ إلا أنّه يتضمنها بين طياته يخفيها ستار اللفظ ، ويوجهها سياق القول، فكل تواصل لساني يستعمل آليتين للتعبير عن أغراضه هما : آلية التصريح والإظهار، وآلية الإضمار والإخفاء[٤] .

ويبدو في الغالب أنّ نصيب الضمني أوفر من نصيب التصريحي حتى في المستوى البسيط للمعنى الحرفي، فالضمني موجود حيثما نظرت؛ ذلك أنّنا لا نقول كل شيء كما أنّنا نحتاج إلى الدخول في محادثات اجتماعية كي ننتج دلالةً، فإنْ غاب هذا الضمني امتنع التواصل بما أنّه يجب إظهار كل شيء دائماً[٥] .

وتتجلى الأقوال المضمرة في جوانب عدّة من التفسير التي أشار إليها السيد الطباطبائي ، ومن أمثلة ذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ﴾ ، ﴿ ﴾ العنكبوت:٥٦- ٥٧ .

إذ قال : ((الذي يظهر من السياق أنّ المراد بالأرض هذه الأرض التي نعيش عليها وإضافتها إلى ضمير التكلم للإشارة إلى أنّ جميع الأرض لا فرق عنده في أنْ يعبد في أي قطعة منها كانت، و وسعة الأرض كناية عن أنّه إنْ امتنع في ناحية من نواحيها أخذ الدين الحق والعمل به فهناك نواح غيرها لا يمتنع فيها ذلك فعبادته تعالى وحده ليست بممتنعة على أي حال))[٦] .

---

[١] التداولية عند العلماء العرب : ٣٢ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه : ٣٢ .

[٣] ينظر : البُعد التداولي والحِجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل : ٦٨ .

[٤] ينظر : التداولية من أوستن إلى غوفمان : ١١٧ .

[٥] ينظر : المصدر نفسه : ١٤٤ – ١٤٥ .

[٦] الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ١١٧ .

وقال أيضاً : ((ومحصل المعنى: أنّ أرضي واسعة إنْ امتنع عليكم عبادتي في ناحية منها تسعكم لعبادتي أخرى منها فإذا كان كذلك فاعبدوني وحدي ولا تعبدوا غيري فإنْ لم يمكنكم عبادتي في قطعة منها فهاجروا إلى غيرها واعبدوني وحدي فيها))[1] .

وأدرك الحُجة والإثبات بمضمون القول بتخريجه إياها بقوله: ((الظاهر أنّ تقديم "إياي" لإفادة الحصر فيكون قصر قلب، والمعنى: لا تعبدوا غيري بل اعبدوني، وقوله: "فاعبدون" قائم مقام الجزاء))[2] .

يُفهم من ذلك أنّ هذه الآيات نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة، فأخبرهم تعالى بسعة أرضه ، وأنّ البقاء في بقعة على أذى الكفار ليس بصواب، بل الصواب أنْ تلتمس عبادة الله في أرضه ، وقوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) تحقير لأمر الدنيا ومخاوفها، كأن بعض المؤمنين نظر في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه أنّه يموت، أو يجوع ونحو هذا، فحقر الله تعالى شأن الدنيا، أيّ: أنتم لا محالة ميتون ومحشورون إلينا، فالتوجه إلى طاعة الله تعالى والهجرة إليه أولى[3].

وبذلك فقد أضمرت الآية أمراً، أو تحريضاً للمؤمنين بالهجرة إلى بلاد يأمنون فيها محافظين على عبادتهم ودينهم، وفي قوله سبحانه: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) قصد تهوين ما يلاقيه المؤمنون من الأذى في الله ولو بلغ إلى الموت، وما كان ذلك ليفهم لولا النظر في سياق الآيات ، ومراعاة المقام التواصلي مكاناً وزماناً وشخوصاً، حيث استدل من خلالهما على المضمر تداولياً .

فلم يأخذ السيد الطباطبائي بظاهر الآية فقط ، وإنّما بحث ونقب عن الإضمار الذي ورد في القول ، إذ قام بالنفاذ إلى ما وراء النص محاولاً الاتكاء على القيم التداولية في تفسير الآية؛ لأنّ المخاطَب عنصر مهم في التخاطب ، وهو المسؤول عن تفكيك النص.

وما يقارب ذلك أيضاً قوله تعالى على لسان إخوة يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى : **چئى ئى ئد ى ى ي ي □ □ □ □ □□ □ □ □ □ ،ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀچ**يوسف:٧٨- ٧٩ .

---

[1] المصدر نفسه : ١٦ / ١١٨ .

[2] المصدر نفسه : ١٦ / ١١٧ .

[3] ينظر : المصدر نفسه : ١٦ / ١٨٨ ، وروح المعاني : ١٠/١١ ، والتحرير والتنوير : ٢١/٢١ ، والكشاف : ٤٩٣/٢.

قال السيد الطباطبائي: ((سياق الآيات يدل على أنّهم إنّما قالوا هذا القول لما شاهدوا أنّه استحق الأخذ والاستعباد، وذكروا أنّهم أعطوا أباهم موثقاً من الله أنْ يرجعوه إليه فلم يكن في مقدرتهم أنْ يرجعوا إلى أبيهم ولا يكون معهم، فعند ذلك عزموا أنْ يفدوه بواحد منهم إنْ قبل العزيز، وكلموا العزيز في ذلك أنْ يأخذ أي من شاء منهم، ويخلي عن سبيل أخيهم المتهم ليرجعوه إلى أبيه))[١] .

يتضح من خطاب إخوة يوسف(عليه السلام) له بعدما أخذ أخوهم (بنيامين) الذي وجدوا صواع الملك في وعائه، فأخذوا يستعطفونه كي يرجعه إليهم، وقد أخبروه بأنّ والده له ولد قد هلك وهو عليه حزين، وأنّه مستأنس بأخيه، فخذ أحدنا مكانه والتعبير على وجه المجاز؛ لأنّهم يعلمون أنّه لا يصح أخذ حر ليسترق بدل من أحكمت السنة رقه، وعلى هذا يتجه قول يوسف(عليه السلام) (معاذ الله)[٢] .

ويستشف من قول أخوة يوسف(عليه السلام) بأنّهم وصفوا أباهم بثلاث صفات وهي: حنان الأبوة وصفة الشيخوخة واستحقاقه جبر خاطره؛ لأنّه كبير عمراً، أو منزلة، فالأوصاف مسوقة للترقيق عليه والحث على إطلاق سراح الابن، فالوصف إذن سيق ليضمر معاني أُخر، يستعطف من خلالها يوسف(عليه السلام) فيرق لهم قلبه، ويسرح أخوهم (بنيامين)، ثم بالغوا في استعطافهم بأنْ طلبوا تعويضه بأحدٍ منهم، وهو لفظ خلاف ظاهره كما ذكر صاحب الميزان، وإنّما المراد استنزاله للعطف والترقيق والمبالغة في ذلك لعلم المشاركين في العملية التواصلية بعدم جواز أخذ أحد مكانه، فكان قولهم خلاف ظاهره، فحُمل على الاستعطاف والترقيق، وتلك أقوال مضمرة لم تظهر إلا بالنظر في سياقات الآيات النصية والحالية[٣] .

ويُلحظ ممّا سبق أنّ السيد الطباطبائي قد تلمس في النص القرآني مجموعة من المعطيات ، والنتائج التي أسفرت عمّا توصل إليه في تعامله مع النص على وفق ما يحيط به من جوانب غير اللغوية ، بوصفها حدثاً بلاغياً مرتبطاً بمقام القول ، ومستنبطاً من المنطوق ، ولا يُصرح به[٤] ،

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٨٩ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه : ١١ / ١٨٩ ، والكشاف : ٤٩٣/٢.

[٣] ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٨٩ ، والتحرير والتنوير : ٣٦/١٣.

[٤] ينظر : الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ٢٦٤ .

فقوله : ((وفي اللفظ ترقيق واسترحام وإثارة لصفة الفتوة والإحسان من العزيز))[١]، هو الذي أوصله إلى سياق القول المضمر ؛ لأنّ الخطاب يقوم بوظيفته التواصلية من خلال عملية الإفهام ، وفي إطار المضمرات الخطابية ، فـ((المستمع يحتاج إلى أنْ يعرف أنّ الكلام ينطوي على معنى مضمر مخصوص، وأنْ يهتدي إلى طريق يوصله إلى معرفة ما أُضمر وإلى التمكن من إظهاره))[٢] .

ومّما يقارب مفهوم الأقوال المضمرة عند التداوليين ما يعرف بمفهوم الموافقة ، أو المخالفة في التراث العربي، فمفهوم الموافقة هو ما يفهم من الكلام بطريقة المطابقة، ومفهوم المخالفة هو ما يفهم منه بطريقة الالتئام، وقيل هو إثبات الحكم في المسكوت على خلاف ما ثبت في المنطوق[٣].

ومن أمثلة الموافقة في قوله تعالى : ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼالإسراء: ٢٣ .

قال السيد الطباطبائي : ((إنْ أضجراك فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما إنْ ضرباك))[٤]، واستشهد بقوله : ((وفي الكافي، بإسناده عن حديد بن حكيم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أدنى العقوق أف، ولو علم الله عز وجل شيئا أهون منه لنهى عنه: أقول: ورواه عنه أيضاً بسند آخر، وروى هذا المعنى أيضاً بإسناده عن أبي البلاد عنه (عليه السلام) ورواه العياشي في تفسيره، عن حريز عنه (عليه السلام)، والطبرسي في مجمع البيان، عن الرضا عن أبيه عنه (عليه السلام)))[٥] .

يتبين أنّ (أفاً) من التأفيف تقول قد أففت فلاناً إذا قلت له " أفٍ" ، فهو صوت لا يعرف معناه إلا بالنطق به فخفضوه كما تخفض الأصوات، من ذلك قول العرب: سمعت طاق طاق، لصوت الضرب، وذكر المفسرون في دلالته أنّ هذا اللفظ إنّما يدل على المنع من سائر أنواع الإيذاء، وذلك أنّ التأفيف غير الضرب، والمنع من التأفيف لا يكون منعاً من الضرب ولا يستلزمه، إلّا أنّ سياق الآية يعلم أنّ المقصود من هذا الكلام المبالغة في تعظيم الوالدين بدليل قوله: "وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٨٩ .

[٢] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ١٥١ .

[٣] ينظر : التعريفات: ١٨٨ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٨٠ .

[٥] المصدر نفسه : ١٣ / ٨٠ .

كَرِيمًا" فكانت دلالة المنع من التأفيف على المنع من الضرب وسائر أنواع الإيذاء من باب القياس بالأدنى على الأعلى ، والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر الإيذاء قياساً جلياً؛ لأنّه يفهم بطريقة الأولى ، ويسمى مفهوم الموافقة ، وفحوى الخطاب[1]، ودلالته تحريم الشتم ، والضرب أولى من تحريم التأفف ؛ لأنّهما أشد .

فنلحظ أنّ السيد الطباطبائي قد بيّن أهمية قصد المتكلم ، وإدراك المتلقي الذي يقوم على مجموعة من العمليات الذهنية الناتجة عن الإضمار لسد الفجوات التي تقع على مستوى البنيات التركيبية للخطاب؛ اعتماداً على معرفته، ذلك أنّ ((فهم الخطاب يعدّ بالأساس عملية سحب للمعلومات من الذاكرة وربطها مع الخطاب الموجه))[2] .

ومن أمثلة المخالفة كما في قوله تعالى : ﭽ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ،ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ﭼ الأنبياء:٤٨- ٤٩ ، ففي الآيتين يتجلى مفهوم المخالفة بالتعريض بمن لا يخشى ربه بالغيب فلا يهتدي بكتاب الله وهم فرعون وقومه، كما صرح بذلك السيد الطباطبائي[3]، فالمضمر على وفق المفهوم التداولي في هذه الآية هو التعريض الذي يطلق عليه المتقدمون اسم مفهوم المخالفة .

ويُستشف من ذلك أنّ المخالفة هنا فيها تأكيد المعنى ومبالغته ، فالخشية من الله ملازمة لهم لما في ذلك من تفادٍ للوقوع في الذنب، وبذا أفيد معنوياً من الديمومة الدلالية التي منحتها الجملة الاسمية للنص ليُفهم أنّ المتقين هكذا حالهم في كل الأزمنة، وقد صيغت برشاقة لغوية متينة ، وسبك لفظي ، وانسياب سياقي لطيف[4]، فالمخالفة شرطٌ لصحة الاحتجاج وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقًا مع السياق.

ومّما يمكن أنْ ندرجه تحت مفهوم الأقوال المضمرة ما يصطلح عليه بالمعنى الانطباعي، وهو ما تتركه الأشياء في نفس متلقيها من معنى، وهو من قبيل رد الفعل لا من قبيل الفعل بالنسبة لمن يتقبله، وهو شأن المتلقي لا المتكلم، والمعنى الانطباعي في القرآن الكريم مقصود من قبل المتكلم وموجّه توجيهاً إعجازياً يهدف إلى ما يهدف إليه[5]، ومن وسائل المعنى الانطباعي في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ،ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ، ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ، ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ،ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ،ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼالشعراء:٩١- ٩٥ .

---

[1] ينظر : العين : ٤١٠/٨ ، والميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٦٥ ، وروح المعاني : ٥٥/٨ .

[2] تحليل الخطاب: ٢٣٦ .

[3] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ٢٤١ – ٢٤٢ .

[4] ينظر : مظاهر المخالفة اللغوية في القرآن الكريم (بحث) : ٩ .

[5] ينظر : مقالات في اللغة والأدب: ٣١٤/٢– ٣١٥.

ذكر صاحب العين في مادة (كب) : كببته لوجهه فانكبّ، أي قلبته، وأكبّ القوم على الشيء يعملونه، والكب: إسقاط الشيء على وجهه، والكبكبة تدهور الشيء في هوة[١]، وفي معنى الآية قال السيد الطباطبائي : ((يقال: كبه فانكب أيّ ألقاه على وجهه وكبكبه أي ألقاه على وجهه مرة بعد أخرى فهو يفيد تكرار الكب كدب ودبدب وذب وذبذب وزل وزلزل ودك ودكدك))[٢] .

يتضح أنّ (كبكبوا) مضاعف (كبوا) بالتكرير، وتكرير اللفظ مفيد تكرير المعنى، فاللفظ يحمل في صوته معناه حتى لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف[٣] .

والتكرار هنا ناتج من تكرار الحروف التي تعدّ بمنزلة المادة الرئيسة التي تثري الإيقاع الداخلي للنصّ بلون خاص، و((يحمل في ثناياه قيمة دلالية، إذ يضيف إلى موسيقية العبارة نغمات جديدة))[٤]، ويُعدّ التكرار من المثيرات ، إذ يكرر القرآن الكريم أصواتاً بعينها، رغبة في إبراز الجانب الإيقاعي النغمي للتركيب؛ وهذا الأسلوب في التشكيل يسهم في تنغيم الجملة ، ويبرز الجانب الدلالي ، أو النفسي للنص في كثير من الأحيان، فتكرار الحرف من أبسط أنواع التكرار وأقلّها أهمية في الدلالة، وقد يُلجأ إليه لتعزيز الإيقاع في محاولة منه لمحاكاة الحدث الذي يتناوله[٥].

ويُستشف من التكرار هنا التأكيد والتذكير أي تكرار الألفاظ التي تخدم الموضوع ، بأنّه: ظاهرة بيانية بوظيفة الربط على مستوى البنية الظاهرة للنص المؤدية إلى الانسجام (الداخلي) فهو ليس مجرد إعادة لألفاظ وعبارات داخل النص، لكن هو العلاقة بين مفاهيم التكرار لغوياً ووظائفها داخل النص نصياً ، والتكرار هي ظاهرة من ظواهر التماسك النصي .

فالتكرار المقطعي إذن في الفعل (كب) قد أضمر معنى تكرير الكب في النار مرة بعد مرة ولم يكن دفعة واحدة صرح بذلك السيد الطباطبائي إذ قال: ((وهؤلاء إحدى الطوائف الثلاث التي تذكر الآية أنّها تكبكب في جهنم يوم القيامة، والطائفة الثانية الغاوون المقضي عليهم ذلك كما في آية

---

[١] ينظر : العين : ٥/٢٨٤ – ٢٨٥ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ٢٣٢ – ٢٣٣ .

[٣] ينظر : في ظلال القرآن: ٥ / ٢٦٠٥ .

[٤] المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر: ٩٤ .

[٥] لغة الشعر العراقي المعاصر: ١٤٤ .

الحجر المنقولة آنفا، والطائفة الثالثة جنود إبليس وهم قرناء الشياطين الذين يذكر القرآن أنّهم لا يفارقون أهل الغواية حتى يدخلوا النار))[١].

ومن تكرار الكلمة كما في قوله تعالى : **چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە چ**الفجر:٢١- ٢٢ .

قال السيد الطباطبائي : (("وجاء ربك والملك صفا صفا" نسبة المجيء إليه تعالى من المتشابه الذي يحكمه))[٢].

يُلتمس أنّ التكرار في كلمة (دكاً) و(صفاً) أفاد معنى التوالي، أي دكاً بعد دك، وصفاً بعد صف، وذلك كما تقول حسبته باباً باباً، أيّ كرر عليها الدك حتى صارت هباء منثوراً، فالتكرار دلّ على الاستيعاب وليس الثاني تأكيد للأول بل هو حال، وكذلك في (صفاً صفاً)[٣] .

فتكرار الكلمة في النص يمتلك أثراً كبيراً في بناء إيقاعه، إذ تكون القيمة السمعية لهذا التكرار أكبر من قيمة تكرار الحرف الواحد في الكلمة، ويكون هذا التكرار ناتجاً عن أهمية هذه المفردة وأثرها في إيصال المعنى، حيث تأتي مرة للتأكيد، أو التحريض ولكشف اللبس، فضلاً عن ما تقوم به من إيقاع صوتي داخل النصّ الشعريّ ، و((هذا النوع من أبسط أنواع التكرار وأكثرها شيوعاً بين أشكاله المختلفة))[٤] وتكرار الكلمات يمنح النص امتداداً وتنامياً في الصور والأحداث لذلك يعدّ نقطة ارتكاز أساسية لتوالد الصور والأحداث وتنامي حركة النص[٥] .

وممّا لاشك فيه أنّ الكلمات تتكون من أصوات، وطاقات لذلك فإنّ أحسن استخدام للكلمات المكررة وهو ما يضفي على النص حلية إيقاعية ودلالة موحية، ولا يفوتنا هنا الانتباه بأنّ ((القاعدة الأساسية في التكرار أنّ اللفظ المكرّر ينبغي أنْ يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام وإلا كان لفظية متكلّفة لا سبيل إلى قبولها، كما أنّه لابدّ أنْ يخضع لكل ما يخضع له النص عموماً من قواعد ذوقية وجمالية))[٦]، وعليه فقد أضمرت الآية معنى التوالي والتصنيف، وتكرار كلمتي (دكاً وصفاً) أوحى بذلك .

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ٢٣٣ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه : ٢٠ / ٢٥٧ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه : ٢٠ / ٢٦٥ ، والكشاف : ٧٥١/٤.

[٤] التكرار في شعر محمود درويش: ٦٠ .

[٥] ينظر : حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر : ٨٤ .

[٦] قضايا الشعر العربي المعاصر: ٣٢١ ، وينظر : ظاهرة التكرار ودلالاتها الفنية في شعر الدكتور مجيد البديري (بحث) : ٤ – ٨.

إذ إنّ التكرار من الظواهر اللسانية التي تلبي حاجة نفسية وذهنية في حياة المتكلم ، ولهذا يلجأ المخاطب إلى تكرار لفظة بعينها، إضافة إلى أنّ التكرار أحد أهم وسائل الربط والإحالة على الحدث الكلامي الذي يمثل نقطة ارتكاز في الاستلزام الحواري فهو يجعل لفعل القول استمرارية وبُعد تأثيري الذي عن طريقه يتم الحِجاج والإقناع في النص[١] .

إذن الأقوال المضمرة تعدّ بمثابة القيم المتبدلة والمتقلبة التي يمكن إبطالها، ويتطلب فك شفرتها حساباً تأويلياً بدرجات متفاوتة دائماً، كما أنّها لا تكون إلا في ظروف معينة لا يسهل دائماً تحديد معالمها، ولكنها على ما يبدو قيمّ مدرجة حقيقة في القول، إذ لا نعدها أفعال كلام فردي صرف ، وإنما تتضافر مجمل القرائن والأحوال للدلالة عليها، فالسياقات الحالية للخطاب لها دور كبير في الكشف عن مضمرات القول .

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أنّ لهذا النوع من متضمنات القول درجات متفاوتة في عمقها المضمر خلف سياقات الكلام، وكلما استحضرنا السياق التخاطبي استبانت درجات هذا المضمر شيئاً فشيئاً، وإذا حاولنا مقاربة مضمرات القول في الخطاب القرآني فإنّ أول ما نستبعده التفسير بالرأي والإشارات الصوفية التي تبنى على أسس ذاتية، أو باطنية بعيدة عن سياقات الخطاب القرآني ومقاصده السامية، ومن ثم فهي لا تكشف عن مضمرات الخطاب بقدر ما تحاول إلصاق معانٍ بعيدة أو قريبة بالآية[٢] .

الفصل الثاني: **الحِجاج اللغوي**:

يُعد (ديكرو) من مؤسسي نظرية الحِجاج اللغوي باعتبارها نظرية لسانية حديثة ، وحصرها في اللغة ودراستها، إذ يكون بتقديم المتكلم قولاً يفضي إلى التسليم بقول آخر فهو إنجاز لعمليتين : عمل صريح بالحُجة وعمل بالاستنتاج، وانطلقت هذه النظرية من فكرة مفادها : (إنّنا نتكلم بقصد التأثير) ؛ لأنّ اللغة تحمل وظيفة حِجاجية بصفة ذاتية ، وهذه الوظيفة كامنة في الأقوال نفسها[٣].

---

[١] ينظر : مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ٣٩ .

[٢] ينظر : التفسير والمفسرون: ٢/٢٥٦، وأصول التفسير والتأويل : ٢١١.

[٣] ينظر : أدوار الاقتضاء وأغراضه الحِجاجية في بناء الخطاب بحث ضمن كتاب (الحِجاج مفهومه ومجالاته) : ١ / ١٤٢-١٤٣ ، واللغة والحِجاج : ٨ – ١٤ .

ويرى (ديكرو وانسكومبر) أنّ هذه النظرية تنغلق على النص ولا تتعامل مع خارجه، وتهتمّ بالوسائل اللغوية وإمكانيات اللغة الطبيعية ؛ بغية توجيه المحاجج خطابه وجهة حِجاجية ما تمكّنه من تحقيق أهدافه، وغايتهما من تأسيس هذه النظرية تطوير نظرية الأفعال اللغوية بإضافة فعلين لغويين إليهما هما : (فعل الاقتضاء) و (فعل الحِجاج)[١] .

وأهمّ الأسس التي انطلق منها (ديكرو وانسكومبر) في نظريتهما الحِجاجية هي[٢] :

١- الوظيفة الأساسية للغة هي الحِجاج .
٢- المكون الحِجاجي في المعنى أساسي والمكون الإخباري ثانوي .
٣- عدم الفصل بين الدلالة والتداولية ، والدعوة إلى فرضية التداوليات المدمجة.

يُلحظ من ذلك أنّ استعمال الحجج يسري في اللغة لإبراز نظام وتراتبية الحجج بالنسبة إلى نتيجة معينة ، ويسمى ذلك بالسلم الحِجاجي[٣]، ويرتبط بمفهوم السلم الحِجاجي مفهوم آخر، هو الوجهة أو الاتجاه الحِجاجي ، ويعني هذا المفهوم أنّه إذ كان قول ما يمكن من إنشاء فعل حِجاجي فالقيمة الحِجاجية لهذا القول يتم تحديدها بوساطة الاتجاه الحِجاجي وقد يكون صريحاً أو مضمراً ، فإذا كان صريحاً أي مشتملاً على الروابط والعوامل الحِجاجية ، وأمّا إذا كان مضمراً فإنّ التعليمات المحددة للاتجاه الحِجاجي تستنتج من الألفاظ والمفردات، فضلاً عن السياق التداولي والخطاب العام[٤] .

أمّا المبادئ الحِجاجية فهي بمثابة ضامن يضمن الربط بين الحُجة والنتيجة[٥]، وهذه المنطلقات الأساسية التي يقوم عليها الحِجاج اللغوي على اعتبار أنّ الحِجاج جنس خاص من الخطاب يُبنى على قضية ، أو فرضية خلافية يستعين بها المتكلم بالوسائل اللغوية والآليات الإقناعية المترابطة منطقياً موجهاً بها للتأثير في المتلقي على صدق دعواه وحمله على الإذعان والتسليم[٦]، ومن هنا نجد أنّ السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان قد التمس هذه الألية وكما يأتي :

---

[١] ينظر : نظرية الحِجاج في اللغة بحث ضمن كتاب (أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية) : ٣٧٦ .
[٢] ينظر : التداولية والحِجاج مداخل ونصوص : ٢١-٢٢ .
[٣] ينظر : الحِجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة: ٣٠ – ٤٠ .
[٤] ينظر : اللغة والحِجاج : ٢٥ .
[٥] ينظر : اللغة والحِجاج: ٣١ .
[٦] ينظر : الحِجاج التصورات والتقنيات (بحث) : ٧٣ .

المبحث الأول : **الروابط الحِجاجية** :

ويُراد بها : ((مكونات لغوية تربط بين قولين ، أو أكثر داخلين في استراتيجية حِجاجية واحدة بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحِجاجية بين حُجة ونتيجة، أو بين مجموعة من الحجج))[1].

فالروابط هي إحدى المؤشرات الحِجاجية التي تسند معنى من المعاني إلى الأقوال التي يتلفظ بها المتكلم ، وبها يوجه الحِجاج بداية ونهاية، فمنها ما يربط بين حُجة ونتيجة، ومنها ما يربط بين مجموعة من الحجج ، ولكل رابط عمله الذي يختص به دون سواه في الدلالة وليس هذا فحسب بل

---

[1] بلاغة الإقناع في المناظرة : ١٠٠ .

((إنّ وظيفة الروابط الحِجاجية غير مقصورة في ربط الحجج بالنتائج ، وإنّما تتعدى هذا النطاق الضيق ، لتضطلع بوظيفة مركزية تتمثل في توجيه القول نحو وجهته الحِجاجية))[١] .

ومن ميزات الروابط الحِجاجية أنّها تُعدّ (موصلات تداولية) تسمح بالتأويل، ولا تقف عند الدلالة وإنّما تتعدى ذلك ، وتتماز عن العوامل الحِجاجية باختلاف أصنافها وأنماطها[٢]، وقد اتكأ الحِجاج التداولي على الروابط اللغوية التي كانت مهمتها داخل التراكيب والجمل، في إطار ما نسميه بالتداولية المدمجة[٣]، وقسّم الدكتور (أبو بكر العزاوي) هذه الروابط بحسب عملها في الخطاب الحِجاجي على ما يأتي[٤] :

١- **الروابط التي تُدرج حُججاً قوية** : وهي : (حتى ، بل ، لكنّ ، لاسيما)، وهذه الروابط تربط بين حِجتين، أو مجموعة حجج ، والحجج التي تأتي بعد هذه الروابط أقوى من الحجج التي تأتي قبلها .

٢- **الروابط المدرجة للنتائج** : ومنها (إذن ، لهذا ، بالتالي) ، وهناك روابط أخرى مدرجة للنتائج وهي : (الفاء ، إذ ، لأنّ ، اللام ، إذا ، كي)[٥] .

٣- **روابط التعارض الحِجاجي (متعاندة)** : وهي (بل ، لكنّ ، مع ذلك) .

٤- **روابط التساوق الحِجاجي (متساندة)** : وهي (حتى ، لا سيما ، الواو ، بل ، ثم) .

أولاً : **الروابط التي تُدرج حُججًا قوية** : **ومنها** : (**حتى** ، **لكنّ** ، **بل**) :

١ - (حتى) :

ولها أكثر من معنى في اللّغة العربية ، فهي عاطفة وجارة وناصبة للفعل المضارع ، وللتعليل ، والشرط أيضاً[٦]، أمّا التي تأتي رابطاً حِجاجياً فإنّها تدخل على الأفعال، والأسماء على حدٍ سواء ، أمّا التي تجرُ ما بعدها فهي حِجاجية بشرط أنْ يكون ما بعدها داخلاً فيما قبلها الذي يدل على قوة الحُجة ، وهذا ما اصطلح عليه بالسور الكلي، أو شبه الكلي الظاهر في الخطاب، أو

---

[١] الحِجاج والمواطنة : ٨٩ .

[٢] مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحِجاج : ١٧٣.

[٣] ينظر : الحِجاج في القرآن من خلال اهم الخصائص الأسلوبية : ٣٥ – ٣٦ .

[٤] ينظر : اللغة والحِجاج : ٣٠ .

[٥] ينظر : الخطاب الحِجاجي أنواعه وخصائصه قراءة في كتاب المساكين لـ : الرافعي :١٦١ –١٦٢ .

[٦] ينظر : أوضح المسالك: ٣ /٣٢٤، واللغة والحِجاج : ٦٤ – ٦٥ .

المضمر[١]، وهي من الروابط الحِجاجية التي تُوَظّف في أكثر من بعد حِجاجي في الربط بين الحجج للخروج بنتيجة ، وحاصل ما ذُكِرَ أنّ أكثر السياقات التي ترد بها (حتى) في الغالب تكون حِجاجية، ويأتي السياق ليحدد الأثر الذي تؤديه (حتى)، وغاياتها الحِجاجية[٢]، والشاهد على توظيف ذلك قوله تعالى: **چ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي □ □ چ** النور: ٢٧ .

قال السيد الطباطبائي فيها : ((الأنس بالشيء وإليه الألفة وسكون القلب إليه ، والاستيناس طلب ذلك بفعل يؤدي إليه كالاستيناس لدخول بيت بذكر الله والتنحنح ونحو ذلك ليتنبه صاحب البيت أنّ هناك من يريد الدخول عليه فيستعد لذلك فربما كان في حال لا يحب أنْ يراه عليها أحد ، أو يطلع عليها مطلع))[٣]، وقال أيضاً : ((وقيل: إنّ في قوله: "حتى تستأنسوا و تسلموا" تقديماً وتأخيراً والأصل حتى تسلموا تستأنسوا ، وهو كما ترى))[٤] .

ويُلحظ أنّ صاحب الميزان يعضد تلك الآراء بحُجة عن محمد بن الحسن، إذ قال: ((أقول : ورواه الصدوق في معاني الأخبار، عن محمد بن الحسن مرفوعاً عن عبد الرحمن عنه (عليه السلام) ، وفي المجمع، عن أبي أيوب الأنصاري قال: قلنا: يا رسول الله ما الاستيناس؟ قال يتكلم الرجل بالتسبيحة ، والتحميدة ، والتكبيرة ، ويتنحنح على أهل البيت))[٥] .

لقد ساهمت (حتى) في بناء التوجه الحِجاجي لدى السيد الطباطبائي، كونها أدت أثراً مهماً في تجانس النص والربط بين أجزائه؛ لأنّها ربطت بين حجتين ، لذا ركّز صاحب الميزان على الحُجة الثانية، فعمل على توضيحها عن طريق إيراده لأكثر من رأي في توضيح الحُجة الثانية، بوصفها الحُجة الأقوى ؛ لأنَّ الحُجة التي تأتي بعد هذا الرابط تُعدّ أقوى من الحُجة التي تردُ قبله[٦] بفضل ما ينماز به هذا الرابط من خاصية التوجيه الحِجَاجي؛ فضلاً عن أنّ (حتى) العاطفة تكون ((لمطلق الجمع، كالواو عند عدم القرينة. ولا تفيد ترتيباً زمنياً بين العاطف والمعطوف، والمعتبر

---

[١] ينظر : اللغة والحِجاج : ٧٢ – ٨١ .
[٢] ينظر : المصدر نفسه : ٧٢ .
[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ٨٨ .
[٤] المصدر نفسه : ١٥ / ٨٨ .
[٥] المصدر نفسه : ١٥ / ٩٢ .
[٦] ينظر : اللغة والحِجاج : ٣٠ .

فيها ترتيب أجزاء ما قبلها ذهنا من الأضعف إلى الأقوى))[١]، وهو ما عملت عليه (حتى) في النص إذ جاءت الحُجة التي بعد(حتى) أقوى من الحُجة التي قبلها .

وفي النص الكريمِ يُطالعنا تعليق شرطي في موضعَين منه ما هو ناشئ عن ارتباط الجواب المقدم (لا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ) وفعله المضارع (تدخل) منهي عنه بـ(لا) بالشرط المؤخّر (حتَّى تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسلِّمُواْ عَلَى أَهْلِهَا) ذي الفعل المضارع (تستأنِسُوا)، والفعل المعطوف عليه (تُسلِّمُوا) المسبوقِ بـ(حتّى) اللازمة قبله، لنستنتج بربط (لا الناهية)، و(حتى) الغائية لهذين الطرفين: (الجواب المقدّم)، و(الشرط المؤخّر) فإنّ الدلالة العميقة له ينتظمها التركيب (ادخلوا بيوتًا غيرَ بيوتِكم إنْ استأنستُم وسلَّمتُم على أهلها)، أو (إنْ تستأنِسُوا وتسلمُوا على أهل بيوتٍ غيرِ بيوتِكم فادخلوها) ، أو (إنْ استأنستُم وسلَّمتُم على أهل بيوتٍ غيرِ بيوتِكم فادخلوها). في الموضعِ الأول منهما[٢] .

وما هو مكّون من ارتباط الجواب المقدم (لا تَدْخُلُوهَا) ذي الفعل المضارع (تدخل) المنهي عنه بـ(لا) المقدم هو وصلاته الإسنادية ، والتكميلية – بالشرطِ المؤخر (حتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ) – ذي الفعلِ المضارع (يُؤذَن) المسبوق بـ(حتى) اللازمة قبله – لنستنتج عن ربط (لا الناهية) ، و(حتى) الغائية لهذين الطرفين (الجواب المقدم) ، و(الشرط المؤخر) أنّ الدلالة العميقة له ينتظمها التركيب (ادخلوها إنِ أُذِنَ لكم) ، أو (إنْ أُذِنَ لكم فادخلوها) ، أو (إنْ يُؤذَنْ لكم فادخلوها).

إنّ الأُسس التي سار عليها السيد الطباطبائي للوصول إلى النتيجة المضمرة التي يحملها الخطاب الحِجاجي هي تركيزه على إيضاح معنى الحُجة الثانية عن طريق إيراده أكثر من رأي في توضيح معنى الاستيناس والاستئذان، فلقد عمل على إبراز الحُجة التي جاءت بعد الرابط الحِجاجي (حتى)؛ لأنَّ تأثير هذا الرابط تداولياً في المخاطَب أقوى، ونتاجه الحِجاجي أثبت ، وديمومته أبقى في حصول الاقتناع عند المخاطَب إليه[٣]، فـ(حتى) ((تخدم نتيجة واحدة))[٤]، وبهذا تكون الحُجة الأولى هي (نهي المؤمن من أنْ يدخل داراً غير داره) ، والحُجة الثانية هي(يجب على من أراد

---

[١] ضياء السالك إلى أوضح المسالك : الهامش(٢) :١٩٧/٣.

[٢] ينظر : التعليق الشرطِي بـ(النفي وحتى) ، وبـ(الطلب وحتى) في النص القرآني: دراسةٌ تحليليةٌ (بحث) : ٣٦ .

[٣] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٤٤٥.

[٤] اللغة والحِجاج: ٧٣.

دخول دارٍ غير داره أنْ يستأذن) والنتيجة المضمرة هي (النهي عن هتك حرم المؤمنين) فإنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أراد من المؤمنين التحلي بالأخلاق التي يدعو إليها الدين الإسلامي، وأنْ يكون الفرد المسلم قدوة لغيره في التمسك بالأوامر والنواهي التي أمر بها البارئ سبحانه وتعالى .

وسأرمز للحُجة التي تقع قبل (حتى) بـ (ح ١) ، و (ح ٢) للحُجة التي تقع بعد (حتى) ، و(ن) النتيجة ، وعلى هذا يكون ترتيب الحجج والنتيجة على النحو الآتي :

ح ١ : (يَأَيهَا الّذِينَ ءَامَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيرَ بيوتكم) .

ح ٢ : (تَستَأْنِسوا وَتُسلِّمُوا عَلى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيرٌ لّكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ) .

ن : (للبيوت حرمات عليكم احترامها) .

يتضح ممّا تقدم إنّ عمل (حتى) يكون في الربط بين أجزاء القضية الحِجاجية إذ إنّ الخطاب الحِجاجي ، وإنْ كان يتكون من حجتين، أو أكثر، أو من حُجة ونتيجة فهو بالنتيجة قضية واحدة لا يمكن فصلها، وقد ((اختصت الروابط بالربط بين القضيتين البسيطتين لتصبحا قضية كبرى))[١]، ومن ثمَّ فإنّ ما بعد (حتى) متعلق بما قبلها والسياق يدل على ذلك ؛ ولأنّ القضية الحِجاجية واحدة فإنّ دور (حتى) هو ترتيب الحجج داخل الخطاب من الأضعف إلى الأقوى كما في التخطيط أعلاه، ممّا أدت بذلك أثراً حِجاجياً مهماً في إقناع المخاطَب لتحقيق أهداف المخاطِب التي سِيق الخطاب من أجلها .

٢ – (لكنّ) :

وهي من الروابط التي تدرج حججاً قوية، أي أنّ ما بعدها من الحجج أقوى ممّا قبلها ويتحقق ذلك إذا وقعت (لكنّ) بين كلاميين متنافيين بوجه ما، وهي من الحروف التي تدل على الاستدراك ، والتوكيد[٢]، وتفيد (لكنّ) الاستدراك بشرط :((توسطها بين كلاميين متغايرين نفياً وإيجاباً،

---

[١] العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : ٢٣ .

[٢] ينظر : الإضراب والاستدراك في نهج البلاغة دراسة دلالية (رسالة ماجستير) : ٥٩ – ٦٠ .

فتستدرك بها النفي بالإيجاب ، والإيجاب بالنفي ...))[١] ، أي يكون الثاني نقيض الأول ،أو ضده أو خلافه ، وهذا وذاك حكمهما واحد ، و((التغايير في المعنى بمنزلة في اللفظ))[٢] .

وقد شّكل الرابط (لكنّ) ظاهرة تستحق البحث ، من ذلك قوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼالبقرة: ١٧٧ .

قال السيد الطباطبائي : ((ولكنّ البِر من آمن بالله ، عدل عن تعريف البر بالكسر إلى تعريف البِر بالفتح ليكون بياناً وتعريفاً للرجال مع تضمنه لشرح وصفهم وإيماء إلى أنّه لا أثر للمفهوم الخالي عن المصداق ولا فضل فيه، وهذا دأب القرآن في جميع بياناته فإنّه يبين المقامات ويشرح الأحوال بتعريف رجالها من غير أنْ يقنع ببيان المفهوم فحسب))[٣] .

وأيضاً بإطلاق حجته قال : ((وبالجملة قوله ولكنّ البِر من آمن بالله واليوم الآخر، تعريف للأبرار وبيان لحقيقة حالهم، وقد عرفهم أولاً في جميع المراتب الثلاث من الاعتقاد والأعمال والأخلاق بقوله: من آمن بالله، وثانياً بقوله: أولئك الذين صدقوا وثالثاً بقوله: وأولئك هم المتقون))[٤] .

يُستشف من كلام صاحب الميزان أنّه لم يُثر طرف الاستدراك الأول، بل نُفي _ ابتداءً _ تصور المخاطَب بانحصار البِر بالتوجه نحو القبلة فتسبب النفي بإفراغ ذهن المخاطَب من المعنى الذي كان يعتقده وهو قبل (لكنّ) ، ثم جاءت وظيفة الاستدراك في ملء الذهن بالمعنى المطلوب ، ولذا نلاحظ الآية غيّرت أسلوبها التعبيري الذي يتجه إلى استبعاد الشكل عن معنى البِر ، ترى الإثبات ينطلق في الحديث عن شخصية البارّ وصفته ؛ للتدليل على أنّ الإسلام ينظر إلى الفكرة من خلال المفكر[٥] .

ويرى البحث أنّ في ذلك من فنية الإبلاغ للمتلقي ، ودقته في التعبير الوارد ، في النص الذي كمن بشكله في النفي والإثبات، وهذه الوظيفة التي أدتها (لكنّ) الاستدراكية ، لذا فهي من يوجه الخطاب الحِجاجي نحو النتيجة المقصودة مع وجود قضية واحدة محورية هي قضية الإيمان .

---

[١] المفصل في علم العربية : ٣٠٠ .

[٢] المصدر نفسه : ٣٠٠ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١ / ٣٥٦ .

[٤] المصدر نفسه : ١ / ٣٥٦ .

[٥] ينظر : تفسير من وحي القرآن: ٣ / ٢٠٤ .

ودلالة (لكنّ) الاستدراكية في هذا النص أنّها أدت معنى مغاير للجملة الواقعة قبلها، وهذا هو حقيقة الاستدراك الموضوع لـ (لكنّ)، لاسيما في الجمل المنفية ؛ لأنّها أوضح من المثبتة .

ويُلحظ هنا كيف عمل الرابط الحِجاجي (لكنّ) على ربط حجتين مختلفتين، إذ إنّ هذا الرابط يعبر عن التعارض ، والتنافي بين ما قبله وما بعده[١] ، وهناك اختلاف في قوة كل حُجة منهما ؛ لأنّ الحُجة التي بعد (لكنّ) أقوى من التي قبلها، مع احتفاظ السياق بالقضية المحورية وهي الإيمان، فعملت (لكنّ) على الوصل بين نتيجتين متعارضتين الأولى منفية، جاءت لتبرهن تلك الدعوى، فيما جاء ما بعد (لكنّ) بحجج الإثبات .

٣ – (بل) :

وهي من الأدوات الرابطة في العملية الحِجاجية ، لكنّ الحجتين اللتين تربطهما(بل) تكونان متغايرتين ، وهي حرف إضراب[٢]، وللإضراب في رأي النحاة دلالتان هما :

أ – **إبطالي** : وهو أنْ تكون الجملة التي بعد (بل) مبطلة للكلام الذي قبلها[٣]، ومن أمثلته قوله تعالى : ﭽ ﮋ ﮊ ﮉ ﮈ ﮇ ﮆ ﮅ ﮄ ﮃ ﮂ ﮁ ﮀ ﭿ ﭾ ﭽ الأنبياء: ٢٦ .

ب – **انتقالي** : وهو الانتقال من غرض إلى غرض مع إرادة الحفاظ على دلالة القول الأول[٤]، ومن أمثلته قوله تعالى : ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ الأعلى:١٤- ١٦ .

ومن خصائص (بل) في الإضراب الانتقالي هو أنّ الحُجة التي تأتي بعده أقوى من الحُجة التي تأتي قبله ، ومن ذلك قوله تعالى : ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ الأعلى:١٤- ١٦ .

قال السيد الطباطبائي : ((قوله تعالى: "بل تؤثرون الحياة الدنيا" إضراب بالخطاب لعامة الناس على ما يدعو إليه طبعهم البشري من التعلق التام بالدنيا والاشتغال بتعميرها، والإيثار الاختيار، وقيل: الخطاب للكفار، والكلام على أي حال مسوق للعتاب والالتفات لتأكيده))[٥] .

---

[١] ينظر : اللغة والحِجاج : ٦٠ .
[٢] ينظر : معاني الحروف : ٧١ .
[٣] ينظر : معاني النحو : ٣ / ٢٢٣ .
[٤] ينظر : المصدر نفسه : ٣ / ٢٢٣ .
[٥] الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٢٤٣ .

يُلتمس من أنّ (بل) في هذا المورد أفادت الانتقال من دون إرادة إبطال ما قبلها ؛ لأنّ كلتا الحجتين ترتبطان بقضية واحدة وهي الفوز والفلاح ، وقد جاء هذا الخطاب يتضمن حجتين :

ح١ : (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكى) ،

ح٢ : (ذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ فَصلى) .

ح٣ : (تُؤْثِرُونَ الْحَيَوةَ الدّنْيَا) .

وقد ربطت (بل) بين علاقتين حجاجيتين، الأولى بين الحُجة ما قبل الرابط (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربّه فصلى) ، والنتيجة المرتبطة بها وهي (الفلاح أو الفوز)، والعلاقة الأخرى بين الحُجة (تؤثرون الحياة الدنيا) والنتيجة التي تؤدي إليها هذه الحُجة وهي مضمرة يمكن تقديرها (لن تتزكّوا ولن تذكروا اسم الله)، إذ إنّ الحُجة الثانية هي الأقوى، ونتيجتها هي الأقوى[١] .

وهذا النوع من الحجج يسمى الحجج الواقعية ، أو الحجج المؤسسة على بنية الواقع ، وهذه الحجج لا يبتكرها المتكلم ؛ لأنّ تمثلاته موجودة في الواقع وما عليه إلا الإشارة إليها ، فالمتكلم لا يبتدع شيئاً من عنده وإنّما برصد الوقائع والربط بين الأشياء ، وهذه القضية واضحة عند الخالق سبحانه وتعالى[٢].

وقد عمَد السيد الطباطبائي إلى ترميز هذه الحُجة لتعطي إيحاءً دلالياً أكبر لتدعيم النتيجة التي يريدها، وهي (الفوز والفلاح)، وهذا يكسب الحُجة الأولى قوة مع ذلك بقيت الحُجة الثانية هي الأقوى ؛ لأنّها وجهت الخطاب نحو النتيجة التي أرادها النص ، ولأنّها جاءت بعد الرابط (بل) وهذا من خصائصها .

---

[١] ينظر : اللغة والحِجاج : ٦٠ – ٦٤ .

[٢] ينظر : الحِجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) (أطروحة دكتوراه) : ٢٤ .

ودلالة الإضراب الانتقالي بـ (بل) أنّها مثّلت تمهيداً لإقناع المخاطب بالحقيقة التي توخاها النص القرآني وهي العمل للآخرة ، وأفاد الإضراب في النص أنْ يتعامل الإنسان مع الدنيا تعاملاً وسطياً بلا انصراف إليها ، ولا انصراف عنها ؛ كونها مسلكاً يسلك بالإنسان إلى دار القرار[١] .

ثانياً : **الروابط المدرجة للنتائج** : **ومنها** :(**إذن** ، **إذ** ، **فاء السببية** ، **لام التعليل** ، **كي**)

١ – (إذن) :

وهي حرف معناه الجواب ، والجزاء فلا يصحب إلا جملة هي جواب شرط مذكور كقولهم : إنْ تأتني إذن آتك))[٢]، وهي في نظرية الحِجاج من الروابط التي تربط الحُجة بالنتيجة، أو تربط حجج بالنتيجة ، ومن أمثلة ذلك في قوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ المؤمنون: ٩١ .

قال السيد الطباطبائي : ((وقوله: (إذاً لذهب كل إله بما خلق) حُجة على نفي التعدد ببيان محذوره إذ لا يتصور تعدد الآلهة إلا ببينونتها بوجه من الوجوه بحيث لا تتحد في معنى ألوهيتها وربوبيتها، ومعنى ربوبية الإله في شطر من الكون ونوع من أنواعه تفويض التدبير فيه إليه بحيث يستقل في أمره من غير أنْ يحتاج فيه إلى شيء غير نفسه حتى إلى من فوض إليه الأمر، ومن البين أيضاً أنّ المتباينين لا يترشح منهما إلا أمران متباينان))[٣] .

وجاء الشرط هنا ليحقق الحُجة والنتيجة المطلوبة ؛ لأنّ عملية الشرط تعليق شيء بشيء، فإذا وجد الأول وجد الثاني، أو هو ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً على ماهيته[٤]، وقد شكّل أسلوب الشرط أبرز مؤشر أسلوبي تركيبي[٥]، وهو أسلوب تكاملي لا يمكن أنْ يُحذف من أجزائه ركنٌ ، فهو قائمٌ على ترتيبٍ نظْمي خاصّ واحدٍ لا تغيير له، يباينُ الترتيب الشرطي التعليقي الاعتيادي المعروف القائم على أداة الشرط وجملة الشرط وجملة الجواب، وأنّ هذا الربط، والارتباط الجمعي الشرطي لا يتحقق جزء منه وهو الجواب إلا بتحقق جزء أساسي هو الشرط الذي يسبقه وقوعاً ما جاء به بحثنا هذا بالعرض والتحليلِ الدلالي لما هو واردٌ في القرآن الكريم، وهو أسلوب التعليقِ الشرطي بالنفي ، وهو أسلوبٌ قائمٌ على التعليق الشرطي له نظمه الخاص المتحقق

---

[١] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٢٤٣ – ٢٤٤ .

[٢] شرح تسهيل الفوائد: ٤ / ١٩، وينظر : مسائل إذن (بحث) : ٤٢١ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ٥١ .

[٤] ينظر : التعريفات: ٧٣ .

[٥] ينظر : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : ٢١٩ .

بأدواتٍ لازمةٍ تربط بين الشرط والجزاء، وتلجأُ العربية إلى (الربط) إما لأمن اللبس في فهم الانفصال بين المعنيين ، وإما لأمن اللبس في فهم الارتباط بين المعنيين[١] .

ويُلحظ أنّ إخبار المخاطبين –المشركين واليهود– وإلزامهم الحُجة، كون (مبدأ الإخبار) يمثل حُجة، وورود الخبر منفياً قبل (إذن) هو السبب المباشر في مضمون جملتها، وقد تفرعت عن هذه الحُجة نتيجة استلزمها الخطاب وهي (إن الله غني عن العالمين)، أمّا سبب تقديم نفي الولد على نفي الشريك بسبب أنّ شبهة عبدة الملائكة أقوى من شبهة عبدة الأصنام، وتسويغ ذلك أنّ الملائكة غير مشاهدين، فليس دلائل الحدوث بادية عليهم كالأصنام، نرى في ضوء ذلك أنّ الذين زعموا هم بنات الله أقرب للتمويه من الذين زعموا الحجارة شركاء الله[٢]، وقد دُعِمت هذه الدعوى بدليل يسميه (ريك سيلارز) المثال الافتراضي، أو النظري، وهو الذي يستعمل عندما لا تصلح الأمثلة الحقيقية، فافتراض وجود الآلهة معه يؤدي إلى استقلال كل إله بما خلق، ووقوع التجارب والتغالب بينهم كما هو جارٍ بين الملوك[٣] .

يتضح ممّا تقدم أنّ السيد الطباطبائي قد وُظف الشرط بهذه الأداة لتؤدي معنى الحُجة ، وممّا لا جدال فيه أنّ ثمة أسباباً تكمن وراء التركيز على توظيف الشرط والأداة (إذن) بصورة خاصة، إذ إنّ المبدع في عمله الفني يروم بثّ أفكاره وعواطفه، تلك الأفكار والعواطف تأخذ طريقها إلى التعبير، وبأسلوب ينم عن فرادة صاحبه، ومن السياقات التي مثل أسلوب الشرط فيها مؤشراً أسلوبياً بارزا الآية (إذاً لذهب كل إله بما خلق) ومن المعلوم أنّ (إذن) هي للشرط في الاستقبال ومتحقق الوقوع، إذ يصف الباري عز وجل هنا حال بعض المشركين، الذين يجعلون لله ولداً، وهذا الاستعمال للشرط بالأداة إذ هو استعمال مقصود كون الباري عز وجل اعلم بحال هؤلاء القوم ممن هو متقلب محتال[٤].

٢ – (إذْ) :

---

[١] ينظر : التعليق الشرطي بـ(النفي وحتى) ، وبـ(الطلب وحتى) في النصِ القرآني: دراسة تحليلية (بحث) : ٢١ .

[٢] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ٥٢ .

[٣] ينظر : النص والخطاب والاتصال: ٢٠٩.

[٤] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ٥١ – ٥٢ ، وأسلوب الشرط في القرآن الكريم، جمالياته ووظائفه، سورة الروم مثالًا (بحث) : ١ .

تُعدّ (إذْ) عند النحويين القدامى من الظروف التي وضعت لِما مضى من الزمن، فهي تقع على الأزمنة الماضية المبهمة، ولا تختص ببعض من دون بعض، وتمثل عند الحِجاجيين رابطاً حِجاجياً يربط الحُجة بالنتيجة[1] .

وقد وردتْ كثيراً في القرآن الكريم، فتعامل معها السيد الطباطبائي تعاملاً حِجاجياً في كثير من المواطن التي وردتْ فيها، كما في قوله تعالى : **ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ** آل عمران: ١٠٣ .

قال السيد الطباطبائي : ((جملة إذ كنتم، بيان لما ذكر من النعمة، وعليه يعطف قوله: (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) ، والأمر بذكر هذه النعمة مبني على ما عليه دأب القرآن أنْ يضع تعليمه على بيان العلل والأسباب، ويدعو إلى الخير والهدى))[2] .

وأشار أيضاً في بيان تلك الحُجة بقوله : ((وما ذكره تعالى من الدليلين أحدهما وهو قوله: إذ كنتم أعداء، مبتن على أصل التجربة، والثاني وهو قوله: وكنتم على شفا حفرة، على طريقة البيان العقلي كما هو ظاهر))[3] .

يرى السيد الطباطبائي أنّ كلام الله ــ سبحانه وتعالى ـ يتضمن قيمة حِجاجية في كون التأليف بين قلوب المسلمين يُعدّ حُجة عليهم؛ لكي يشكروا الله على تلك النعمة، إذ ألف بين قلوبهم بعد أنْ كانوا أعداء، إذ إنّ الله ــ سبحانه وتعالى ـ قد ألف بين الأنصار بنعمة الإسلام بعد أنْ كانوا قبل الإسلام أعداء ، وعاد ليذكر رأياً آخر: وهو أنّ هذا دليل على أصل التجربة المعهودة لديهم .

لقد دلت قراءة صاحب الميزان للنص على أنّ المسلمين لابدّ أنْ يشكروا الله سبحانه وتعالى على النعم التي أنعم بها عليهم، ومنها نعمة التأليف بين قلوبهم بعد أنْ كانوا أعداء ، وهذا يعود للرابط الحِجَاجي (إذْ) الذي يربط بين الحُجة والنتيجة، فهو من الروابط المدرجة للنتائج ، وقد جاء في النص من أجل ربط الحُجة بالنتيجة، فالحُجة التي يتضمنها النص هي قوله تعالى: (كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلّف بَينَ قُلُوبِكُمْ فَأَصبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً)، والنتيجة التي يضمها النصّ هي قوله تعالى:

---

[1] ينظر : الكتاب : ٢٨٥/٢، ٢٢٩/٤ ، والبُعد التداولي والحِجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل: ٨٦.

[2] الميزان في تفسير القرآن : ٣ / ٣١٩ .

[3] المصدر نفسه : ٣ / ٣٢٠ .

(وَاذْكُرُوا نِعْمَت اللهِ عَلَيْكُمْ) فقد مثلت (إذْ) رابطاً حجاجياً كان له أثر ربط الحُجة بالنتيجة التي سبقتها[١] .

وهذا ما عمل عليه السيد الطباطبائي في تحليله للنص، فهو يرى أنَّ على المسلمين الذين أُلِفت قلوبُهم بنعمة الإسلام أنْ يشكروا الله سبحانه وتعالى على نعمته تلك؛ لأنَّهم أصبحوا إخواناً أي يقصد بعضهم مقصد بعض، وهذا يتطلب كثيراً من الشكر لله سبحانه وتعالى كونه هو مَنْ ألف بين قلوبهم.

وهنا قد تلمس في كون(إذْ) رابط حجاجي يربط بين الحُجة والنتيجة التي جاءتْ الحُجة من أجلها، وعلى هذا يكون ترتيب الحُجة والنتيجة كما يأتي :

ن : (وَاذْكُرُوا نِعْمَت اللهِ عَلَيْكُمْ) .
ح : (كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّف بَينَ قُلُوبِكُمْ فَأَصبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) .

يُضاف إلى ذلك اتفاق زمن الصيغة الدالة على الماضي (كنتم) مع الظرف (إذ) الدالة على الماضي أيضاً، ممّا يعني أنّ الظرف أُكد من الصيغة التي تعبر عن أحداث ماضية مجهولة الزمن ، وذلك إنّ (إذ) ظرف يدل على مجهول من الوقت ، وإضافتها إلى الفعل الماضي (كنتم) فيه دلالة على حركة الفعل لذا انتقل الحوار من الإجمال إلى التفصيل[٢] .

وخلاصة ذلك أنّ الروابط الحِجاجية قد عملت على تماسك النص، وانسجامه ، فضلاً عن ذلك أنَّها ساهمت بتوجيه الخطاب نحو الوجهة المبتغاة منه ، فلم يهمل صاحب الميزان عمل تلك الروابط كما مرَّ ذلك في تحليله للآيات القرآنية الكريمة، بل وظّفها توظيفاً مناسباً في ترجيحه حُجة على حُجة أُخرى عن طريق الإضراب الذي جاءت به بعض الروابط، أو محاولة إبرازه الحُجة الثانية التي وردت في بعض الروابط، أو اعتماده على الاستدراك الذي أحدثتهُ بعض الروابط ممّا ساعده كثيراً على فهم ما يعتري النص من غموض، أو تعزيزه رأياً معيناً يتبناه اعتماداً على عمل بعض الروابط التي تكشف عن اتساق النصّ وتوجيهه وجهة ما، أو توجيه الخطاب نحو نتيجة معينة ، بالاعتماد على بعض الروابط التي تربط الحجج بالنتائج .

٣ – (الفاء السببية) :

---

[١] ينظر : البُعد التداولي والحِجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل : ٨٦.

[٢] ينظر : معاني النحو : ٦٣١ ، والدلالة الزمنية في الجملة العربية : ١٣٢ ، والفعل زمانه وأبنيته : ٢٤ ، وحُسن التخلص في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية : ٢٣٦ .

من الروابط التي تربط الحجج بالنتائج ، وتكون على نوعين :

أ – الرابطة لفعل الشرط بجوابه : وهي تحمل دلالة السبب أيضاً ((خُصت الفاء بربط الجواب بالشرط لما فيه من معنى السببية، ولمناسبتها للجزاء معاً))[١]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ **آل عمران: ٣١ .**

قال السيد الطباطبائي : ((إنْ كنتم تريدون أنْ تخلصوا لله في عبوديتكم بالبناء على الحب حقيقة فاتبعوا هذه الشريعة التي هي مبنية على الحب الذي ممثله الإخلاص والإسلام وهو صراط الله المستقيم الذي يسلك بسالكه إليه تعالى، فإنْ اتبعتموني في سبيلي وشأنه هذا الشأن أحبكم الله وهو أعظم البشارة للمحب، وعند ذلك تجدون ما تريدون، وهذا هو الذي يبتغيه محب بحبه، هذا هو الذي تقتضيه الآية الكريمة بإطلاقها))[٢] .

وأشار أيضاً إلى ذلك بقوله : ((على أنّ الآية مشعرة بكون إطاعة الله وإطاعة الرسول واحدة، ولذا لم يكرر الأمر، ولو كان مورد الإطاعة مختلفا في الله ورسوله لكان الأنسب أنْ يُقال: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول كما في قوله تعالى: "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم": النساء – ٥٩، كما لا يخفى))[٣] .

واحتج بقولٍ آخر بقوله : ((وبه يظهر أنّ اتّباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومحبة الله متلازمان فمن اتبع النبي أحبه الله ولا يحب الله عبدا إلا إذا كان متبعا لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإذا اتبعوا الرسول اتصفوا بكل حسنة يحبها الله ويرضاها كالتقوى والعدل والإحسان والصبر والثبات والتوكل والتوبة والتطهر وغير ذلك))[٤] .

وقد أثبت الجزاء لتلك المحبة إذ قال : ((فمن أحب الله أحبه الله ومن أحبه الله كان من الآمنين ، أيّ أنّ المحبة والمودة تجمع المتفرقات وتوحد الأرواح المختلفة وتتوحد بذلك الإدراكات وترتبط به الأخلاق ، وتتشابه الأفعال))[٥] .

فيتضح أنّ الرابط الحِجاجي (الفاء السببية) الذي اعتمد عليه السيد الطباطبائي في تفسيره للنص عَمِل على النسق بين الأحداث المتتابعة المتسلسلة يمثل الربط بين السبب والنتيجة، الذي يربط

---

[١] الرابط وأثره في التركيب في العربية : ١٥٩ ، وينظر: الكتاب ٣ / ٣٣ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ٣ / ١٤٠ .

[٣] المصدر نفسه : ٣ / ١٤١ – ١٤٢ .

[٤] المصدر نفسه : ٥ / ٣٣٠ – ٣٣١ .

[٥] الميزان في تفسير القرآن : ١ / ٣٦ ، ٥ / ٣١٨ .

بين المسبب (التالي له) بالسبب (السابق له)، لدلالتها على الترتيب، وهذا الوصل السببي يُسهم في العلاقات الخاصة كالنتيجة والسبب والشرط وهي علاقات منطقية ، وهذه العلاقات المنطقية يعبر عنها (بيرلمان وتيتيكاه) بالحُجة التداولية: ((وهي الحُجة التي تمنح فرصة التقديم لعمل ما أو حدث وذلك بالنظر إلى تتابعاتها))[١]، وما ينماز به الترابط التتابعي من غيره من الترابطات المنطقية الأخرى الترتيب الزمني فهو الأساس فيه، ناهيك عن ذلك أنّها تحمل طاقة حِجاجية عالية، لكونها تدخل ضمن ما يسمى بالسبيل التفسيري في الحجاج ، وهي تقنية في الحجاج تثير الانتباه وتستجلب الإصغاء إلى قبول الحُجة القاطعة[٢] .

ومن هنا تُعدّ هذه العلاقة من أبرز العلاقات الحِجاجية، وأقدرها في توجيه سلوك المتلقي؛ لأنّها ضرب مخصوص من العلاقات التتابعية يحرص فيها المحاجج على ربط الأحداث والأفكار ربطاً سببياً، فيتولد عن ذلك استدلال مباشر للنتيجة، وقد استند الحِجاج في بناء حججه على علاقة الشخص بعمله وهي حجج قائمة على الاتصال التتابعي، ومن أنماط هذا النوع[٣] .

ب – السببية: التي تدل على السبب[٤]، كما في قوله تعالى : **چ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۆ ۇ ۆ ۈ ۉ ې ې ې ى ى چ** الحج: ٦٣ .

فأشار السيد الطباطبائي إلى ذلك بقوله: ((قوله تعالى: "أ لم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إنّ الله لطيف خبير" استشهاد على عموم القدرة المشار إليها آنفا بإنزال الماء من السماء – والمراد بها جهة العلو – وصيرورة الأرض بذلك مخضرة ، وقوله: "إن الله لطيف خبير" تعليل لجعل الأرض مخضرة بإنزال الماء من السماء فتكون نتيجة هذا التعليل وذاك الاستشهاد كأنه قيل: إن الله ينزل كذا فيكون كذا ؛ لأنّه لطيف خبير وهو يشهد بعموم قدرته))[٥].

))[٥].

فيُفهم من ذلك أنّ الفاء ربطت بين نزول الماء ، وما ينتج عنه من اخضرار الأرض ، فالخطاب موجه إلى جمهور الناس وهذا له بعد حِجاجي تمثل في دفع المخاطبين وتوجيههم إلى سلوك معين، وهذا يسوغ سبب تقديم هذه القيمة بأسلوب استفهامي؛ لأنّ الاستفهام فعل إنجازي من أفعال السلوك

---

[١] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٨١.

[٢] ينظر : السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب : ١٣٧، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٦٥.

[٣] ينظر: الحِجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: ٣٤٢.

[٤] ينظر : المقتضب ٢/ ١٤ ، والرابط وأثره في التركيب في العربية : ١٥٩ .

[٥] الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ٣٢٨ .

بحسب تصنيف (أوستن)، وتتصف هذه الأفعال بكونها أفعالاً توجيهية تنمّ عن سلوك اجتماعي تفاعلي، يكون رد فعل اتجاه سلوك الآخرين الذين لا يؤمنون بهذه القيم وفي ضمنها قيمة إنزال الماء ؛ لأن الأحكام التي تطلق على شخصٍ ما سلباً، أو إيجاباً ما هي إلاّ نتاج أعماله، فهي جزء منه لا يتجزأ، فربط العمل بصاحبه يساعدنا على فهم عمله، ثم إمكان تقيمه مؤمناً أم منافقاً يستظهر الإيمان فجاءت النتيجة وعداً من الله تعالى إلى المؤمن، وجزاءً وتحقيق الوعد مرهون بتحقيق الإنجاز، فالحجاج انطلق من (موضع الترتيب) القائم على أساس التتابع المنطقي للأحداث، الذي تحكمه علاقة التلازم، أي: إنّ اخضرار الأرض لا يتحقق إلاّ بإنجاز إنزال الماء ، وهذا ما أفاده الرابط السببي (الفاء) التعقيب بلا مهلة بين الأحداث ، وينماز الخطاب بالإحالات القبلية عكست تماسكه وانسجامه، وهذه الحُجة تولد حافزاً في توجيه سلوك المؤمنين، وقد سارت هذه الحُجة على قاعدة (المناسبة) إحدى قواعد مبدأ التعاون؛ لأنّ الخطاب جاء بالقدر المطلوب من المعلومات التي من شأنها أنْ تحقق الأهداف المرسومة للخطاب[١] .

٤- (لام التعليل) :

تُعدّ (لام التعليل) من الروابط الحِجاجية التي تربط بين النتيجة والحُجة ولدعم النتيجة وتبريرها ، وإنّ الأسلوب السببي هو الذي يؤسس إلى قبول النتيجة والإقناع[٢]، فضلاً عن ((أنْ يكون ما بعدها علة وسببا فيما قبلها))[٣] . فيكون ما قبلها مقصوداً لحصول ما بعدها، وقد شكّلت ظاهرة متميزة في الميزان ، ومن أمثلتها في قوله تعالى : **چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ** النحل: ٤٤ .

إذ صرح بذلك السيد الطباطبائي فقال : (("لتبين" غاية للإنزال وأنّ المراد بالتفكر التفكر في الذكر ليعلم بذلك أنّه حق ومعنى الآية على هذا: وأنزلنا إليك الذكر أي القرآن لتبين للناس كافة ما نزل إليهم في ذلك الذكر من أصول المعارف والأحكام والشرائع وأحوال الأمم الماضية وما جرى فيهم من سنة الله تعالى، ولرجاء أنْ يتفكروا في الذكر فيهتدوا إلى أنه حق من عند الله أو يتفكروا فيما تبينه لهم ، وأنت خبير بأنْ لازم ذلك أولاً شبه تحصيل الحاصل في إنزاله إليه ليبين لهم ما

---

[١] ينظر: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي : ١٢٠.

[٢] ينظر : هندسة الأقناع في الاتصال الإنساني: ١٩٠.

[٣] النحو الوافي : ٤٧٣/٢ .

نزل إليهم، والإنزال واحد، ولا مدفع له إلا أنْ يغير النظم إلى مثل قولنا: وأنزلنا إليك الذكر لتبينه لهم))[١] .

يُستشف من كلام صاحب الميزان أنّ محور دلالة حركة الفعل (أنزلنا) حركة هابطة رأسية من الله إلى رسوله ومن رسوله إلى عباده، فالمعنى الوظيفي الذي يؤديه هو معنى الإرسال، فهو بمثابة الإبلاغ أو الإعلام تكمن قوته الإلزامية في الإقرار، فمن وجهة نظر منطقية (البيانات والبلاغات) لها خصوصية تتمثل في كون المتكلم ينجح في إنجاز هذا الفعل بوساطة التلفظ، فيتضح البعد الحِجاجي في كون (الإنزال) حُجة على من أُنزل عليه، ومُبلِّغ هذه (الحُجة) الرسول المرسل، فيكون إظهاراً في مقام الإضمار؛ لأنّ حقيقة إنزال الذكر إلى النبي هو إنزال إلى الناس، وهذه الغاية هي المرجوة من إرسال الرسول، فالتفاوت الحاصل بين الإنزالين: فالإنزال إلى النبي مباشرة، والإنزال إبلاغه إليهم[٢] ، والذي يُؤمِّن عملية الانتقال بين الحُجة والنتيجة هو الرسول؛ لأنّ وظيفة الرسول التبيان، فالتبيان نتيجة وحُجة أدرجت من أجل تحصيل الإقناع، فالإنزال حُجة، والتبيان حُجة ونتيجة في تحصيل الهداية.

وهنا يتضح أنّ الربط بلام التعليل من شأنه أنْ يوّحد العلاقة بين الأشياء في طريق التسليم بأسباب معينة تؤدي إلى حدوثه نتيجة لتلك الأسباب ، فيقوم المخاطب بالانطلاق من أرضية ليبني عليه أدلته التي تساعد على تقوية حججه، ومن ثم يوحي إلى المستمع بقبول النتيجة[٣] .

فيُلحظ أنّ الخطاب مشحون بالتفكر النابع من حكمة العقل وسلامة العقيدة، وقد استطاع السيد الطباطبائي بحسن اختياره للألفاظ أنْ يعبر عمّا يريد إيصاله بدقة ساعياً بذلك لإحداث التأثير في المتلقي ، فجاء بهذه الحُجة وساقها لتقوية الحِجاج وما ينسجم وسياق الموقف فـ ((لولا الموقف لا يمكن للمتكلم أنْ يختار المفردات المناسبة له ، ولا القواعد التركيبية ، ولا التحويلية لتلائم الصياغة مع هذا الموقف ولا ملائمة دال مع مدلول، بل دوال مصوغة على أساس الواقع))[٤] .

٥- (كي) :

من الروابط الداخلة على التراكيب الإسنادية الفعلية الخبرية التي فعلها فعل مضارع، وظيفته ربط هذا التركيب بتركيب إسنادي قبله، فيكون التركيب الثاني علة أو غرضاً للتركيب الأول،

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٢ /٢١٢ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه : ١٢ / ٢١٢ ، واللام في القرآن الكريم معانيها وعملها: ٦٢.

[٣] ينظر : هندسة الأقناع في الاتصال الإنساني : ١٩٠ .

[٤] أثر التماسك النصي في تكوين الصورة البيانية شعر خالد الكاتب إنموذجا (أطروحة دكتوراه): ٩٨ .

والتركيب الإسنادي الأول يكون فكرة مستقلة، أمّا التركيب الإسنادي الثاني المصدّر بـ(كي) فلا معنى له إلا بالتركيب الآخر[١]، وتحقيق هذا المعنى مرهون، بتحقيق وتفعيل القوة الإنجازية المتولدة عن الإقناع، ومن أمثلته قوله تعالى : **چ ـ ئا ئا ئه ئه ،ئو ئۇ ، ئۆ ئۆ ئۈ ، ئې ئې ئپ ،ئى ئد ى چ**طه:٢٩- ٣٣ .

فيُلحظ أنّ المقام مقام حوار وتفاعل خطابي، ولا يخرج التفاعل الخطابي في الحالات جميعها من أحكام القيمة، والنبي موسى (عليه السلام) يطرح قيمة (التعاون والتعاضد)، فقوله تعالى : (وَاجْعَل لي وَزِيراً مِّنْ أَهْلي) ؛ لأنّه خاف من نفسه العجز عن القيام بالتكليف، فطلب المعين؛ لأنّه رأى أنّ للتعاون على الدين والتظاهر عليه مع مخالصة الود مزية عظيمة في أمر الدعاء ، فأشار إلى ذلك السيد الطباطبائي بقوله : ((وبالجملة هو يسأل ربه أنْ يجعل له وزيراً من أهله ويبينه أنّه هارون أخي وإنّما يسأل ذلك ؛ لأنّ الأمر كثير الجوانب متباعد الأطراف لا يسع موسى أنْ يقوم به وحده بل يحتاج إلى وزير يشاركه في ذلك فيقوم ببعض الأمر فيخفف عنه فيما يقوم به هذا الوزير ويكون مؤيدا لموسى فيما يقوم به موسى وهذا معنى قوله – وهو بمنزلة التفسير لجعله وزيرا – "اشدد به أزرى وأشركه في أمري"))[٢]، وقد شمل ذلك متضمنًا للقول التداولي الذي يوحي به السياق، فبوصفه من أهله مظنة النصح له، وبوصفه أخاه أقوى في المناصحة[٣]، إذ قال صاحب الميزان :((وأمّا الإشراك في النبوة خاصة بمعنى تلقي الوحي من الله سبحانه فلم يكن موسى يخاف على نفسه التفرد في ذلك حتى يسأل الشريك وإنّما كان يخاف التفرد في التبليغ وإدارة الأمور في إنجاء بني إسرائيل و ما يلحق بذلك، وقد نقل ذلك عن موسى نفسه في قوله: "وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني": القصص : ٣٤))[٤] .

وأشار إلى حجية الرابط الحِجاجي (كي) أيضاً بقوله : ((وبذلك يرجع ذيل السياق إلى صدره كأنّه يقول: إنّ الأمر خطير وقد غر هذا الطاغية وملأه وأمته عزهم وسلطانهم ونشب الشرك والوثنية بأعراقه في قلوبهم وأنساهم ذكر الله من أصله وقد امتلأت أعين بني إسرائيل بما يشاهدونه من عزة فرعون وشوكة ملئه واندهشت قلوبهم من سطوة آل فرعون وارتاعت نفوسهم من سلطتهم فنسوا الله ولا يذكرون إلا الطاغية، فهذا الأمر أمر الرسالة والدعوة في نجاحه ومضيه في حاجة شديدة إلى تنزيهك بنفي الشريك كثيرا وإلى ذكرك بالربوبية والألوهية بينهم كثيرا ليتبصروا فيؤمنوا

---

[١] ينظر : أوضح المسالك ٣ / ١٦٢، والجملة العربية: مكوناتها – أنواعها – تحليلها : ١٤٠.

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ١١٩ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه : ١٤ / ١١٩ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن: ١٤ / ١٢٠ .

وهذا أمر لا أقوى عليه وحدي فاجعل هارون وزيراً لي وأيدني به وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيرا لعل السعي ينجع والدعوة تنفع ، وبهذا البيان يظهر وجه تعلق هذه الغاية أعني قوله: "كي نسبحك"))[١] .

يتبين ممّا تقدم أنّ الرابط الحِجاجي (كي) في النص أفاد التعليل ، وهي حرف استقبال؛ لأنّها تُصيِّر معنى الفعل المضارع الآتي بعدها خالصًا للمستقبل، بعد أنْ كان صالحًا للحال والمستقبل .

ثالثاً : **روابط التعارض الحِجاجي** : **منها** (**لكنّ** ، **بل**) :

١- (لكنّ) :

تُعدّ (لكن):((حرف استدراك، ومعنى الاستدراك أنْ تنسب حكماً لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنّك لمّا أخبرتَ عن الأول بخبر خفت أنْ يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركتَ بخبره إنْ سلباً، وإنْ إيجابياً، ولذلك لا يكون إلا بعد كلام ملفوظ به، أو مقدر...، ولا تقع لكن إلاّ بين متنافيين بوجه ما فإنْ كان ما قبلها نقيضاً لما بعدها، نحو:(قام زيد لكن عمراً لم يقم)، أو ضداً نحو: (ما هذا أحمر لكنه أصفر)، جاز بلا خلاف...))[٢] .

فهي من الروابط المدرجة للحجج القوية ولها خاصية التعارض الحجاجي، ومن ثمّ فهي تجمع بين علاقتين، علاقة القوة الحِجاجية وعلاقة التعارض الحِجاجي بين قولين حجاجيين[٣] ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﭽ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ النساء: ١٥٧ .

قال السيد الطباطبائي: ((فيما وقع فيه من السياق أعني بعد قوله تعالى "وما قتلوه وما صلبوه ولكنّ شُبّه لهم – إلى أنْ قال – بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما" أنْ تكون الآية في مقام بيان أنّه لم يمت وأنّه حي بعد إذ لا يتعلق ببيان إيمانهم الاضطراري وشهادته عليهم في غير هذه الصورة غرض ظاهر))[٤].

---

[١] المصدر نفسه : ١٤ / ١٢٠ .

[٢] ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني:٥١٦.

[٣] ينظر: الحِجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : ٣٤٧، وتطبيقات الحِجاج في الميزان في تفسير القرآن وفق نظريتي تولمن وديكرو (بحث) : ٢٧ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ٥ / ١١٦ .

لقد نظر صاحب الميزان إلى الرابط (لكن) من منظور حِجاجي في النص القرآني الذي قام بتحليله، فهو يرجح الحُجة التي بعد(لكن) كونها الحُجة الأقوى التي تعارض الحُجة التي قبل (لكن)، فقد أورد قولاً مفاده أنّهم: قتلوا رجلاً توهموا أنه عيسى (عليه السلام) وقد رفع الله عيسى حيّاً، وهذا الكلام يتضمّن حُجة تخدم النتيجة التي مفادها أنّهم لم يقتلوا النبي عيسى(عليه السلام)، وهذا يدفعنا للقول أنّ صاحب الميزان قد تعامل مع الحُجة التي قبل (لكن) على عدّها حُجة منتفية لقوله تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صلَبُوهُ)، مستعيناً بالسياق الذي ورد فيه الخبر[١] .

أمّا الحُجة الثانية التي وردت بعد الرابط (لكن) متمثلة بقوله تعالى: (شبِّهَ لهَمْ) ، فيرى فيها أنّ عيسى (عليه السلام) طلب من أصحابه أنْ يختار أحدهم أنْ يكون شبيهه فَيُقتل ويدخل الجنة فاختار أحدهم ذلك ، فَقُتِل، وقد عزّز صاحب التفسير رأيه بقوله تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَا)، فعرض قول أهل اللغة فيه لإثبات الحُجة الثانية، فقال:((وما قتلوه وما صلبوه ولكنّ شبه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً وإنّ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً))[٢]، وهذا الكلام يتضمن حُجة تخدم النتيجة المضادة للنتيجة الأولى ، فتكون النتيجة الثانية المضمرة (أنّ الكفار اعتقدوا أنّهم قتلوا نبي الله عيسى)، فقد كان ظنّهم في غير محله، وبما أنّ الرابط الحِجَاجي (لكن) يوجه الخطاب نحو الحُجة الثانية كونها الحُجة الأقوى ، فإنّ الحُجة الثانية ستوجه الخطاب برمته اتجاه النتيجة[٣]؛ لأنّ المخاطِب عندما يستعمل(لكن) للحِجاج يتوخى أمرين، الأول: تقديم حجتين الحُجة الأولى موجهة اتجاه نتيجة معينة، والحُجة الثانية موجهة اتجاه النتيجة المضادة لها، والأمر الآخر: هو أنْ تُقدم الحُجة الثانية بوصفها الحُجة الأقوى التي توجه الخطاب برمته، وهذا ما اتبعه السيد الطباطبائي كونه متلقياً للنص[٤]، وقد عمل الرابط الحِجَاجي (لكن) على وفق الوظيفة التي أُنيط بها وهي التعارض الحِجَاجي بين الحُجة والنتيجة المضمرة التي تقدمت الرابط والحُجة والنتيجة المضمرة التي تَلت الرابط ، وبهذا فإنّ (لكن) تحقق الانسجام التداولي والحِجاجي ، والدليل الذي يرد بعد (لكن) يكون أقوى من الدليل الذي يأتي قبلها[٥] .

٢ – (بل) :

---

[١] ينظر : المصدر نفسه : ٥ / ١١٤ .

[٢] المصدر نفسه : ٥ / ١٢٤ .

[٣] ينظر: اللغة والحِجاج :٥٩ .

[٤] ينظر: المصدر نفسه : ٥٨.

[٥] ينظر: الخطاب والحِجاج : ٤٤ .

من الأدوات الرابطة في العملية الحِجاجية، لكنّ الحجتين اللتين تربطهما (بل) تكونان متغايرتين ، وهي حرف إضراب[1]، وللإضراب في رأي النحاة دلالتان هما :

أ – **انتقالي** : وهو الانتقال من غرض إلى غرض مع إرادة الحفاظ على دلالة القول الأول[2]، ومن أمثلته قوله تعالى : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ النحل: ٧٥ .

ب – **إبطالي** : وهو أنْ تكون الجملة التي بعد (بل) مبطلة للكلام الذي قبلها[3] ، ومن أمثلته قوله تعالى : ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ الأنبياء: ٢٦ .

والذي يهمنا في هذا البحث هو الإضراب الإبطالي ؛ لأنّ فيه إبطال الأول والرجوع عنه وهذا يبدو في إثبات الحُجة أقوى من غيره[4]، وقد تبدّت الدلالة الإبطالية في النص القرآني بقول السيد الطباطبائي إذ قال : ((قوله تعالى: "وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون" ظاهر السياق يشهد أنّه حكاية قول الوثنيين أنّ الملائكة أولاده سبحانه فالمراد بالعباد المكرمين الملائكة، وقد نزه الله نفسه عن ذلك بقوله: "سبحانه" ثم ذكر حقيقة حالهم بالإضراب))[5] .

يتضح أنّ الرابط (بل) أدى وظيفة الإبطال والحِجاج اعتماداً على صيغته النحوية ، فإذا وقع بعد (بل) جمله فيكون لمعنى الإضراب ، وهذا ما صرح به صاحب التفسير بقوله : ((هناك كانت الجملة تعليلاً واضحاً لمجموع قوله: "بل عبادٌ مكرمون "))[6] .

يُستشف أنّ المحادثة بُنِيت على نظام الادعاء والاعتراض، وقد قام الادعاء على أمور هي :

١– اعتقاد المدعي بصدق ما يدعيه وهو اتخاذ الله سبحانه وتعالى الولد .

٢– الزام المدعي لمتلقي الدعوى بالتصديق بوساطة القول .

٣– إقامة الدليل على مضمون الدعوى وهو هاهنا الاستدلال بالنص القرآني .

---

[1] ينظر : معاني الحروف : ٧١ .
[2] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٣ / ٢٢٣ .
[3] ينظر : معاني النحو : ٣ / ٢٢٣ .
[4] ينظر : أساليب الإضراب والاستدراك في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) : ١٤ .
[5] الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ٢٢٤ .
[6] المصدر نفسه : ١٤ / ٢٢٦ ، وينظر : الخطاب والحِجاج : ٤٤ .

فيُلحظ من خلال تحليل المحادثة أثر(بل) كأداة بين حجتين متناقضتين تؤديان إلى نتيجتين متعارضتين، إذ برز دورها في إبطال الحُجة الأولى وإثبات الثانية وجر المحادثة كلها نحو الدليل الأقوى الذي يأتي بعدها بحسب سلم الارتقاء الحِجاجي الذي تعمله في الخطاب الحِجاجي التعارضي، وقد عملت (بل) في الخطاب الحِجاجي كوسيلة رابطة بين الحجج المتعارضة في إبطال حُجة الخصم والارتقاء بحجته الداحضة من خلال التوظيف .

رابعاً - روابط التساوق الحِجاجي (**متساندة**) : **ومنها** (**الواو** ، **حتى** ، **ثم**[1]) .

١- (الواو) :

يرى النحويون القدماء أنّ (الواو) حرف عطف ((للجمع مطلقاً، لا ترتيب فيها))[2] ، وهو عند الحِجاجيين رابط حجاجي يربط بين الحجج المتساندة؛ إذ يربط بين وحدتين دلاليتين، أو أكثر في إطار استراتيجية حِجاجية واحدة[3]، ولا يقتصر أثره على ذلك، بل يتعداه إلى ترتيب الحجج، ونسجها في خطاب متكامل، وتقوّية كلّ حُجة منها الحُجة الأُخرى التي ترِدُ بعدها[4] .

ولقد ورد الرابط الحِجاجي (الواو) الذي يربط بين الحجج المتساندة في تحليل السيد الطباطبائي لكلام الله سبحانه وتعالى في كثير من المواطن التي تناولها شرحاً وتحليلاً، منها قوله تعالى : ﴿ ﴾يوسف: ٧٣ .

قال السيد الطباطبائي : ((قوله تعالى: "قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين" المراد بالأرض أرض مصر وهي التي جاءوها ومعنى الآية ظاهر، وفي قولهم: "لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض" دلالة على أنّهم فتشوا وحقق في أمرهم أول ما دخلوا مصر للميرة بأمر يوسف (عليه السلام) بدعوى الخوف من أنْ يكونوا جواسيس وعيوناً ، أو نازلين بها لأغراض فاسدة أخرى فسألوا عن شأنهم ومحلهم ونسبهم وأمثال ذلك، وبه يتأيد ما ورد في بعض الروايات أنّ يوسف أظهر لهم أنّه في ريب من أمرهم فسألهم عن شأنهم ومكانهم وأهلهم وعند ذلك ذكروا أنّ لهم أبا شائخاً وأخاً من أبيهم فأمر بإتيانهم به... ، وقولهم: "و ما كنا سارقين" نفي أنْ يكونوا متصفين بهذه الصفة الرذيلة من قبل أو يعهد منهم أهل البيت ذلك))[5] .

---

[1] ينظر : اللغة والحِجاج : ٢٩ – ٣٠ .

[2] شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب :٣٨١/٤ .

[3] ينظر: اللغة والحِجاج : ٢٩.

[4] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٤٧٢.

[5] الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٨٦ .

لقد عمل صاحب الميزان على تثبيت الحُجة الأولى التي جاء بها أخوة يوسف ـ عليه السلام ـ فهو يرى أنّهم كانوا لا يظلمون أحداً، ولا يتجاوزون على زرع أحد، وقد أكمّوا أفواه إبلهم حتى لا تعيث فساداً في زروع النّاس، فقد ألفت الحُجة الأوّلى ركناً أساسياً من أركان دحض التهمة التي أُتِهم فيها أخوة يوسف ـ عليه السلام ـ ، وهذا ما عناه السيد الطباطبائي عند تحليله للآية الكريمة ، فقد أراد تبرئة أخوة يوسف ممّا نُسب إليهم بإيراده العلل التي تدعم الحُجة الأوّلى وتقويها ، وهذا ما ذكره في الحُجة التي وردت قبل الرابط (الواو)[1] .

أمّا الحُجة الثانية التي بعد الرابط فإنّها جاءت لتسهم في تأكيد تبرئتهم من التهمة الموجهة إليهم، فقد أعتمد السيد الطباطبائي على رواية مفادها أنّ أخوة يوسف قد ردُّوا البضاعة التي في رحالهم، ومن يقوم بمثل هكذا عمل لا يمكن أنْ يكون سارقاً[2]، والكلام الذي أورده صاحب التفسير واضح لا يحتاج إلى كدّ ذهن في الوصول إليه، فهو يرى أنّ من يتمتع بهذه الصفات لا يمكن أنْ يكون سارقاً وهو ما يعضد الحُجة الأوّلى ويقوّيها .

وبهذا يكون الرابط الحِجاجي (الواو) قد عمل على تقوية الحُجة الأولى عن طريق إسنادها بالحُجة الثانية؛ لأنّه من الروابط التي تورد حججاً متساندة، والحجتان اللتان وردتا في النص من الحجج المتساندة، وبإمكاننا القول: ((عن حجتين إنّهما متساندتان، إذا سيقتا لتعزيز النتيجة نفسها))[3]، وقد جاءت الحجتان متسقتين في سياق النص؛ لتعزيز النتيجة، فمنحتا الخطاب قوة التماسك التي أفضت إلى نتيجة واحدة هي (إنّ أخوة يوسف ـ عليه السلام ـ براء من التهمة الموجهة إليهم) .

فالرابط الحِجاجي ـ الواوـ قد أضفى على النص معالم حِجاجية في الربط بين الحجتين وجعلهما متساندتين، وهو المحور الأساس الذي دار عليه تحليل الآية الكريمة من قبل السيد الطباطبائي، فقد خرج بالنتيجة المضمرة من الحجتين التي مفادها(إنّ أخوة يوسف لم يكونوا سراقاً) ، وهي النتيجة التي تساندت الحِجتان من أجلها في النص بفضل الرابط الحِجاجي، فيكون ترتيب الحجج في النص كالآتي:

ن (المضمرة) : (إنّ أخوة يوسف لم يكونوا سراقاً) .

---

[1] ينظر : المصدر نفسه : ١١ / ١٨٦ – ١٨٧ .

[2] ينظر : المصدر نفسه : ١١ / ١٩٨ .

[3] الحِجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو (بحث) : ٢٢٨.

ح١ : (قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ في الأَرْضِ) .

ح٢ : (وَمَا كُنّا سارِقِينَ) .

٢ – (حتى) :

تدل على الربط بين حجتين لها التوجه الحجاجي نفسه، وهذه الحجج متساوقة تخدم نتيجة واحدة، بمعنى أنّها متساندة ومتضافرة في تحقيق النتيجة المراد إنجازها[١]، ومن شروط الجمع بين هذه الحجج أنْ تكون الحُجة التي تسبق (حتى) تخدم نتيجة معينة، والحُجة التي بعدها تخدم النتيجة نفسها، أيّ يشتركان في الوجهة الحِجاجية فضلاً عن ذلك لها طاقة حِجاجية غير متوفرة في الحُجة التي تسبق الرابط الحجاجي (حتى)[٢]، وهذا التساند بين الحجج يدفع كل تعارض، ويضمن إقناع المخاطب واستمالته، لهذا قال الدكتور (أبو بكر العزاوي) : ((إنّ القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي))[٣]، كما في قوله تعالى: **ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ** البقرة: ١٢٠ .

قال السيد الطباطبائي : ((قوله تعالى: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى، رجوع إلى الطائفتين بعد الالتفات إلى غيرهم، وهو بمنزلة جمع أطراف الكلام على تفرقها وتشتتها، فكأنّه بعد هذه الخطابات والتوبيخات لهم يرجع إلى رسوله ويقول له: هؤلاء ليسوا براضين عنك، حتى تتبع ملتهم التي ابتدعوها بأهوائهم ونظموها بآرائهم))[٤] .

يُلحظ أنّ قوله: (وَلَن تَرْضى عَنك الْيهُودُ وَلا النّصارَى) فعل كلام إنجازي، إقراري ، تكمن قوته في عزوف اليهود والنصارى عن دين نبي الله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، وهذا جُسِد بالفعل القولي عن طريق أدوات النفي (لن ، ولا)، والبُعد الحِجاجي من تقديم اليهود؛ فلأنّهم أشد عداوة للمسلمين من النصارى، والمحتوى القضوي يشير إلى أنّهم لا يؤمنون بالنبي، وهذا الاعتراف والإقرار يمثل حُجة عليهم، والطاقة الحِجاجية لهذه الحُجة ضعيفة.

وقوله : (حتى تَتّبِعَ مِلّتهُمْ) الحُجة الأقوى في الكشف عن النتيجة، وتتساوق الحجتان عن طريق الرابط الحِجاجي (حتى)؛ لهذا يكون ما بعد الرابط حُجة قوية غير قابلة للإبطال والتعارض

---

[١] ينظر : اللغة والحِجاج : ٧١ –٧٢ ، والحِجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو (بحث) : ٢٣٦ –٢٣٧ .

[٢] ينظر : الحِجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: ٣٥٥.

[٣] اللغة والحِجاج: ٧٣.

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١ / ٢٢٢ .

الحِجاجي، فاتباع ملة القوم حُجة نتيجتها رضاهم على النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، فالعلاقة الحِجاجية التي تضمنتها هي العلاقة الشرطية (ترضى عنك اليهود والنصارى إذا اتبعت ملّتهم)، وهذا يوحي باقتضاء مفاده: إنّ اليهود والنصارى لا يرضيهم شيء مما يدعوهم النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إليه إلاّ أنْ يتبع ملتهم، والقوة الإنجازية لمنطوق فعل الخطاب، ومقتضاه تحذير النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) من شدة عداوتهم له وللمسلمين، والمبالغة في إقناط النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) من إسلامهم، فإنّهم إذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته[1]، وهذا ينسجم مع الوصف الحِجاجي الذي قدّمه (ديكرو وانسكومبر) للأداة المقابلة لـ(حتى) في اللغة الفرنسية، أي الأداة (mene)، التي يكون ما بعدها متعلق فيما قبلها على نحو التعلق التراتبي[2] .

٣- (ثم) :

يُعدّ هذا الرابط أساس الترتيب والتراخي[3]، وهو أنْ يقع المعطوف بعد المعطوف عليه بعد انقضاء مدة بينهما، وهي من الروابط الحِجاجية لها الوظيفة نفسها التي يؤديها الرابط الحِجاجي (الفاء) في اقتضاء الترتيب ، ولكن ترتيبها بمهلة متروكة لما هو متعارف عليه[4] .

وإنّ الربط الحِجاجي بـ(ثم) يكون بين وحدتين ،أو أكثر في إطار استراتيجية حِجاجية واحدة لذا فقد يكون الربط بين عناصر غير متجانسة[5]، وقد وظفت (ثم) بتركيب مناسب حسب ما يقتضيه الكلام من ترتيب، وبذلك يلتفت المتلقي إلى معطيات المنوطة بالسياق ولبيان أثرها ومدى تحقيقها الإقناع عند المخاطب ، كما في قوله تعالى : **ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ**النساء: ١٥٣ .

قال السيد الطباطبائي : ((فسؤالهم تنزيل الكتاب من السماء بعد ما كانوا يشاهدونه من أمر القرآن لم يكن إلا سؤالاً جزافياً لا يصدر إلا ممن لا يخضع للحق ولا ينقاد للحقيقة وإنّما يلغوا ويهذوا بما قدمته له أيدي الأهواء من غير أنْ يتقيد بقيد أو يثبت على أساس، نظير ما كانت

---

[1] ينظر : البُعد التداولي والحِجاجي في الخطاب القرآني: ٢٠٥-٢٠٦، والنسق القرآني دراسة أسلوبية : ٣٠٤.
[2] ينظر : اللغة والحِجاج: ٧١.
[3] ينظر : مغني اللبيب : ١/ ١٢٤ .
[4] ينظر : المصدر نفسه : ١/ ١٢٤ – ١٢٦ .
[5] ينظر : اللغة والحِجاج : ٢٩.

تتحكم به قريش مع نزول القرآن، وظهور دعوته فتقول على ما حكاه الله سبحانه عنهم: "لولا أنزل عليه آية من ربه": يونس: ٢٠ "أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه: إسراء: ٩٣، ولهذا الذي ذكرناه أجاب الله سبحانه عن مسألتهم أولاً بّأنّهم قوم متمادون في الجهالة والضلالة لا يأبون عن أنواع الظلم وإنْ عظمت، والكفر والجحود وإنْ جاءت البينة، وعن نقض المواثيق وإنْ غلظت وغير ذلك من الكذب والبهتان وأي ظلم، ومن هذا شأنه لا يصلح لإجابة ما سأله والإقبال على ما اقترحه، وثانياً أنّ الكتاب الذي أنزله الله وهو القرآن مقارن لشهادة الله سبحانه وملائكته وهو الذي يفصح عن التحدي بعد التحدي بآياته الكريمة))[١] .

وأكد ذلك بقوله : ((ثم قال تعالى: "ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات" وهذه عبادة الصنم بعد ظهور بطلانه أو بيان أنّ الله سبحانه منزه عن شائبة الجسمية والحدوث، وهو من أفظع الجهالات البشرية "فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً" وقد أمرهم موسى في ذلك أنْ يتوبوا إلى بارئهم فيقتلوا أنفسهم فأخذوا فيه فعفا الله عنهم ولما يتم التقتيل ولما يقتل الجميع، وهو المراد بالعفو، وآتى موسى (عليه السلام) سلطاناً مبيناً حيث سلطه عليهم وعلى السامري وعجله، والقصة مذكورة في سورة البقرة آية: ٥٤))[٢] .

يُلحظ أنّ السيد الطباطبائي أنّه أشار إلى الخطاب كونه صادراً من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ليبين له مدى تعنت هؤلاء القوم وإصرارهم على الكفر حتى بعد أنْ بين الله لهم المعجزات عن طريق النبي موسى(عليه السلام)، ومن ثم جيء بالرابط (ثم) في الربط بين الأحداث لتعزيز وتوثيق الفكرة التي أرادها الخطاب ولتؤكد حالة الكفر لدى اليهود وإصرارهم على الكفر، إذ من خصائص هذا الرابط أنّه يساعد على التأثير في المتلقي ويجعله يتقبل نتيجة الخطاب بالاعتماد على مفردات تعد بمثابة الحجج ، فالربط الحِجاجي (ثم) قام بمهمة الوصل بين الحُجة والأخرى وترتيب الحجج لتقوية النتيجة وتدعيمها مع الآخذ بالاعتبار الفاصل الزمني بين كل حُجة[٣] .

وعلى هذا يكون كل الحجج تدعم بعضها في اتجاه حِجاجي واحد ، وهو إثبات تعنت هؤلاء القوم وبيان كفرهم المستمر بالأنبياء ، وتعزيزاً لاتساق هذا الخطاب جاء الرابط الحِجاجي (ثم) ليستدعي

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ٥ / ١١١ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ٥ / ١١٢ .

[٣] ينظر : خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم دراسة حِجاجية (رسالة ماجستير) : ٦٦ .

فرضية الاتخاذ مع البينات، و((للتركيز على حضور المأمور وقربه يعكس استراتيجية نصية مقصودة للتأثير في المخاطب الممتد عبر الزمان والمكان))[١]، إذ أدى الرابط الحِجاجي (ثم) أعلى درجة حِجاجية وقوة وتأثير لما بعد (ثم) على ما قبلها، وهذه البرهنة استمدت قوتها من تراخي الرابط الحِجاجي لتحقيق إضاءات تأثيرية في النص .

المبحث الثاني : العوامل الحِجاجية :

تُعدّ العوامل الحِجاجية من اللبنات الأساسية في بناء صرح الحِجاج ، فهي: ((عناصر لغوية إسنادية نحوية، أو معجمية، تربط بين مكونات القول الواحد كالحصر والنفي والشرط...، ووظيفتها حصر الإمكانات الِحجاجية))[٢]، وهي لا تربط بين المتغيرات الحِجاجية بين حُجة ونتيجة، أو بين مجموعة من الحجج، بل عملها منصب على حصر وتقييد وتوجيه المقولات الحِجاجية التي تمثل قولاً ما، وينضوي تحت لواء مقولة العوامل أدوات نحو : ربما، تقريباً، كاد، قليلاً، كثيراً، ما، إلّا، وجلّ أدوات القصر[٣] .

فالعامل الحِجاجي إذن :((مورفيم إذا دخل في الخطاب أسهم في تقليص الإمكانات الحِجاجية للكلام، وزاد من طاقته الحِجاجية في التوجه نحو نتيجة حِجاجية ما، ووظيفته تقتصر على شحن الكلام ليؤدي وظيفة حِجاجية تتلاءم مع مقاصد المحاجج، وفي الوقت نفسه يساعد المتلقي في تحديد دلالة المراد من الكلام ؛ لذا عُدّت العوامل موصلاً قضوياً حِجاجياً))[٤] .

إنّ العوامل الحِجاجية هي التي تحدد الوجهة الحجاجية للخطاب وتقطع الاحتمالات الممكنة أو الزائدة عند تأويله أو تقلصها، ويعنى بالوجهة الحِجاجية ((الاتجاه الذي يعيّن للقول، قصد الوصول إلى هذا القسم من الاستنتاجات أو إلى غيره))[٥] .

---

[١] التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية (أطروحة دكتوراه) : ٢٧ .

[٢] بلاغة الإقناع في المناظرة :١٠٠.

[٣] ينظر: اللغة والحِجاج:٢٧، والخطاب والحِجاج : ٥٦.

[٤] الحِجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) (أطروحة دكتوراه) : ٧٥.

[٥] اللغة والحِجاج : ٢٥ .

ولقد وردت العوامل الحِجاجية كثيراً في تفسير الميزان ، فقد اتكأ عليها في توجيه كثير من الرؤى التفسيرية، وهي على النحو الآتي :

أولاً : العوامل الحِجاجية التركيبية : ومنها :

١- العامل الحِجاجي بـ (أسلوب القصر):

إنّ أسلوب القصر هو تخصيص شيء بشيء بإحدى طرق القصر[١]، ويتضح من ذلك أنّه يختص ويحدد مدار الخطاب وتوجهه نحو طرف محدد، وهذا ما يطلق عليه المحدثون توجيه معنى الخطاب نحو شيء بعينه ؛ لأنّه مغزى الخطاب[٢]، وقد جعل البلاغيون للقصر أربعة طرائق هي : (النفي والاستثناء ، وإنّما ، والعطف بـ لكنّ و بل و لا ، وتقديم ما حقه التأخير)[٣] .

أ- العامل الحِجاجي: (النفي والاستثناء) : عُدّ هذا الأسلوب من أساليب التوكيد؛ لأنّه يحصر معنى الإخبار بالمقصود، وينفي ما دون ذلك، وتأتي فائدته حينما يكون المتلقي منكراً لأمرٍ ما ، فيكون هذا الأسلوب داحضاً للإنكار[٤]، وهو في الحِجاج من أبرز العوامل الحِجاجية وأقواها؛ لأنّه لا يترك شكاً لدى المتلقي بتوجيهٍ آخر للمعنى غير ما يقصده المتكلم ، وقد ذكر السيد الطباطبائي العامل الحِجاجي (النفي والاستثناء) في مواطن عدّة، منها عند تحليله لقوله تعالى: **ﭽﭼ ﭻ ﭺ ﭽ ﯿ ﯾ ﯽ ﯼ ﯻ ﯺ ﯹ ﯸ ﯷ ﯶ ﯵ ﯴ ﯳ ﯲ ﯱ ﯰﯯ ﯮ ﯭ ﯬ ﯫ ﯪ ﯩ ﯨ ﯧﭼ**الكهف: ٤٩ .

---

[١] ينظر : البلاغة والتطبيق : ١٦٩ .

[٢] ينظر : الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط : ١٣٧ .

[٣] ينظر : تهذيب البلاغة : ٦٨ – ٦٩ .

[٤] ينظر : معاني النحو : ٢ / ٢١٦ .

إذ يرى السيد الطباطبائي في ذلك أنّ الكفار (("ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها" الصغيرة والكبيرة وصفان قامتا مقام موصوفهما وهو الخطيئة أو المعصية أو الهنة ونحوها، وقولهم هذا إظهار للدهشة والفزع من سلطة الكتاب في إحصائه للذنوب أو لمطلق الحوادث ومنها الذنوب في صورة الاستفهام التعجيبي، ومنه يعلم وجه تقديم الصغيرة على الكبيرة في قوله: "صغيرة ولا كبيرة" مع أنّ الظاهر أنْ يُقال: لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها بناء على أنّ الكلام في معنى الإثبات وحق الترقي فيه أنْ يتدرج من الكبير إلى الصغير هذا، وذلك لأنّ المراد – والله أعلم – لا يغادر صغيرة لصغرها ودقتها ولا كبيرة لكبرها ووضوحها، والمقام مقام الاستفزاع في صورة التعجيب وإحصاء الصغيرة على صغرها ودقتها أقرب إليه من غيرها))[1] .

لقد وجه صاحب الميزان الخطاب القرآني بحسب فهمه إلى أنْ يكون خطاباً حِجاجياً محصوراً بوجهة واحدة هي أنّ القرآن الكريم لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلّا دوّنها وأحصاها مصداقاً لقوله تعالى: **ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ**سبأ: ٣، وقوله تعالى : **ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ، ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ**الزلزلة:٧- ٨.

وبهذا عمل العامل الحِجاجي (النفي والاستثناء) إذا دخل على الخطاب لتوضيح ((ممّا يجهله المخاطَب))[2]، وهو موجه إلى الكفار الذين كانوا يجهلون حقيقة ما يفعلون ظناً منهم أنّ الله سبحانه وتعالى لا يحصي الأعمال التي يقومون بها، وهنا قد ربط العامل الحِجاجي بين مكونات القول الواحد في النصّ كونه موجهاً نحو فئة مجتمعية واحدة ، وهم فئة الكفار الذين كانوا يظنون أنّ الله لا يحصي كثيراً من الأمور، خاصةً أنّ (النفي والاستثناء) الذي ورد في النص هو للحصر[3]، فهو يحصر فاعلية الحِجاج في وجهة حِجاجية واحدة، وهذا ما يضيف للنص قوة حِجاجية تزيد من طاقته في توجيهه نحو النتيجة التي يحملها الخطاب[4]، وهذا ما ورد في الخطاب القرآني في قوله تعالى **ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ**، والنتيجة المبتغاة من الخطاب أنّ الله ــ سبحانه وتعالى ــ يكتب كل ما يفعله الإنسان من صغيرة وكبيرة، فهو لا يغادر شيئاً إلا أحصاه في كتاب مبين، كما ورد في التفاسير:((يعني أنّهم يقولون إذا قرأوا كتابهم،

---

(١) الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٢٦٢ .

(٢) البلاغة والتطبيق : ١٧٦.

(٣) ينظر : الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١٥/١٩٨.

(٤) ينظر : الحِجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) (أطروحة دكتوراه) : ٧٧.

ورأوا ما قد كُتِب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله، وضجوا ممّا قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التي قد أحصاها كتابهم، ولم يقدروا أنْ ينكروا صحتها))[١] .

يُلحظ أنّ السيد الطباطبائي قد حلل النص من وجهة تداولية حِجاجية في مسألة العامل الحِجاجي (النفي والاستثناء) في حصر الخطاب وتوجيهه وجهة معينة في قضية واحدة[٢]، إذ يرى أنّ الخطاب حُصِر في مسألة الإحصاء عند الكفار فتفاجؤوا من أنّ كتبهم التي جاءت في شمالهم لم تغادر لهم صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، وقد توصل صاحب التفسير لذلك عن طريق العامل الحِجاجي الذي قام بحصر الإمكانات الحِجاجية وتوجيهها نحو وجهة واحدة .

ب : العامل الحِجاجي: (إنّما) : تُعدّ (إنَّما) من الأدوات الأساسية والآليات المركزية التي يمكن عن طريقها حصر الخطاب وتوجيهه وجهة ما، فهي تأتي إثباتاً لما يذكر بعدها ونفياً لما سواه ويكون ذلك على شكل دفعة واحدة وفي حال واحدة[٣]، وقد أجمع عليها أغلب علماء اللغة أنّها للقصر[٤]، ووافقهم في ذلك المحدثون، ومنهم الدكتور فاضل السامرائي، الذي يرى أنّ (إنّما) تفيد الحصر[٥]، وهذا المبدأ هو الذي اشتغل عليه الحِجاجيون في التعامل مع (إنّما)، فهي عندهم من العوامل ذات القيمة الحِجاجية كون المخاطِب فيها يسعى إلى تنبيه المخاطَب على معارفه السابقة وتأكيدها في نفسه مما يندرج ضمن مبدأ الإقناع عموماً[٦] .

وقد جاء العامل الحِجاجي (إنّما) في أكثر من شاهد في تفسير الميزان لكلام الله ــ عزّ وجلّ كما في قوله تعالى: **چڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک کچ**الأحزاب: ٣٣ .

قال السيد الطباطبائي : ((قوله تعالى: "إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" كلمة "إنّما" تدل على حصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير وكلمة أهل البيت سواء كان لمجرد الاختصاص أو مدحاً أو نداء يدل على اختصاص إذهاب الرجس والتطهير

---

[١] جامع البيان في تأويل القرآن (الطبري) : ٣٨/١٨، والجامع لأحكام القرآن :٤١٨/١٠.

[٢] ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : ٢٢.

[٣] ينظر : دلائل الإعجاز : ٢٨٣.

[٤] ينظر : أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية : ٢١١-٢٢١.

[٥] ينظر : معاني النحو : ٣٠٠/١.

[٦] ينظر : القيمة الحِجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية (بحث) : ١١٥ .

بالمخاطبين بقوله: "عنكم"، ففي الآية في الحقيقة قصران قصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير وقصر إذهاب الرجس والتطهير في أهل البيت))[١] .

يظهر أنّ حصر الخطاب وتوجيهه وجهة واحدة اعتماداً على العامل الحِجاجي(إنّما) الذي قام بذلك الدور[٢]، فقد فهم صاحب الميزان من الخطاب أنّ الله أراد إذهاب الرجس عن أهل البيت والمقصود بأهل البيت في الخطاب هم الذين أشارتْ لهم الرواية عن أم سلمة إذ قالت : ((نزلت هذه الآية في بيتي ... ، وفي البيت سبعة جبرئيل وميكائيل وعلي وفاطمة والحسن والحسين وأنا على باب البيت ، قلت : يا رسول الله ألستُ من أهل البيت ؟ : إنّكِ على خير إنّكِ من أزواج النبي))[٣]؛ وذلك بفضل العامل الحِجاجي الذي ورد في النص؛ فهو محرك رئيس للتواصل بين المخاطِب والمخاطَب؛ لذا اعتمدهُ صاحب التفسير في حصر الإمكانات الحِجاجية وتقييدها[٤]، فضلاً عن السياق الذي جاءتْ فيه الرواية، فقد عُدّ العامل الحِجاجي بمثابة قرينة لغوية تحدد دلالة الملفوظ ووجهته الحِجاجية[٥]، فحصرتْ (إنّما) دلالة إذهاب الرجس عن هؤلاء الخمسة ـ صلوات الله عليهم ـ على وفق رؤية السيد الطباطبائي الحِجاجية ، والدليل على ذلك سؤال أُم سلمة للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الرواية المذكورة آنفاً، وهذا دليل واضح أتاح له حرية التحرك على وفق معطيات السياق التي تشير إلى أنّ أهل البيت المقصودين في النصّ القرآني هم النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ــ والإمام علي، وفاطمة ، والحسن، والحسين ـ عليهم السلام ـ والدليل على ذلك قوله تعالى: ((وَيُطهِّرَكمْ)) بالميم ولم يقل يطهركنّ بالنون؛ لأنّ رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ والإمام علي والحسن والحسين كانوا فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر على المؤنث[٦]، وهو ما يسمى في اللغة العربية بأسلوب التغليب[٧]، وهو ما قال به صاحب الميزان بحسب فهمه للنص، وبتأثير العامل الحِجاجي، لأنّ العامل الحِجاجي (إنّما) مهمته

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ٢٥٠ .

[٢] ينظر : اللغة والحِجاج : ٢٧ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ٢٥٦ .

[٤] ينظر : الخطاب الحِجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة دراسة تداولية (أطروحة دكتوراه) : ١٦١، والحِجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (رسالة ماجستير) : ١٢٢.

[٥] ينظر : الحِجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو (بحث) :٢٣٣.

[٦] ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٤/ ١٨٢.

[٧] ينظر : الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ١٣.

إقناع المخاطَب[١]، فذهب صاحب الميزان إلى أنّ أهل البيت هم هؤلاء الذين أراد الله إذهاب الرجس عنهم .

وهذا يعني أنّ ممّا يُلحظ على دلالة (إنّما) في هذا المورد أنّها تأتي لخبر لا ينكره المخاطَب من قبل خبر لازم الفائدة، وقد عمل العامل الحِجاجي(إنّما)على التحكم في توجيه وظيفة النص الحِجاجية[٢]، عن طريق الجمع والتنسيق بين الأحداث القولية، فهو المسؤول عن تركيب الوضعيات الخطابية الحِجاجية وتوجيهها نحو نتيجة محددة[٣] .

ت : العامل الحِجاجي: بـ (التقديم والتأخير): تطرق علماء العربية القدامى إلى مسألة (التقديم والتأخير) وعدّوها من المسائل المهمة في توجيه المعنى وحصره ضمن وجهة ما؛ إذ يقول سيبويه في قضية التقديم بين الفاعل والمفعول به :((كأنَّهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإنْ كانا جميعاً يُهمّانِهم ويَعْنيانِهم))[٤]، ويرى عبد القاهر الجرجاني في باب (التقديم والتأخير) أنَّه:((باب كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية))[٥]، وقد تعامل الحِجاجيون مع العامل الحِجاجي(التقديم والتأخير) مثلما تعامل معه العرب في كونه يمكن أنْ يمتد إلى الأبنية التركيبية والظواهر البلاغية[٦]؛ لأنّه عنصر لغوي مهم تنتظمه غاية واحدة هي تحقيق الخطاب للإقناع أثناء التواصل[٧]، وبهذا الفهم ((يكون التقديم والتأخير بنية خاصة تفيد دلالة معينة لا يفيدها ترتيب آخر للعناصر اللغوية في البنية نفسها))[٨]، ويرى بعض الباحثين أنّ التقديم والتأخير يأتي على نوعين : الأول : تقديم اللفظ على عامله ، لأغراض فنية ودلالية، والآخر: تقديم الألفاظ بعضها على بعض، لأسباب تداولية تتصل بالسياق الاجتماعي للغة[٩]، وقد وقد تناول السيد الطباطبائي مسألة (التقديم والتأخير) في تفسيره لكثير من الآيات القرآنية ، فهو يرى في قوله تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﭼلقمان: ١٤ .

---

[١] ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : ٢١، واستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٤٤٦.

[٢] ينظر : بلاغة الإقناع في المناظرة : ١٠٠.

[٣] ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : ٢٥ .

[٤] الكتاب: ٣٤/١.

[٥] دلائل الإعجاز :١٣٤/١.

[٦] ينظر: العوامل الحِجاجية في اللغة العربية: ٢١.

[٧] ينظر : المصدر نفسه : ٢١ .

[٨] التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث: ١٩٩ .

[٩] ينظر : مفتاح العلوم: ٢٩١ ، والبنى الأسلوبية في سورة الشعراء : ١٤٣ .

قال السيد الطباطبائي : ((وقوله: "أنْ اشكر لي ولوالديك إلي المصير" تفسير لقوله: "وصينا" إلخ، في أول الآية أي كانت وصيتنا هو أمرنا بشكرهما كما أمرناه بشكر الله، وقوله: "إلي المصير" إنذار وتأكيد للأمر بالشكر ، والقول في الالتفات الواقع في الآية في قوله: "أنْ اشكر لي ولوالديك إلي المصير" إلخ، من سياق التكلم مع الغير إلى سياق التكلم وحده كالقول في الالتفات في قوله السابق: "أن اشكر لله"))[١] .

فيُلحظ ممّا تقدم أنّ صاحب الميزان وجه المسألة وجهة يكون معها قد حصر الخطاب بمسألة الاهتمام بالأُمّ، فهو يرى أنَّ قوله تعالى: مقدّم لفظاً مؤخّر معنى، وأنّ الأصل في التركيب: ووصّينا الإنسان بوالديه أنْ اشكر لي ولوالديك، حملته أمُّه وهناً ... ، إذ يرى أنّ التقديم إنّما جاء لبيان أهمية حق الأم ، فهي قد تحملت الشدائد والأهوال من الحمل، والنفاس، والرضاع والتربية [٢]، وهذا وهذا الكلام يدل على أنّ العامل الحِجاجي قد وجه رؤية السيد الطباطبائي للنص في حصره مسألة الاهتمام بالأم وجهة حِجاجية؛ لأنّ طريقة حصر الخطاب وتوجيهه وجهه ما ، إنّما الغاية الأساسية منها إقناع المخاطَب بما جاء به المخاطِب ، وهذا هو عمل العامل الحِجاجي في النص، إذ يعمل على تحقيق الخطاب للإقناع أثناء التواصل[٣]، وهو ما فهمه السيد الطباطبائي من النص.

وعلى هذا يكون المخاطِب قد استغل الخاصية الحِجاجية التي يمتلكها العامل الحِجاجي في توجيه النص على وفق ما تقتضي المسألة معتمداً الإقناع في ذلك، لأنّ الإقناع من أهمّ شروط الحجاج[٤]؛ ولأنّ التقديم والتأخير لا يكون إلا لغاية معينة والغاية هنا هي حصر الاهتمام بالأُم التي تحملتْ كلّ تلك المصاعب .

إذ يكون هذا الخروج عن مقتضى القاعدة لأجل توجيه الاهتمام إلى جزءٍ محدد من الخطاب فيتقدم الخبر على المبتدأ إذا كان هو مبتغى المتكلم ، وكذلك يتقدم المفعول به على فعله ، وهذا الانزياح النحوي المراد به تشكيل عامل حِجاجي بالتركيب[٥] .

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ١٧٥ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه : ١٦ / ١٧٤– ١٧٥ .

[٣] ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : ٢١.

[٤] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٤٤٦.

[٥] ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : ٢١ ، ومعاني النحو : ٢ / ٣٩ .

- **أنواع التقديم** :

أولاً : تقديم المفعول به على فعله : إنّ التسلسل المنطقي للجملة العربية يقتضي أنْ يتأخر المفعول به عن الفعل والفاعل إذ لا يصح أنْ يتقدم عليهما[١]، والتقديم إنّما يكون لما يقتضيه المقام، أيّ إنّه ظاهرة أسلوبية يفرضها السياق الذي يمثل عاملاً حِجاجياً، ولهذا نرى في قوله تعالى : چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ الزمر: ٦٦ .

قال السيد الطباطبائي : ((قوله تعالى: "بل الله فاعبد وكنْ من الشاكرين" إضراب عن النهي المفهوم من سابق الكلام كأنه قيل فلا تعبد غير الله بل الله فاعبد، وتقديم اسم الجلالة للدلالة على الحصر))[٢] .

وهذا يعني أنّ الذات المقدسة يجب أنْ تكون المعبود الوحيد، ثمّ تأمر الآية بالشكر؛ لأنّ الشكر على النعم التي أُغدقت على الإنسان هي التي تؤدي إلى معرفة الله ، فالشكر على النعم من الأمور الفطرية عند الإنسان، وقبل الشكر يجب معرفة المنعم، يُضاف إلى ذلك إنّ خط الشكر يؤدي إلى خط التوحيد، وينكشف بطلان عبادة الأصنام التي لا تعطي للإنسان آية نعمة[٣] .

فهذا دليل على أنّ العبودية لابد أنْ تتوجه إلى الله وحده لا غير، فالتقديم أعطى خصوصية وتميزاً لله سبحانه وتعالى عن سواه ممّا يجعل هذا النوع من التركيب النحوي يأخذ منحى حِجاجياً ، وقد يريد المتكلم أنْ يعظم الحدث ويحيطه بهالة من الجلالة والعظمة[٤]، و((ظاهرة التقديم والتأخير هي ظاهرة مرتبطة بالأسلوب الذي هو عمل فردي في الأساس بهذا يصبح العدول فكرة نحوية ويصبح التقديم والتأخير نشاطاً أدبياً ينتمي إلى الكلام لا إلى نظام اللغة))[٥] .

وقد احتفظ الخطاب بتسلسل دلالي مأمون اللبس، وأظهر الخطاب اهتمام المتكلم بالعبودية فخصه بتقديم المفعول به الذي تقدم هنا لغرض العناية والاهتمام والتوكيد، وهذا التحويل في عناصر الجملة الفعلية مرتبط بالدلالة وأغراض المعنى المختلفة التي نستنطق منها الدلالات التي تتوجه إليها هذه الصورة من التحويل ، فإذا أراد المتكلم أنْ يجري تغييراً في المعنى عليه أنْ يجري

---

[١] ينظر : معاني النحو : ٢ / ٣٩ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٢٣٦ .

[٣] ينظر : الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل : ١٥ / ١٤٣ .

[٤] ينظر : معاني النحو : ٢/ ٧٩ .

[٥] الخلاصة النحوية : ٨٦ .

تغييراً في المبنى ، منها ما يكون لغرض القصر كما في قوله تعالى : (اللهَ فأعبدْ) ، قدم المفعول به وصولاً إلى عملية القصر في العبادة لله وحده ، وفيها معنى أنّ الله هو المعبود بحق لا معبود سواه[١] .

ثانياً : تقديم الخبر على المبتدأ : إنّ المعيارية النحوية تقتضي أنْ يتقدم المبتدأ على الخبر ، وهذا ناتج عن الأصل الذي ينص على تقدم المسند إليه على المسند ، بيدَ أنّ هذا الأصل لا يستمر دائماً أمام الاستعمال اللغوي ، خاصة إذا كان نصاً قرآنياً، وإنّ هذا التقديم يكون عاملاً حِجاجياً في الخطاب ؛ لأنّه يوجه الخطاب إلى حيث يريد[٢]، ومن ذلك قوله تعالى : **ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ** الحجرات: ٧ .

قال السيد الطباطبائي : ((فقوله: "واعلموا أنّ فيكم رسول الله" عطف على قوله في الآية السابقة: "فتبينوا" وتقديم الخبر للدلالة على الحصر، والإشارة إلى ما هو لازمه فإنّ اختصاصهم بكون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم لازمه أنْ يتعلقوا بالرشد ويتجنبوا الغي ويرجعوا الأمور إليه ويطيعوه ويتبعوا أثره ولا يتعلقوا بما تستدعيه منهم أهواؤهم))[٣] .

فيتضح من ذلك أنّ في هذه البنية حدث تغيير ما إذ تقدم الخبر وهو المسند الذي يتكون من شبه جملة على ما هو حقه التقديم اسم (إنّ) وتبدو هذه الظاهرة بارزة وجلية لجلب غرض بلاغي هو العناية الذي أراد النص إبرازه ؛ لأنّ المنشئ مهتم بذلك ، وهذا التحول في الصياغة جاء لإحداث التأثير في المعنى[٤] ((لأنّ تحولات الصياغة ذات أثر هام في تغيير المعنى واكتسابه دلالات جديدة ، فالأصل أنْ يكون المقدم مقدماً والمؤخر مؤخراً ، ولكن دواعٍ فكرية ونفسية كثيرة تطرأ على كيان المنشئ فتجعله يقدم مؤخراً ويؤخر مقدماً))[٥] .

بالنظر إلى سياق النص في حالة التقديم لتوكيد التأثير الذي أفرزته الحالة التي يتطلبها النص وتفرضها الظروف المحيطة عند إنشائه ، كما يقدم دلالات نفسية تترك تأثيراً هو من قصدية النص، وإنّ الصياغة التي اعتمدت هذا الشكل بعد استعمال كافٍ للخطاب الذي اقترن بالحرف

---

[١] ينظر : الجملة الوظيفية في القرآن الكريم صورها، بنيتها العميقة، توجيهها الدلالي: ٢٥ .

[٢] ينظر : البنيات الأسلوبية في شعر أحمد الوائلي (رسالة ماجستير) : ٩٨ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ٢٥٥/١٨ .

[٤] ينظر : بلاغة التقديم والتأخير في خطبة الأشباح للإمام علي (عليه السلام) (بحث) : ٥-٦.

[٥] أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم : ٥٤ .

المشبه بالفعل الذي يفيد التوكيد وعضد هذا التوكيد عملية التغيير المكاني للألفاظ في الجملة الاسمية بما يحمل من دلالات الحِجاج ودلالة الثبوت والاستمرار[١] .

ثالثاً : تقديم الفاعل على الفعل : إنّ التركيب النحوي في إسناد الفاعلية يقتضي تقديم المسند على المسند إليه ، أي أنْ يتقدم الفعل على الفاعل، فمنهم من يسميه تقديم الاسم على الفعل ، وبعضهم يصطلح عليه تقديم المبتدأ على الفعل، ومنهم من يطلق عليه تقديم المسند إليه على الفعل[٢]، والكوفيون أجازوا ذلك وهذا ما لا يجوّزه البصريون[٣] .

والحقيقة أنّ القرآن الكريم استعمل قضية تقديم المسند إليه على الفعل، ووظف ذلك التقديم لمعانٍ أفاده السياق ومن ذلك تخصص الدعوة بالله سبحانه وتعالى ممّا أعطى التقديم أهميةً وتفخيماً ، ومنه قوله تعالى : **ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﭼ** البقرة: ٢٢١ .

قال السيد الطباطبائي : (("والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه" : البقرة: ٢٢١، بدعوى أنّ الآية وإنْ كانت من العموم بعد الخصوص لكن لسانها آب عن التخصيص))[٤] .

فيُلحظ من النص أنّ الإشارة كانت إلى قضية موقع الكلمة بعبارة التخصيص أي كل جملة، أو كل كلمة، أو كل حرف جاء من أجل هدف معين، وحركية حِجاجية تُلفتُ النظر للمتلقي، وبالبحث الدقيق يكشف عن ضرورة معينة تتطلب وجود ذلك الشي.

ويُستشف من تقديم لفظ الجلالة (الله) المسند إليه على الفعل (يدعو) هو سر تأكيد الدعوة وأهميتها وتفخيمها ، فكان الغرض والحُجة أنْ يتحقق عند السامع هذا الشيء[٥] ، فالتركيز إذا كان كان منصباً على الفاعل فإنّه يُقدم على الفعل لتحقيق مقصدية الفاعلية فيشع التركيب بمزيد من المعاني الإيحائية فضلاً عن وقوعها جملة ابتدائية، وللجمل الابتدائية صياغتها الخاصة المؤثرة في المفتاح لفهم الآية بأسرها[٦]، وهذا ما أشار إليه صاحب الميزان من خلال تفسيره للنص .

---

[١] ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٢٨٦ .

[٢] ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٩٥ ، ومعاني النحو : ١/ ١٧٠ ، وعلّل التعبير القرآني عند الزمخشري (رسالة ماجستير): ١٠٣ .

[٣] ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : ٢ / ١٤٥ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١٥/ ٦٧ .

[٥] التبيان في إعراب القرآن : ٩٤ .

[٦] ينظر : الفاعل في ضوء الاستعمال القرآني (بحث) : ٢٣٢ .

ونلحظ أنّ التقديم والتأخير في هذا المقطع أقام علاقات جديدة لم تكن موجودة في تركيب الأصل أدت إلى تماسك النص وتحويل أجزائه إلى خطاب فعال مؤثر، ولهذا يجب معرفة العلاقات الجديدة وموازنتها مع الأصل لبيان أسرارها الدلالية والتداولية والجمالية وأثرها في التلقي، ومن هنا يتبين مغزى التقديم والتأخير في إنشاء علاقات جديدة تدل على دلالات جديدة للمفردات، وبهذا يحصل تدرج في الانتقال من الحسي إلى المعنوي ، وهكذا يخلق التقديم والتأخير بنية دلالية تفاجئ المتلقي بما لا يتوقعه[١] .

٢- العامل الحِجاجي بـ (النفي) :

هو إخبار بعدم حدوث الفعل[٢]، ويمكن أنْ يُنظر إلى العامل الحِجاجي في النفي بوصفه موجهاً للخطاب ؛ لأنّه إثبات شيء بإبعاد ما عداه[٣]، كما في قوله تعالى : **چ ى ى ې ې ۉ ۉ ئا چ** البقرة: ٢٥٩ .

قال السيد الطباطبائي : ((وذلك: أنّ قوله: لبثت يوماً أو بعض يوم يدل على أنّه لم يحس بشيء من طول المدة وقصرها، وإنّما استدل على ما ذكره بما شاهد من حال النهار من شمس أو ظل ونحوهما، فلما أجيب بقوله تعالى: بل لبثت مائة عام كان الجواب في مظنة أنْ يرتاب فيه من جهة ما كان يشاهد نفسه ولم يتغير شيء من هيئة بدنه، والإنسان إذا مات ومضى عليه مائة سنة على طولها تغير لا محالة بدنه عما هو عليه من النضارة والطراوة وكان تراباً وعظاماً رميمة، فدفع الله تعالى هذا الذي يمكن أنْ يخطر بباله بأمره أنْ ينظر إلى طعامه وشرابه لم يتغير شيء منهما عما كان عليه))[٤]، وقال أيضاً:((وقوله: لم يتسنه معناه لم يتغير والهاء للاستراحة))[٥] .

يتبين أنّ صاحب الميزان قد نظر إلى الخطاب القرآني بأنّه نفى حدوث التغير مع إمكان وجوده ، وهو الشيء الأهم في عملية الحِجاج ؛ لأنّه خص شيئاً بنفي غيره وإبعاده، وهذا يعني تخصيص النفي بشيء ممّا يتيح للخطاب الذي يحتوي على النفي حصر المعنى بشيء ما ، قال الجرجاني :

---

[١] ينظر : البنى الأسلوبية في سورة الشعراء :١٤٧- ١٤٨ .

[٢] ينظر : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ٢ / ١٧٢٢ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ١٧٢٣ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ٣٠٩ – ٣١٠ .

[٥] المصدر نفسه : ١٢ / ١٢٣ .

((ههنا أصل ، وهو أنّه من حكم النفي إذا دخل على كلام ثم كان في ذلك الكلام تقييد على وجهه من الوجوه أنْ يتوجه إلى ذلك التقييد ، وأنْ يقع له خصوصاً))[١] .

فقد حقق الخطاب مراده بتوظيف العامل الحِجاجي بالنفي ؛ لإثبات حقيقة الوضع من عدم التغير، ودلّ هذا النفي في النص على التعجب الذي يثير الدهشة من الأمر وهذا ما صرح به صاحب التفسير بقوله : ((... سياق هذه الجمل في أمره عجيب فقد كرر فيها قوله: انظر ثلاث مرات وكان الظاهر أنْ يكتفي بواحد منها، وذكر فيها أمر الطعام والشراب والحمار والظاهر السابق إلى الذهن أنّه لم يكن إلى ذكرها حاجة ...))[٢] .

ومن جمالية أسلوب النفي هو الاعتماد على ناحية الاقتصاد اللغوي فهو يعتمد على تكثيف اللغة لتعطي مجالاً أوسع من الأفكار والمعاني ويمكن اللغة من التطور، ولكي يؤدي الفعل دلالته في السياق ، أو التركيب الكلامي يحتاج دائماً إلى ضمائم خاصة به تساعد على إضاءة المعنى ومعرفة المغزى منه ، فضلاً عن أنّ وظيفة الزمن في السياق لا ترتبط بصيغة معينة دائماً ، وإنّما تختار الصيغة التي تتوافر لها الأداة والقرائن التي تعين على تحميلها معنى الزمن المعين المراد في السياق[٣].

٣- العامل الحِجاجي بـ (كاد) :

إنّ (كاد) تقارب الشيء سواء أفعل أم لم يُفعل ، وهي تفصح عن قرب الفعل ووقوعه[٤]، ويأتي الفعل (كاد) عاملاً حِجاجياً سواء أكان منفياً أم مثبتاً ؟ ، بمعنى أنّ إثباتها نفي، مثل: (كاد يذهب)، ونفيها إثبات، مثل : (ما كاد يذهب)[٥]، وعلى هذا يعد فعل المقاربة (كاد) على وفق النظرية الحِجاجية من العوامل الحِجاجية في الخطاب ، ويعمل على توحيد المضمون النصي الذي يحمل فكرة ما يراد بها إقناع المتلقي وحمله على الاعتقاد بمحتواها، وبالنتيجة ارتفاع درجة التخييل عنده إلى مستوى استحضار الحدث[٦]، كما في قوله تعالى : ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ
ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼإبراهيم:١٦- ١٧ .

---

(١) دلائل الإعجاز : ٢٨٠ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ٣٠٨ ، وينظر : أساليب النفي في القرآن الكريم (بحث) : ١١٠ .

(٣) ينظر : النقد والإعجاز : ٣٣ ، واللغة العربية معناها ومبناها: ٢٤٨ ، وأسلوب النفي في بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، صحيح مسلم إنموذجاً (بحث) : ١٩١ – ١٩٢ .

(٤) ينظر : لسان العرب (كود) : ٣/ ٣٨٢ .

(٥) ينظر : شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب : ٥ / ٢٢٩ .

(٦) ينظر: أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي ، تنظير وتطبيق على السور المكية : ١٠٥ .

قال السيد الطباطبائي : ((قوله تعالى: "من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد" إلى آخر الآيتين، الصديد القيح السائل من الجرح، وهو بيان للماء الذي يسقونه في جهنم ، والتجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار ، والإساغة إجراء الشراب في الحلق يقال: ساغ الشراب وأسغته أنا كذا في المجمع والباقي ظاهر))[1] .

وأكد ذلك ببحثه الروائي محتجاً بتفسير القمي، إذ قال : ((يقرب إليه فيتكرهه فإذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شرب تقطعت أمعاؤه ومزقت تحت قدميه وإنّه ليخرج من أحدهم مثل الوادي صديد وقيح))[2] .

فيُلحظ أنّ صاحب الميزان اتجه بتفسيرهِ للنص متكأً على فعل المقاربة (ولا يكاد) ليقيد نفي الاقتراب من الاستساغة أي عدم سهولة الشرب ؛ لأنّه مكره على شربه ، فورود الفعل (يتجرع) بدلاً من (يجرع) دل على أنّ الصديد يشرب على شكل دفعات ؛ لصعوبة قوام هذا الشراب وكراهية طعمه ، لذا جاء العامل الحِجاجي (لا يكاد) منفياً؛ لإثبات عدم الشرب لهذا الصديد، إذ قيد العامل الحِجاجي وحصر إمكانية التقبل لهذا الشراب بدليل أنّ الكلام ما كان ليستقيم لو قيل مثلاً (ولا يسيغه) ، ممّا جعل العامل يدفع بالخطاب إلى مقاربة في توصيل المعنى وتحقق حدثه إذ شحن العامل الحِجاجي النص بحِجاجية عالية ورفعه إلى درجة عالية من الحسية[3] .

وبالنتيجة قدم العامل الحِجاجي (ولا يكاد) مستويين من التعبير الأول (التجرع) والآخر(عدم الاستساغة) ممّا جعل وقع التأثير عالياً؛ لأنّ النص لم يكتفِ بالتجرع فقط ، وإنّما إثبات عدم الشرب من خلال كسب النص دلالة جديدة بتوظيف العامل الحِجاجي (ولا يكاد) .

كما أنّ الخطاب الذي يحتوي على العامل الحِجاجي قد يهيمن على ذهن المتلقي إلى درجة تصل إلى التأمل في محتواه ، كما في قوله تعالى : **چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ**طه: ١٥ .

قال السيد الطباطبائي : ((وقوله: "أكاد أخفيها" ظاهر إطلاق الإخفاء أنّ المراد يقرب أنْ أخفيها وأكتمها فلا أخبر عنها أصلاً حتى يكون وقوعها أبلغ في المباغتة وأشد في المفاجأة ولا تأتي إلا فجأة كما قال تعالى: "لا تأتيكم إلا بغتة": الأعراف: ١٨٧، أو يقرب أنْ لا أخبر بها حتى

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ١٢ / ٢٨ .

[2] المصدر نفسه : ١٢ / ٣١ .

[3] ينظر: أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي ، تنظير وتطبيق على السور المكية : ١٠٦ .

يتميز المخلصون من غيرهم فإنّ أكثر الناس إنّما يعبدونه تعالى رجاء في ثوابه أو خوفا من عقابه جزاء للطاعة والمعصية، وأصدق العمل ما كان لوجه الله لا طمعا في جنة أو خوفا من نار ولو أخفي وكتم يوم الجزاء تميز عند ذلك من يأتي بحقيقة العبادة من غيره))[١] .

وذكر قولاً آخر بهذا المعنى إذ قال : ((وقيل: معنى أكاد أخفيها أقرب من أنْ أكتمها من نفسي وهو مبالغة في الكتمان إذا أراد أحدهم المبالغة في كتمان شيء، قال: كدتُ أخفيه من نفسي أيّ فكيف أظهره لغيري؟))[٢] .

يُستشف من القولين أنّ السيد الطباطبائي قد أشار إلى أنّ الساعة مخفية الوقت وجاء العامل الحِجاجي (أكاد) ليبين للناس أنّها قريبة الوقوع لظهورها وتحققها فعلاً فجاءت اللفظة ليس بنفسها بل بـ (كاد) ، وقد جاء الخطاب مؤكداً بـ (إنّ) لتأكد هذا التحقق وأنّ الإخفاء قد جعله العامل الحِجاجي يعطي معنى الاقتراب من الظهور ؛ لأنّ ((أخفيها من خفيت الشيء أخفيته إذا أظهرته))[٣]، لأنّ أخفيها من ألفاظ الأضداد[٤] .

وإنّ العامل الحِجاجي (أكاد) أظهر حالة فكرية، أو وجدانية متنامية حول الاقتراب، والإيحاء بشدة ظهور علامات تحققها للناس ، فالعامل الحِجاجي استلهم إمكانياته لبناء علاقة حِجاجية بين المتكلم والمتلقي وأعطى بُعداً تحقيقياً نتج عنه قوته التأثيرية التي بينتها دلالة الاقتراب .

ثانياً : العوامل الحِجاجية (المعجمية):

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ١١٥ .

[٢] المصدر نفسه : ١٤ / ١١٥ .

[٣] شرح التسهيل لابن مالك: ١/ ٣٨٦ .

[٤] ينظر : روح البيان في تفسير القرآن: ٥/ ٣٧٦ ، أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي ، تنظير وتطبيق على السور المكية : ١٠٧ .

تُعدّ العوامل الحِجاجية (المعجمية) من مرتكزات الجهاز المفاهيمي الحِجاجي، فهي تؤلف مع العوامل الحِجاجية الأُخرى حلقة هامة من حلقات حصر وتوجيه الخطاب ضمن نطاق معين يُمكّن المخاطِب من إقناع المخاطَب بما جاء به من حُجة، وقد قامت العوامل المعجمية بدورٍ مهم في كثير من المواطن التي عالجها السيد الطباطبائي بالشرح والتحليل، ومن تلك العوامل:

١- العامل الحِجاجي المعجمي:(الآن):

يرى النحويون القدامى أنّ (الآن) من ظروف الزمان[١]، وهي لدى الحِجاجيين من العوامل التي يمكنها حصر الإمكانات الحِجاجية لمحتوى الملفوظ وتوجيهه وجهة معينة[٢]، وقد سلك صاحب التفسير مضمار العوامل الحِجاجية (المعجمية) عند تفسيره للآيات القرآنية ، فهو يفسر قوله تعالى : ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﭼ النساء: ١٨ .

قال السيد الطباطبائي : ((ومن هنا يظهر معنى تقييد قوله: قال إنّي تبت بقوله: الآن فإنّه يفيد أنّ حضور الموت ومشاهدة هذا القائل سلطان الآخرة هما الموجبان له أنْ يقول تُبت سواء ذكره أو لم يذكره فالمعنى: إنّي تائب لما شاهدت الموت الحق والجزاء الحق))[٣]، وقال أيضاً في المضمار نفسه : ((وقد تقدم أنّ الندامة حينئذ ندم كاذب يسوق الإنسان إلى إظهاره مشاهدته وبال الذنب ونزول البلاء))[٤]، واحتج بروايات مفادها أنّ التوبة غير مقبولة، إذ قال: ((وسُئل الصادق (عليه السلام) عن قول الله عز وجل "وليست التوبة للذين يعملون السيئات – حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تُبت الآن" قال: ذلك إذا عاين أمر الآخرة ، أقول: الرواية الأولى رواها في الكافي مسنداً عن الصادق (عليه السلام)، وهي مروية من طرق أهل السنة وفي معناها روايات أخر ، والرواية الثانية تُفسر الآية وتفسر الروايات الواردة في عدم قبول التوبة عند حضور الموت بأنّ المراد من حضور الموت العلم به ومشاهدة آيات الآخرة ولا توبة عندئذ، وأما الجاهل بالأمر فلا مانع من قبول توبته، ونظيرها بعض ما يأتي من الروايات))[٥] .

يُستشف من ذلك أنّ صاحب الميزان قد تعامل مع المسألة عن طريق المنظومة المعرفية التفسيرية التي يمتلكها، فحصر وجه الخطاب بحسب ما يقتضيه من توجيه ، وممّا زاد في قوة هذا

---

[١] ينظر : الكتاب : ٣/ ٩٩، وشرح المفصل (ابن يعيش) : ١٣١/٣.

[٢] ينظر : بلاغة الإقناع في المناظرة : ١٠٠.

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ٤ / ٢٠٧ .

[٤] المصدر نفسه : ٤ / ٢١١ .

[٥] المصدر نفسه : ٤ / ٢١٥ .

المعنى هو وجود قرينة تدل على الاستمرار وهو الفعل (تبتُ) الذي جاء بصيغة المضارعة ليدل على الحال والاستقبال، وقد تظافرت هذه المفردات مع العامل الحِجاجي لتدفع بالخطاب نحو معناه.

ويبدو أنّ العامل الحِجاجي قد تمكن من حصر الخطاب وتوجيهه وجهة حِجاجية لدى السيد الطباطبائي؛ لأنّه قد فهم من العامل الحِجاجي أنّه لا توبة لهؤلاء الذين إذا حضرهم الموت قالوا إنّا تبنا الآن ؛ لأنّ هذه التوبة لا تجدي نفعاً لدى الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ والدليل على فهمه للمسألة فهماً حِجاجياً أنّه شبّه المسألة بقضية فرعون[١] ، وعلى هذا يكون العامل الحِجاجي قد تمكن من توجيه الخطاب بحسب ما يريد المخاطِب منه؛ لأنّ الغاية الأساسية للخطاب إنَّما هي إقناع المخاطَب بأنَّ التوبة لا تقبل من مثل هكذا أشخاص؛ لأنَّ توبتهم لا تمثل توبة صادقة على وفق معايير التوبة الحقيقية، وهذا ما عمل عليه العامل الحِجاجي(الآن) الذي قام بتوجيه الخطاب، فقد حصر الخطاب بهذا الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة وهو الوقت الذي يكون الإنسان فيه قد فقد كل مقومات التوبة، إذ لا تقبل منه التوبة بعد[٢] .

٢- العامل الحِجاجي المعجمي:(قليلاً):

من الظروف التي ذكرها النحويون القدماء، هي ظرفٌ من ظروف (صفة الأحيان) نحو: طويلاً، قديماً، كثيراً[٣]، وقد أسماه الحِجاجيون عاملاً[٤]، فكان له أثر مميز في توجيه الخطاب لدى السيد الطباطبائي عند تحليله لنصوص كثيرة من القرآن الكريم ، فقد رأى في قوله تعالى: **چ ٱ ب ب ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ** چآل عمران: ١٨٧ .

إذ قال: ((قوله تعالى : "وإذ أخذ الله ميثاق" النبذ الطرح ، ونبذه وراء ظهره كالمثل يُراد به الترك وعدم الاعتناء كما أنّ قولهم : جعله نصب عينيه كالمثل يُراد به الأخذ واللزوم))[٥] .

إنَّ المعنى : لتُبَيّنُنَّ أمر النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ولا تكتموه ، وهذا ميثاق أخذه اللهُ عزّ وجلّ على أهل العلم، فمن عَلِمَ شيئاً فَلْيعلِّمْهُ ، وإياكم وكتمان العلم ، ويتضح من الكلام الذي

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ٤ / ٢١١ .

[٢] ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : ٢٤.

[٣] ينظر : الكتاب : ١/ ٢٢٧.

[٤] ينظر : اللغة والحِجاج :٢٧.

[٥] الميزان في تفسير القرآن : ٤ / ٧١ .

ساقه صاحب التفسير أنّ العامل الحِجاجي قد تمكّن من توجيه أفكار السيد الطباطبائي صوب أفعال هؤلاء الذين اتخذوا من عِلم الكتاب ما ينفعهم في أمور دنياهم ـ من أخذ الرشا وما شابه ذلك ـ غير مكترثين بما يجب عليهم فعله وهو تعليم الناس بأمر النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فهم قد علموا أمره ولم يُعلموا به وكتموا ذلك، فخالفوا الميثاق الذي أخذه عليهم سبحانه وتعالى، أي تركوا أمر التبليغ بما ورد في كتبهم، ليحصر القضية ويقيد الإمكانات الحِجاجية، ويوجهها نحو قضية واحدة، فأصبح الاستنتاج الممكن[١]، أنّ هؤلاء ما فعلوا هذا عبثاً إنَّما فعلوه لأمر معين هو التسلط وحبّ الرياسة وأخذ الرشا، إذ يرى أنّ هؤلاء لم يقوموا بالتبليغ بأمر النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؛ لأنّهم كرهوا إتباعه، فتبطل رياستهم ويفقدوا كثيراً من الأمور الدنيوية التي كانوا يتمتعون بها، وهذا ما جعلهم يشترون بالعلم الذي جاءهم في التوراة والإنجيل ثمناً قليلاً قياساً مع ما يعطيهم الله لو اتبعوا النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فبئس ما اشتروا، وقُبِحَ شراؤهم وخسروا[٢].

وهذا ما قام عليه عمل العامل الحِجاجي (قليلاً) في النص، فقد تعلق بحصر طاقته الحِجاجية التخاطبية وتوجيهها لإقناع المخاطَب بما جاء في النص؛ لأنّ كل تخاطب إنّما غايته الإقناع[٣]، وهو ما ورد في النص القرآني من أنّ هؤلاء القوم أشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، فخسروا بذلك مرضاة الله وطاعته؛ والسبب كتمانهم أمر النبي الذي ورد في كتبهم، فلم يصرحوا به خوفاً على فقدانهم المراكز الرئاسية التي يتمتعون بها، وهذا ما فهمه السيد الطباطبائي من عمل العامل الحِجاجي (قليلاً) الذي ورد في النص ووجه الإمكانات الحِجاجية نحو نتيجة مفادها أنّ من يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً لن ينال سوى الخزي والخسران.

٣- العامل الحِجاجي المعجمي:(كثيراً):

من المفردات التي تدل على نماء العدد[٤]، ومن استعمالها في الميزان كما في قوله تعالى : **چ ى ې ې ې ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈچ** البقرة: ٢٦٩ .

---

[١] ينظر : البُعد التداولي والحِجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل : ٣٦.

[٢] ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ١/ ٥٣١.

[٣] ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : ٢٤.

[٤] ينظر : العين : ٥/ ٣٤٨ .

قال السيد الطباطبائي : ((قوله تعالى: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، المعنى ظاهر، وقد أبهم فاعل الإيتاء مع أنّ الجملة السابقة عليه تدل على أنّه الله تبارك وتعالى ليدل الكلام على أنّ الحكمة بنفسها منشأ الخير الكثير فالتلبس بها يتضمن الخير الكثير، لا من جهة انتساب إتيانه إليه تعالى، فإنّ مجرد انتساب الإتيان لا يوجب ذلك كإيتاء المال، قال تعالى في قارون "وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إلى آخر الآيات:" القصص – ٧٦، وإنّما نسب إليها الخير الكثير دون الخير مطلقا، مع ما عليه الحكمة من ارتفاع الشأن ونفاسة الأمر لأنّ الأمر مختوم بعناية الله وتوفيقه، وأمر السعادة مراعى بالعاقبة والخاتمة))[١] .

يتبين من ذلك أنّ صاحب الميزان أراد أنْ يخبر عن الديمومة المستمرة بالعطاء من قبل الله سبحانه وتعالى ، وصرح بأنّ هذه الأعمال ملازمة لهذا المعنى على الدوام ، فبإدخال العامل الحِجاجي (كثيراً) في بنية الخطاب يؤدي بالمتلقي إلى أنْ لا نغفل عن السياق إذ لا يؤدي هذا المعنى لو استعمل عاملاً غيره كـ (ربما) أو (غالباً ما) فلم يكن بقوة العامل الحِجاجي (كثيراً)[٢]؛ لأنّه ساهم في دفع المتلقي بالإقناع بمطلب السيد الطباطبائي في تفسيره للنص ، والذي أعطى بُعداً مستمراً.

المبحث الثالث : السلالم الحِجاجية :

تبدو قضية السلالم الحِجاجية واضحة في الجانب الحِجاجي اللغوي الذي يتركز بشكل أساس على قيمة الملفوظ داخل الخطاب، وتعتمد هذه النظرية على ترتيب الحجج من أجل الوصول إلى

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ٣٣٦ .

[٢] ينظر : المظاهر اللغوية للحِجاج ، مدخل إلى الحِجاجيات اللسانية : ٢٢٤ .

نتيجة، فالسّلم الحِجاجي هو((علاقة ترتيبية للحجج))[١]، وهو مجموعة غير فارغة من الأقوال مجهزة بعلاقات ترتيبية ومستوفية للشرطين الآتيين[٢]:

١- كلّ قول يقع في مرتبة ما من السُلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى الأقوال جميعها التي دونه.

ب- كلّ قول كان في السُلم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه .

إذ تعرض (ديكرور) لهذه النظرية وفقا لمبدأ المدارج أو المراتب التي تُعد ((ظاهرة لغوية طبيعية اتخذت صبغة خاصة مع انبعاث الدراسات اللسانية مباحث فلسفة اللغة))[٣]، واتخذت هذه المراتب ثلاثة أشكال هي:[٤] .

١- **المراتب المتضادة** : مع (إدوارد سابير) الذي أكدَّ أنّ الكلمات الدالة على معان يمكن ترتيبها بين طرفين متقابلين ، مثال (الرمضاء – الحر – البرد القارس) .

٢- **المراتب الموجهة توجيهاً كمياً** : وهذا توجه تبناه كل من (هورن و فوكوبني) ومقتضى هذا التوجه هو وجود مراتب في الألفاظ الدالة على معاني تقبل التدرج في اتجاه واحد كالوزن، على سبيل المثال (مثقال، أوقيه ،الخ...) .

٣- **المراتب الموجهة توجيهاً قصدياً** : وهو اتجاه تبناه كل من (ديكرو وأنسكومبر) وهو توجه يتجاوز الألفاظ إلى الجمل، إذ هو توجه مرتكز على مبدأ قصدي تواصلي يقوم المقام فيه بأثر فعال ورئيس ، إذ قد يكون قصد المتكلم عاملاً في تحديد اتجاه المراتب التي تنزلها جملاً ما .

وتكمن أهمية السلالم الحِجاجية في الخروج إلى فضاء أكبر من فضائه اللغوي ؛ فهي لا تخضع لشروط الصدق والكذب ، بل تتكئ على جودة التدرج، وأنّ هذا التدرج في ترتيب الحجج غالباً ما يظهر مواقف المرسل واتجاهه عبر الملفوظات النصية، وبالنتيجة ترتب هذه الحجج بناءً على تنظيم الأقوال التي تسبق النتيجة[٥] ، وهذا أدى إلى أنّ نظرية السلالم الحِجاجية تؤكد ما ذهب إليه

---

[١] البُعد التداولي والحِجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل : ٣٣.

[٢] ينظر : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٧٧ .

[٣] الاستدلال الحِجاجي التداولي وآليات اشتغاله (بحث): ٩٢ .

[٤] ينظر: المصدر نفسه : ٩٢-٩٣ .

[٥] ينظر : الفلسفة والبلاغة مقاربة حِجاجية للخطاب الفلسفي : ١٩٤.

(ديكرو) أنّ الوظيفة الأساسية للغة، هي حِجاجية قبل أن تكون إخبارية فأخرجت هذه النظرية الأقوال من المحتوى الخبري إلى الإقناعي .

فالتدرج من أبرز الأسس التي يقوم عليها الإقناع أيّ أنّ السلّمية صفة ملازمة لظواهر عدّة ولاسيما اللغة التي وُصفت بعض أنظمتها الدلالية والتداولية بكونها تراتبية سلّمية، وإنّ سلّمية اللغة مبثوثة في أنظمتها جميعها يكمل بعضها بعضاً ولا سيما إذا أُضيف عامل المقام ، أو وصفيات الخطاب[١] .

أولاً : **قوانين السلم الحِجاجي** :

وضع (ديكرو) قوانين ثلاثة حول السلم الحِجاجي، وعدها بمنزلة قواعد تدعم هذا السّلم وتحقق مقصدية التأثير والتوجيه التي يشغلها المتكلم ضمن الخطاب ذاته وهي:

١ – قانون النفي :

يوضّح هذا القانون أنّ أي قول يستعمل من متكلم ما ليؤدي نتيجة معينة، فإنّ نفي هذا القول يكون حُجة لصالح النتيجة المضادة[٢]، وقد عالج السيد الطباطبائي مثل هكذا قضايا في تفسيره للآيات القرآنية ، إذ وجد في قوله تعالى : **ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ**البقرة: ٢١٤ .

قال السيد الطباطبائي : ((وكلمة أم منقطعة تفيد الإضراب، والمعنى على ما قيل: بل أحسبتم أنْ تدخلوا الجنة "إلخ"، والخلاف في أم المنقطعة معروف، والحق أنّ أم لإفادة الترديد، وأنّ الدلالة على معنى الإضراب من حيث انطباق معنى الإضراب على المورد، لا أنّها دلالة وضعية، فالمعنى في المورد مثلا: هل انقطعتم بما أمرناكم من التسليم بعد الإيمان والثبات على نعمة الدين، والاتفاق والاتحاد فيه أم لا بل حسبتم أنْ تدخلوا الجنة "إلخ" ... (وَلَمّا يَأْتِكُم مّثَلُ الّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم) والشبه والمراد به ما يمثل الشيء ويحضره ويشخصه عند السامع ...))[٣] .

لقد جاء قوله تعالى برد حُجة الذين ظنّوا، أو اعتقدوا، أو قالوا: أنّهم سيدخلون الجنة كونهم أسلموا وأمنوا فأخبرهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنْ لا يتركهم حتى يمحّصهم ويختبرهم[٤]، فنفى قولهم

---

[١] ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : ١٢٢ .

[٢] ينظر : اللغة والحِجاج : ٢٢.

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ١٣٤– ١٣٥ .

[٤] ينظر : المصدر نفسه: ٢ / ١٣٤ .

بقوله تعالى أعلاه، فكانت حجتهم؛ لأنّهم أسلموا، فإنّهم قد ضمنوا الجنة، فرد عليهم ــ سبحانه وتعالى ــ بدحض حجتهم ونفيها وإثبات حجته تعالى، وهي أنّ ظنهم في غير محله، ولا يكون هذا لهم حتى يختبرهم وتمسهم البأساء والضراء ، وعلى هذا تكون نتيجة كلام الله ــ سبحانه وتعالى ــ أنّ الجنة تحتاج إلى أنْ يمرَّ الإنسان المسلم أو المؤمن باختبارات عدَّة وأنْ يمحص بالبلاء مصداقاً لقوله تعالى: (مّستهُمُ الْبَأْساءُ وَالضرّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتى يَقُولَ الرّسولُ وَالّذِينَ ءَامَنُوا) وهذا ما عمل صاحب التفسير على أنْ يوضحه في النص ، إذ يرى أنّ الله سبحانه قد نفى حديث الذين اعتقدوا أنّ دخولهم في الإسلام وحده يضمن لهم أنْ يدخلوا الجنة، واشترط عليهم أنْ لا يدخلوا الجنة حتى يمرَّ بهم مثل ما مرَّ بمَنْ سبقهم ، فقد رأى أنّ الذين سبقوهم قد مستهم أنواع الاختبارات، فقد مرَّ بهم الفقر والمرض وخُوّفوا وحُرّكوا بما يؤذي[1]، وعلى هذا يكون ترتيب الحجج على النحو الآتي :

- حُجة الذين ظنّوا أنَّهم داخلو الجنة : ح (إنَّهم أسلموا)
- ن= (إنَّهم ضمنوا الجنة) .
- حُجة الله سبحانه وتعالى : (وَلَمّا يَأْتِكُم مّثَلُ الّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مّستهُمُ الْبَأْساءُ وَالضرّاءُ) .
- ن = (لاـ ن)، أي نفي حجتهم .

فيكون ترتيب الحجج على السّلم الحِجاجي على وفق قانون النفي على وفق ما يأتي:

ن٢= (لا يدخلوا الجنة حتى يُمَحصوا بالبلاء ليثبت من يثبت على الدين، فيدخل الجنة) .

ح٢ (وَلَمّا يَأْتِكُم مّثَلُ الّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مّستهُمُ الْبَأْساءُ وَالضرّاءُ) .

ن١ (دخولهم الجنة دون أنْ تمسهم البأساء والضراء) .

ح١ (كونهم قد أسلموا فإنَّهم قد ضمنوا الجنة) .

فيظهر ممّا تقدم أنّ الحُجة الثانية ونتيجتها المضمرة جاءتْ مكمّلة وموضحة ومفسرة للحُجة الأولى ونتيجتها على وفق قانون النفي، وهو ما تعامل معه السيد الطباطبائي في تفسيره لآية الكريمة المذكورة آنفاً ، وبذلك يكون قد التمس هذا القانون الذي هو أحد أعمدة السلم الحِجاجي .

٢ – قانون القلب :

---

[1] ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ١٣٥ .

يُعدّ هذا القانون ذا صلة وثيقة بقانون النفي وهو في الوقت نفسه متمماً له[1]، ويركّز هذا القانون على أنّهُ : ((إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة فإنّ نقيض الحُجة الثانية أقوى من نقيض الحُجة الأوّلى في التدليل على النتيجة المضادة))[2]، وقد وردت بعض شواهد تخضع لقانون القلب في تفسير السيد الطباطبائي لكلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومنها قوله تعالى: ﭽ ۉ ۉ ۊ ۋ ې ې ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ئا ئا ئه ئه ، ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ،ی ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ،ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ،ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٺ ٹ ٹ ٿ ڤ ڤ ﭼ الكهف:٣٢- ٣٦ .

قال السيد الطباطبائي : ((أي جعلنا النخل محيطة بهما حافة من حولهما وقوله: "وجعلنا بينهما زرعا" أي بين الجنتين و وسطهما، وبذلك تواصلت العمارة وتمت واجتمعت له الأقوات والفواكه ، قوله تعالى: "كلتا الجنتين آتت أكلها" الآية الأكل بضمتين المأكول والمراد بإيتائهما الأكل إثمار أشجارهما من الأعناب والنخيل وقوله: "ولم تظلم منه شيئا" الظلم النقص))[3] .

يبدو أنّ قانون القلب في السّلم الحِجاجي قد دَبَّ في مفاصل تحليل صاحب التفسير للآيات القرآنية، فلو سُلِط الضوء على الآيات القرآنية التي حُلِلت لوُجِدَت أنّها قد أخذت مواقعها من السّلم على وفق قوة الحُجة ، فإذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأُخرى في تحديد نتيجة ما ، فإنّ نفي الحُجة الثانية يكون أقوى من نفي الحُجة الأوّلى في تحديد النتيجة النقيضة[4] .

وقد وُسِمَ تحليل السيد الطباطبائي للنصوص بوسم قانون القلب، إذ يرى أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد مَنّ على أحد الرجلين بعطائه الذي لا ينضب فأعطاهُ جنتين من أعناب وحوطهما بالنخيل ولا يفصل بينهما إلا الزرع ، وقد آتت الجنتان ما يرجى منهما من ثمار ولم يكن في ثمارهما نقص ، وقد جعل الله بين الجنتين نهراً يسقيهما، ثم انتقل صاحب الميزان إلى الجانب الثاني وهو الجانب الذي يدلُّ على كفر الرجل الذي أعطاه الله تلك النعم ، فقد استبعد الرجل أنْ تبيد جنتاه ، فقال: (قَالَ مَا أَظُنّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً) فكفر بالله الذي مَنّ عليه بتلك العطايا، ثم أنكر وجود الله من بعد

---

[1] ينظر : اللغة والحِجاج : ٢٢.

[2] البُعد التداولي والحِجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل : ٣٥.

[3] الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٢٥٠ .

[4] ينظر : اللغة والحِجاج : ٢٢.

ذلك فقال: (وَمَا أَظنّ الساعَةَ قَائمَةً) فكفر بأنّ يكون هناك يوم يحاسب الله فيه العباد على طغيانهم، ثم نفى أنْ تفنى الدنيا وأنّه سيرد إلى عالم الغيب والشهادة[1] .

وعلى تحليل السيد الطباطبائي يكون ترتيب الحجج والنتائج على وفق السّلمين الآتيين :

الرجل الأول :

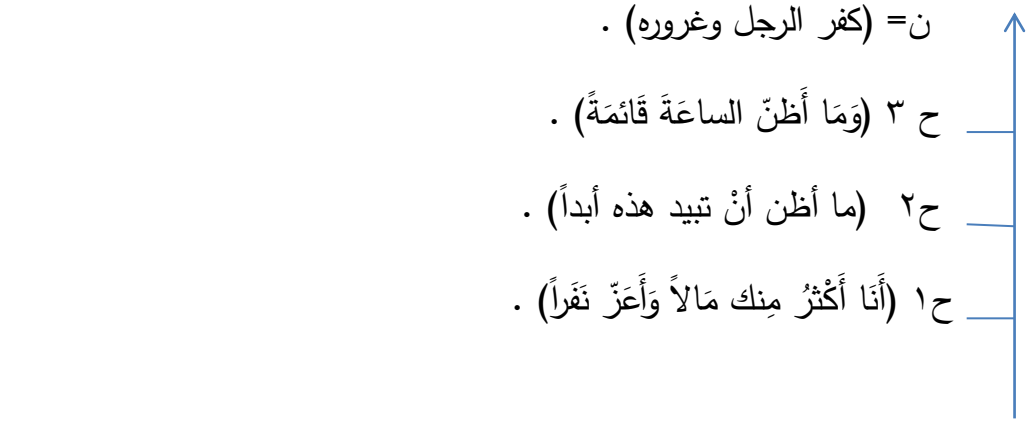

الرجل الثاني :

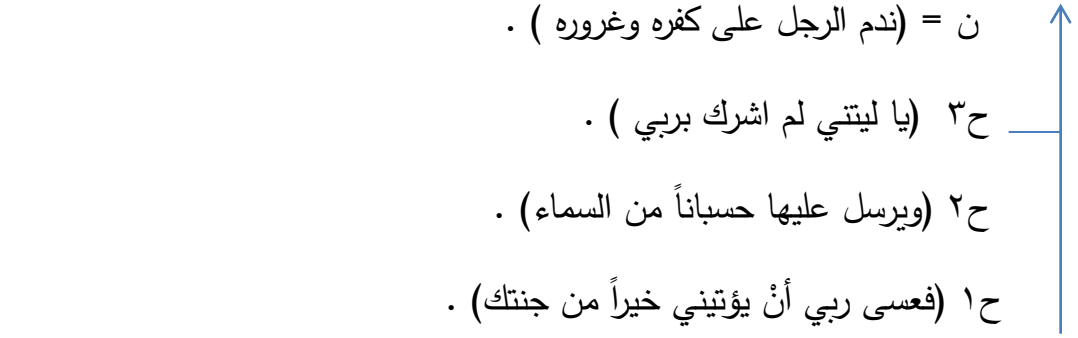

فحصول هذا الرجل على كلّ تلك النعم مدعاةٌ لشكر الباري جلّ شأنه ؛ لأنّ النعم التي أُنعِم بها عليه الواحدة أكبر من الأُخرى، فكانت تستحق الشكر في حين أنّ نفي الرجل لوجود الله سبحانه وتعالى هي النتيجة الأقوى من نتيجة الحجج المترادفة التي وردت في السّلم الأوّل ، فقد أنكر وجود من أنعم عليه وجحد به، وقد أنكر قيام الساعة وإنكار قيام الساعة هو إنكار لوجود الله ــ عز وجل ــ وهي أقوى من نتيجة الحُجة الأولى التي نفى بها أنَّ الله قادر على أبادة هاتين الجنتين ، فإذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى يفيد تحديد نتيجة ما، فإنّ نفي الحُجة الثانية

[1] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٢٥١ –٢٥٢ .

يكون أقوى من نفي الحُجة الأولى لتفيد تحديد النتيجة[١]، وهذا ما كانت عليه النصوص القرآنية التي مرّ التعامل معها على وفق قانون القلب في السّلم الحِجاجي .

٣- قانون الخفض :

وهو الحلقة المتممة لحلقات قوانين السّلم الحِجاجي؛ إذ ينماز هذا القانون بأنّه ((إذا صدق القول في مراتب معينة من السّلم ، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها))[٢]، وقد ورد هذا القانون في تعامل السيد الطباطبائي مع النص القرآني في مواضع عدّة، فهو يرى في قوله تعالى : **چ ٱ ب ب ٻ پ پ پ ،پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ،ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ چ** مريم:١٢- ١٤ .

إنّ معنى خذ الكتاب بقوة أي : ((التحقق بما فيه من المعارف والعمل بما فيه من الأحكام بالعناية والاهتمام ، وفي الكلام حذف وإيجاز رعاية للاختصار، والتقدير: فلما وهبنا له يحيى قلنا له: يا يحيى خذ الكتاب بقوة في جانبي العلم والعمل، وبهذا المعنى يتأيد أنْ يكون المراد بالكتاب التوراة ،أو هي وسائر كتب الأنبياء فإن الكتاب الذي كان يشتمل على الشريعة يومئذ هو التوراة ، (وآتيناه الحُكْمَ صبِيّا) فسّر الحكم بالفهم وبالعقل وبالحكمة وبمعرفة آداب الخدمة وبالفراسة الصادقة وبالنبوة))[٣] .

لقد كان للسياق أثر واضح في إبانة ما يخص النفي وما يعارضه من أقوال في إثبات الحجج والوجهة التي يريدها المخاطِب لتعزيز تلك الحجج التي جاء بها وبلوغ نتائجها، فقد استُعْمِل في النصّ العامل الحِجاجي (النفي) الذي خفض القول ونفى بأنْ يكون يحيى ـ عليه السلام ـ جباراً ، أو عصياً، قال تعالى: (وَلَمْ يَكُن جَبّاراً عَصِيّا) وعلى هذا تُسْتَبعد التأويلات التي ترى الجبروت والعصيان في سلوك يحيى ـ عليه السلام ـ فإذا لم يكن كذلك ، فإنّ سلوكه يكون على العكس من تلك الصفات ، فقد أوتي الحكم صبياً ، وكان تقياً ، وكان باراً بوالديه، وهو ما عمل عليه النفي الصريح المتمثل بـ (لم) في النص، فقد أُطّرت المسألة بإطار نفي (الجبروت والعصيان) وإثبات الأقوال المنافية لها في السّلم الحِجاجي المعارضة لذلك الخفض وهي الحكم ، والتقى ، والبر، فقد

---

[١] ينظر : اللغة والحِجاج : ٢٢.

[٢] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام : ١٠٥-١٠٦ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ١٦ .

أدى العامل الحِجاجي قوة في دعم وجهة الخطاب؛ لأنّ له أثراً كبيراً في تحديد الخطاب ومساره[١]؛ لأنّ عامل النفي من أدق العوامل الحِجاجية في تحديد مرتبة القول من السّلم الحِجَاجي[٢] .

ويبدو من تفسير السيد الطباطبائي للآيات القرآنية الكريمة، أنّه قد اقترب من القانون الثالث من قوانين السّلم الحِجاجي ، فقد سلك الطريق الذي سلكه الحِجاجيون ـ كما مرَّ آنفاً ـ في ترتيب الحجج على السّلم في قانون الخفض ، بحسب ما ذكره الدكتور (طه عبد الرحمن) الذي يرى مصداقية القول في مرتبة معينة من مراتب السّلم الحِجاجي ، فإنّ العكس من ذلك القول يصدق في المراتب التي تقع تحته في السّلم[٣]، وعلى هذا يمكن ترتيب الحجج على وفق السّلم الحِجاجي على النحو الآتي[٤] :

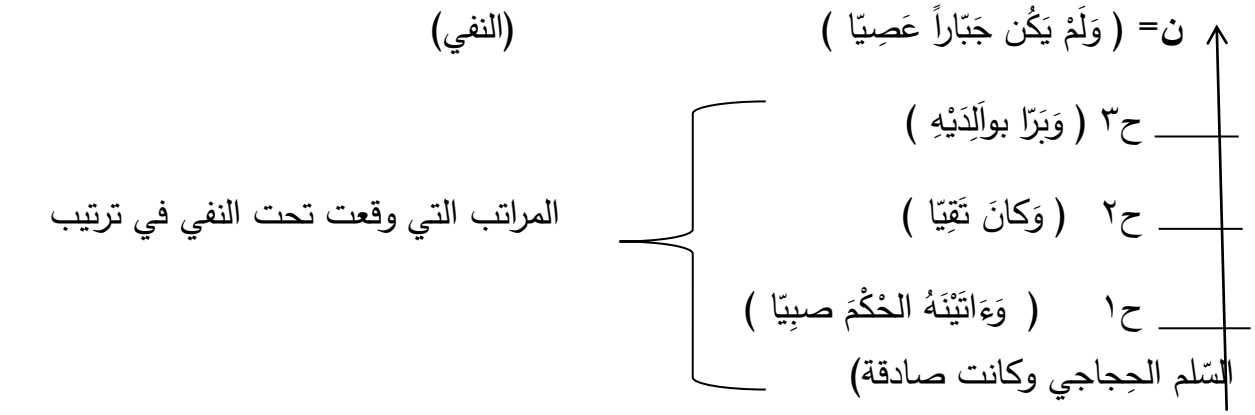

وبهذا نجد أنّ نظرية السلالم الحِجاجية مؤسسة على التدرج في توجيه الحجج وأهميتها لا تتجلى من خلال الصدق والكذب وإنّما في قوة الحجج وضعفها، فالخطايبة في حججها كما رأينا ترتب الحجج من حيث القوة والضعف وذلك بحسب السياق الذي ترد فيه.

ثانياً : مفاهيم ترتبط بالسّلم الحِجاجي :

---

[١] ينظر : مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحِجاج : ١٦٧ .

[٢] ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : ٤٩.

[٣] ينظر : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام : ١٠٥ـ١٠٦.

[٤] ينظر : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٧٨.

هنالك مفاهيم لها علاقة وطيدة بالسّلم الحِجاجي وهي تعمل على إثبات الحُجة وإظهارها عن طريق السّلم ومن تلك المفاهيم[١] :

١- الوجهة أو الاتجاه الحِجاجي[٢] :

إذا كان قول ما بإمكانه إنشاء فعل حجاجي فإنّ قيمة هذا القول الحِجاجية يمكن أنْ تُحدد بوساطة السّلم الحِجاجي مشتملاً على روابط وعوامل حِجاجية ، فهي التي تحدد درجته من السّلم ، أمّا إذا كان القول غير مشتمل على تلك الروابط والعوامل، فإنّ تحديد الاتجاه الحِجاجي على السّلم يكون عن طريق الألفاظ والمفردات فضلاً عن السياق التداولي الذي يحدد كثيراً من وجهات القول الحِجاجية ودرجاتها على السّلم[٣]، وقد جاءتْ عند معالجة السيد الطباطبائي للآيات القرآنية مسائل حِجاجية أخذتْ درجتها على السّلم عن طريق الألفاظ والمفردات، والسياق التداولي، كما نرى عند تحليله لقوله تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ القصص: ٢٦ .

قال السيد الطباطبائي : ((قوله تعالى: "قالت إحداهما يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القوي الأمين" إطلاق الاستيجار يفيد أنّ المراد استخدامه لمطلق حوائجه التي تستدعي من يقوم مقامه وإنْ كانت العهدة باقتضاء المقام رعي الغنم ، وقوله: "إنّ خير من استأجرت" إلخ، في مقام التعليل لقوله: "استأجره" وهو من وضع السبب موضع المسبب والتقدير استأجره ؛ لأنّه قوي أمين وخير من استأجرت هو القوي الأمين، وفي حكمها بأنّه قوي أمين دلالة على أنّها شاهدت من نحو عمله في سقي الأغنام ما استدلت به على قوته وكذا من ظهور عفته في تكليمهما وسقي أغنامهما ثم في صحبته لها عند ما انطلق إلى شعيب حتى أتاه ما استدلت به على أمانته ، ومن هنا يظهر أنّ هذه القائلة: "يا أبت استأجره" إلخ، هي التي جاءته وأخبرته بدعوة أبيها له كما وردت به روايات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وذهب إليه جمع من المفسرين))[٤] .

وأكد ذلك ببحثه الروائي مستدلاً بتفسير القمي: ((وفي تفسير القمي، قال: قالت إحدى بنات شعيب: يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القوي الأمين، فقال لها شعيب (عليه السلام): أمّا قوته فقد عرفتنيه أنّه يستقي الدلو وحده فبم عرفت أمانته؟ فقالت: إنّه لما قال لي: تأخري عني

---

[١] ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : ١٢١.

[٢] ينظر : اللغة والحِجاج : ٢٥، ونظريات الحِجاج : ٣٦.

[٣] ينظر : اللغة والحِجاج : ٢٥.

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ٢١ .

ودليني على الطريق فإنّا من قوم لا ينظرون في أدبار النساء عرفت أنّه ليس من الذين ينظرون أعجاز النساء فهذه أمانته: أقول: وروي مثله في المجمع، عن علي (عليه السلام)))[١] .

الذي يبدو من كلام صاحب الميزان عند تحليله للنص القرآني المذكور آنفاً أنّه فهم المسألة فهماً حِجاجياً، فقد استشف أنّ الحوار الذي دار بين البنت وأبيها يحمل بين طياته خطاباً حجاجياً عن طريقا لأسئلة التي وجهها لها أبوها، فقد التزم صاحب التفسير بترتيب الحجج من الأضعف إلى الأقوى على وفق ما تصنف في السّلم الحِجاجي في قوله:((قالت: أمّا قوته ...، وأمانته ...))[٢]، فاتضح له من كلام البنت أنّها أرادت إيصال رسالة لأبيها بأنّ الرجل نظائرهُ قليلون قوة وشرفاً ، وقد ورد ما يدلُّ على ذلك في التفاسير، فقد رأى القرطبي: أنّه تزوج الصغرى؛ لأنّها هي التي جاءت خلفه وهي التي قالت: (يَا أَبَتِ استَئْجِرْهُ إِنّ خَيرَ مَنِ استَئْجَرْت الْقَوِى الأَمِينُ) فالحكمة في تزوجيه الصغرى قبل الكبرى ، وإنْ كانت الكبرى هي أحوج إلى الرجال إلا أنّ أباها توقع ميل موسى (عليه السلام) إليها؛ لأنّه رآها في رسالته، وما شاها عند إقباله إلى أبيها[٣]، وهذا ما قال به النحاس ، فذكر أنَّه بعد أنْ انتهى الحوار بين البنت وأبيها قال تعالى على لسان أبيها : ((قَالَ إِني أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَك إِحْدَى ابْنَتيّ هَاتَينِ)) سورة القصص : ٢٧ ، إذ قال ببحثه الروائي بتحديد البنت : ((وفي المجمع، وروى الحسن بن سعيد عن صفوان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: رسائل أيتهما التي قالت: إنّ أبي يدعوك؟ قال: التي تزوج بها))[٤] أي الصغيرة منهما، واسمها طوريا[٥] ، وبهذا يكون ترتيب الحجج والنتيجة على السّلم الحِجاجي كالاتي:

ن = (المضمرة) (هو الرجل المناسب للزواج لما يتمتع به من صفات) .

ح٢ (الشرف) .

ح١ (القوة) .

ويبدو أنّ الذي منح المسألة بعدها الحِجاجي وصيرها حُجة يُراد من وراءها نتيجة معينة هو السياق، والحِجاج الرمزي، أو التلميحي هو من فرض نفسه وطبيعة الحوار الحِجاجي هي التي

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ٢٣ .

[٢] المصدر نفسه : ١٦ / ٢٣ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه : ١٦ / ٢٣ – ٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٧٣.

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ٢٣ .

[٥] ينظر : معاني القرآن (النحاس) : ٥/ ١٧٦.

هيمنت على سياق القول ، فأوصلت البنت ما تريد، وإنْ لم تُصرّح به مباشرة ، فقدمت ما قالت على أنّ القول يؤدي ما تبتغي الوصول إليه[١] .

٢- القسم الحِجاجي:

يُعدّ القسم الحِجاجي بحسب ما يرى (ديكرو) عنصراً مركزياً في السّلالم الحِجاجية فهو يُعرفه بانّه : يمكن للمتكلم في موقف خطابي معين أنْ يسوق قولين، أو أكثر في قسم حِجاجي واحد يفضي إلى النتيجة (ن) بشرط أنْ تكون تلك الأقوال تؤدي إلى النتيجة نفسها[٢]، والذي يتضح من كلام (ديكرو) أنّ القسم الحِجاجي هو مجموعة من الأقوال تؤدي إلى نتيجة واحدة، ويرى أنّ تلك الأقوال لابدَّ أنْ تنتمي إلى فئة حِجاجية واحدة لا إلى فئات متعددة[٣]، وقد تعامل السيد الطباطبائي مع هكذا مسائل عند معالجته للآيات القرآنية ، إذ يرى في قوله تعالى: ﭽ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ﭼ الأعراف: ٤٠ .

قال السيد الطباطبائي : ((السم هو الثقب وجمعه السموم، والخياط والمخيط الإبرة ، والذي نفاه الله تعالى من تفتيح أبواب السماء مطلق في نفسه يشمل الفتح لولوج أدعيتهم صعود أعمالهم ودخول أرواحهم غير أنّ تعقيبه بقوله: "ولا يدخلون الجنة" إلخ، كالقرينة على أنّ المراد نفي أنْ يفتح بابها لدخولهم الجنة فإنّ ظاهر كلامه سبحانه أنّ الجنة في السماء كما هو في قوله: "وفي السماء رزقكم وما توعدون": الذاريات: ٢٢، وقوله: "حتى يلج الجمل في سم الخياط" من التعليق بالمحال وإنّما يعلق الأمر بالمحال كناية عن عدم تحققه وإياساً من وجوده كما يقال: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب ويبيض الفأر، وقد قال تعالى في موضع آخر في هذا المعنى: "وما هم بخارجين من النار": البقرة: ١٦٧، والآية في معنى تعليل مضمون الآية السابقة، والباقي ظاهر))[٤] .

لقد تعامل صاحب الميزان مع الحجج التي تنتمي إلى فئة حِجاجية واحدة ، فقام بترتيبها من الأضعف إلى الأقوى، فقد رأى في قوله تعالى أنّ هؤلاء لا تفتح لهم السماء بمعنى أنّ الله لا يتقبل منهم، وهذه هي الحُجة الأوّلى، أمّا الحُجة الثانية ، فهي أنّهم لا يدخلون الجنة وهي

---

[١] ينظر : اللغة والحِجاج: ١٢٧، واللسان أو الميزان والتكوثر العقلي: ٢٢٦ـ٢٢٨.

[٢] ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية : ١٢٩ـ١٣٠

[٣] ينظر : المصدر نفسه : ١٣٠، ونظرية الحِجاج في اللغة بحث منشور ضمن كتاب (أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) : ٣٦٥.

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ٨ / ٩٥ – ٩٦ .

الحُجة الأقوى من الحُجة الثالثة ،أمَّا الحُجة الثالثة وهي الحُجة التي معها قد خُتِم الخطاب الإلهي بأمر تعجيزي وهو استحالة دخول الجمل في سمّ الخياط، والتي جاءت مساندة للحجتين السابقتين، أمَّا النتيجة (ن) التي جاء من أجلها الخطاب، فهي أنّ هؤلاء المجرمين سيدخلون النار، وهو ما قال به صاحب التفسير: أنَّ هؤلاء لا يدخلون الجنة البَتَّة[١]، وهي نتيجة أعمالهم التي كانوا عليها، وهو ما أقتنع به وما يراهُ موافقاً لتحليل النصّ القرآني .

وعلى هذا يكون السيد الطباطبائي قد التمس في تحليله للنص ذلك البُعد الذي تعلق بالسّلم الحِجاجي ومنها(القسم الحِجاجي) إذ يرى (موشلار، وريبول) أنّ الحجج التي ترد على السّلم بعضها يُساند بعضاً ، وبحسب ترتيبها من الأضعف إلى الأقوى ، وأنّ (القسم الحِجاجي) يرتكز على أساسين هما الحجج التي يسوقها المخاطِب والنتائج التي تولدها تلك الحجج لإقناع المخاطَب[٢] .

وترتيب الحجج والنتيجة المضمرة التي جاءت عن تلك الحجج على السّلم الحِجَاجي على وفق (القسم الحِجَاجي)، يكون على النحو الآتي:

ن = (المضمرة) (استحالة دخولهم الجنة)

(القسم الحِجاجي عند ديكرو)

ح٣ (حَتى يَلِجَ الْجَمَلُ في سمِّ الْخَيَاطِ)

ح٢ (وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ)

ح١ (لا تُفَتّحُ لهَمْ أَبْوَب السمَاءِ)

٣- الصيغ الصرفية :(أفعل التفضيل) :

للصيغ الصرفية أثر في ترتيب الحجج على السّلم الحِجاجي، ومن تلك الصيغ التي كان لها هذا الأثر(أفعل التفضيل)، وتعريفه أنّه:((اسم، مشتق، على وزن: (أفعل) يدل في الأغلب ـ على

---

[١] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٨ / ٩٦ .

[٢] ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية :١٢٩ــ١٣٣.

أنّ شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه...، والذي زاد يسمى: (المفضل) والآخر يسمى: (المفضل عليه)أو:(المفضول)، ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أنْ يكون أمرًا حميدًا، أو ذميمًا، ويدل أفعل التفضيل في أغلب صوره ـ على الاستمرار والدوام ،مالم توجد قرينة تعارض هذا))[١] .

وقد كان (لأفعل التفضيل) أثر واضح في تقدّم حُجة على أُخرى في السّلم الحِجاجي وقد عالج السيد الطباطبائي بعض من الآيات بهذا الصدد مراعياً فيها ذلك الأثر، فقد بيّن ما جاء في قوله تعالى: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼغافر: ١٠ .

إذ قال : ((قوله تعالى: "إنّ الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون" المقت أشد البغض ، لما ذكر المؤمنين ببعض ما لهم من جهة إيمانهم رجع إلى ذكر الكافرين ببعض ما عليهم من جهة كفرهم، وظاهر الآية والآية التالية أنّ هذا النداء المذكور فيها إنما ينادون به في الآخرة بعد دخول النار حين يذوقون العذاب لكفرهم فيظهر لهم أن كفرهم في الدنيا إذ كانوا يُدعون من قبل الأنبياء إلى الإيمان كان مقتا و شدة بغض منهم لأنفسهم حيث أوردوها بذلك مورد الهلاك الدائم، وينادون من جانب الله سبحانه فيقال لهم: أقسم لمقت الله وشدة بغضه لكم أكبر من مقتكم أنفسكم وشدة بغضكم لها إذ تدعون – حكاية حال ماضية – إلى الإيمان من قبل الأنبياء فتكفرون))[٢] .

يبدو أنّ صاحب الميزان قد تعامل مع النص القرآني على وفق المعطيات التي يكتنفها النص، فهو يبوح بما جاء فيه من تركيب، وما أدّاهُ أفعل التفضيل (أكبر) من عملٍ رجّح فيه الحُجة الأقوى، وهي أنّ (مقت الله أكبر من مقتهم)، فقد بيّن السيد الطباطبائي أنّ مقت الله أكبر من مقت الكافرين لأنفسهم، وقد نقل قولين في ذلك لتأكيد ما جاء به عن أهل التفسير، فعمل أفعل التفضيل على ترجيح الحُجة الأقوى وهي حُجة الله ـ سبحانه وتعالى ـ على حُجة الكافرين لذا جاءت في أعلى مرتبة من مراتب السّلم وقد جاءت حُجة الكافرين في أسفل مرتبة ؛لأنّها لا تجدي نفعاً؛ بسبب فوات الأوان.

وعلى هذا يكون ترتيب الحجج على السّلم الحِجَاجي على وفق ما عمل أفعل التفضيل على ترجيحه كالآتي:

---

[١] النحو الوافي : ٣/٣٩٥.

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ٢٥٤– ٢٥٥ .

ن = (المضمرة) (لا توبة لكم) .

ح٢ (لَمَقْت اللهِ أَكْبرُ مِن مّقْتِكُمْ أَنفُسكمْ) .

ح١ (إنَّكم تمقتون أنفسكم).

لأنّ مقت الله لهم جاء قبل فوات الأوان في الحياة الدنيا قال تعالى من الآية نفسها (إِذْ تُدْعَوْنَ إلى الإيمان فَتَكْفُرُونَ) ، ومقتهم لأنفسهم جاء بعد فوات الأوان في النار بعدما شاهدوا ما سيحل بهم من أنواع العذاب التي أعدها لهم الله ـ جلّ وعلا ـ فمقتوا أنفسهم ؛ لأنّهم لم يلتزموا بما دعاهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ له من الإيمان[1]، وعلى هذا فإنّ أفعل التفضيل قد ساهم في زيادة قوة هذه الحُجة، وتوجيهها صوب النتيجة ممّا ساعد على زيادة القوة الحِجاجية في الأخذ بالمخاطَب لقبول الحُجة والإذعان و التسليم لها[2] .

٤- صيغ المبالغة :

إنّ صيغ المبالغة حاملة لسمة الترتيب في بنائها الصرفي ؛ لذلك يستطيع المتكلم بناء سلّم حِجاجي منها، ومن هذه الصيغ (صيغ المبالغة) ؛ لأنّها تتفاضل فيما بينها ، فيستعمل منها ما يعبر عن درجة الحُجة المعبر عنها في الخطاب[3] ، ووردت صيغ المبالغة في القرآن الكريم على اختلاف أوزانها، ولعلّ أكثرها وروداً صيغة (فعّال)، أمّا (مِفعال) فلم ترد سوى مرتين اثنتين، إحداهما في آيات الحوار، التي أشار إليها السيد الطباطبائي في قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ هود:٥٠-٥٢ .

إذ قال : ((وقوله: "يرسل السماء عليكم مدرارا" في موقع الجزاء لقوله: "استغفروا ربكم" إلخ، أي إنْ تستغفروه وتتوبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا، والمراد بالسماء السحاب فإن كل ما علا وأظل فهو سماء، وقيل المطر وهو شائع في الاستعمال، والمدرار مبالغة من الدر، وأصل الدر اللبن ثم

---

[1] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٢٥٥ .

[2] ينظر : الحِجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) (أطروحة دكتوراه) : ٨٢.

[3] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٥٢٩ .

استعير للمطر ولكل فائدة ونفع فإرسال السماء مدرارا إرسال سحب تمطر أمطاراً متتابعة نافعة تحيى بها الأرض وينبت الزرع والعشب، وتنضر بها الجنات والبساتين))[1] .

فقد أشار صاحب الميزان في تفسيره للنص أنّ قوم هود (عليه السلام) مشركون، فبعث الله إليهم هوداً يدعوهم لعبادة الله وحده ، وهو بدعوته لهم لا يريد منهم أجراً ؛ وفي ذلك تمهيد لطرح ما يريد قوله فهو لا يريد من وراء دعوتهم منفعة خاصة له مهما كان نوعها ، فطلب منهم الاستغفار ثم التوبة عما صنعوا ، فالاستغفار لا يكون إلا بعد الإيمان ومن ثمّة ستقبل توبتهم ، فإن فعلوا ذلك كان جزائهم الدنيوي إرسال السماء عليهم (مدرارا)، " والمِدرار : در اللبن؛ لأنّ القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين[2] فاستعمل صيّغة المبالغة (مِدرار) كحُجة ليقنعهم ويرغبهم في الإيمان بالله ، وإنّ هذه الصيغة هي مثال للحركة الحِجاجية لما لها من خصائص في ذاتها تستمدها من اللغة والتداول تجعلها مؤهلة بطبيعتها لتكون ذات صبغة حِجاجية وتكون أوغل في الحِجاج وأقرب في الإقناع[3]، فاستعمال (مِدرار) في الخطاب أعطاه طاقة حِجاجية كبرى لما توحيه الكلمة من الكثرة والمبالغة وما يستتبع تلك المبالغة من الترغيب ومن ثم استمالتهم وإقناعهم ، ومن ثمّة تحقيق الغرض من الخطاب ، ويمكن التمثيل لذلك في الخطاطة الآتية :

ن = (الاستغفار والتوبة) .

ب (زيادة القوة على قوتكم) .

أ (إرسال السماء عليكم مدرار) .

(أ ، ب) حجج وأدلة تخدم النتيجة (ن) .

٥- فحوى الخطاب :

إنّ من أهم أوجه الحِجاج عبر السلّم الحِجاجي ، ما يكون بدلالة فحوى الخطاب ، ويعني أنّ ينصَّ على الأعلى وينبّه على الأدنى، أو العكس، وله تجليات عدة ومنها التلفظ بالدرجة العليا في

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ١٠ / ٢٣٦ .

[2] ينظر : المصدر نفسه : ١٠ / ٢٣٦ .

[3] ينظر : الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : ٧٤ .

السلّم ونفي ما عداها ضمنا[١]، وممّا ورد من ذلك عند السيد الطباطبائي في قوله تعالى : ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ الأنعام: ١٦١.

إذ قال : ((قوله تعالى: "قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم" إلى آخر الآيتين، القيم بالكسر فالفتح مخفف القيام وصف به الدين للمبالغة في قيامه على مصالح العباد، وقيل: وصف بمعنى القيم على الأمر، يأمر الله سبحانه أنْ يخبرهم بأن ربه الذي يدعو إليه هداه بهداية إلهية إلى صراط مستقيم وسبيل واضح قيم على سالكيه لا تخلف فيه ولا اختلاف دينا قائما على مصالح الدنيا والآخرة أحسن القيام – لكونه مبنيا على الفطرة – ملة إبراهيم حنيفاً مائلاً عن التطرف بالشرك إلى اعتدال التوحيد وما كان من المشركين))[٢] .

وأشار إلى ذلك ببحثه الروائي محتجاً برواية الإمام الصادق (عليه السلام) ، قائلاً : ((في الكافي، بإسناده عن ابن مسكان عن أبي عبد الله (عليه السلام): في قول الله: "حنيفاً مسلماً" قال: خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان:. أقول: ورواه في البرهان، البرقي بإسناده عن ابن مسكان عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): وفيه: "خالصاً مخلصاً لا يشوبه شيء" وهو بيان المراد لا تفسير بالمعنى))[٣] .

فقد استعمل السيد الطباطبائي في تفسيره الدرجة العليا في السلّم وهو الدين المستقيم ، وذكر أنّه دين إبراهيم (عليه السلام) ، وهو الحنفية فهذا التلفظ نبّه على الدرجة العليا في السلم ونفى ما عداها ضمناً ويراد بها اليهودية والنصرانية فضلاً عن التصريح بنفي الشرك عنه في قوله : (وما كان من المشركين) ، ومن ثمّة إثبات أنّ الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) على دينه ، مما يعني أنّ دين الإسلام هو الدين القيّم ، فجاء ترتيب الحجج في السلّم على وفق الخطاطة الآتية :

ن = (دين الإسلام هو الصراط المستقيم والدين القيم) .

د = (الرسول هداه الله إلى ملّة إبراهيم (عليه السلام)) .

ج = (كان إبراهيم على الحنفية) .

---

[١] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٥٣٠ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ٧ / ٣٣٣-٣٣٤ .

[٣] المصدر نفسه : ٧ / ٣٣٦ .

ب = (لم يكن إبراهيم على اليهودية أو النصرانية) .

أ = لم يكن إبراهيم من المشركين) .

(أ ، ب ، ج ، د) حجج وأدلة تخدم النتيجة (ن) .

٦- القياس الحِجاجي :

يُعد موافقاً لخطاب خاص من خطابات الحِجاج القاعدية فهو فعلاً خطاب متكون من ملفوظات (قضايا) بسيطة يُستدل على إحداها أي النتيجة بالقضيتين الأخريين، (المقدمات) وتتضمن لفظاً تشترك فيه مع الأخرى ، ولفظاً مشتركاً مع النتيجة[١]، ومن أنواع القياس الحِجاجي ما يسمى بالحِجاج الضمني : ((هو الذي نُخفي فيه المقدمة الأولى))[٢]، بمعنى أنّه وسيلة مثالية للخطاب المقنع القائم على مناشدة العقل، فهو يبسط الشكل المنطقي للقياس حتى يمكن توظيفه في الكلام العادي للمنطق المنهجي وتكون النتيجة واضحة ومقنعة في الفكر والتعبير ، وقد استعمله السيد الطباطبائي في تفسيره لهذا النوع من القياس في قوله تعالى : ﴿ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﴾القصص: ٨٨.

إذ قال : ((وقوله: "كل شيء هالك إلا وجهه" الشيء مساو للموجود ويطلق على كل أمر موجود حتى عليه تعالى كما يدل عليه قوله: "قل أي شيء أكبر شهادة قل الله": الأنعام: ١٩، والهلاك البطلان والانعدام))[٣] .

يُستشف من كلام صاحب الميزان أنّه يشير إلى أنّ هذه العملية تقوم على الاستدلال الذي يقوم على الانتقال من الحقيقة العامة إلى الحقيقة الجزئية ومن المقدمات إلى النتائج بشكل يزداد وضوحاً، وأكثر فهماً كما أنّه يتعلق بتقويم البراهين، وترجمة المقدمات، ومقارنة الاستنتاجات المحتملة لإيجاد التوافق بينها، وقياس المعلومات الحالية على المعلومات السابقة للوصول إلى استنتاجات، فجاء ترتيب الحجج في السلّم كما يلي :

ن = (لا يمكن الفرار من حكومة وقدرة الله سبحانه وتعالى) .

ح٤ (كلّ شيء هالك إلا وجه الله) .

ح٣ (الأنبياء والرسل وأهل البيت والأولياء كلهم ماتوا وهلكوا) .

ح٢ (أهل السماء لا يبقون) .

---

(١) ينظر : نقد الحِجاج وسيميائيات الأهواء من خلال كتاب البخلاء للجاحظ : ٣٨ -٣٩ .

(٢) لماذا نقرأ فلاسفة العرب : ٩٩ - ١٠٠ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ٧٣ .

ح١ (أهل الأرض يموتون) .

فالقياس الضمني في هذا الكلام: كلُّ شيءٍ هالك إلا وجه الله ← أنا مخلوق ← إذن أنا هالك.

وكذلك من القياس الحِجاجي ما يسمى بالقياس المتدرج : الذي يُعد ((امتداد للتعليل القائم على القياس المنطقي))[١]، أي بمعنى أنّه يُبنى على عدد من القياسات المنطقية التي ترتبط مع بعضها لتشكل المقدمة الكبرى التي تكون نتيجة للقياس المتدرج من مجموعة الأقوال أثناء الخطاب الحِجاجي ، وقد استعمل السيد الطباطبائي هذا النوع من القياس في قوله تعالى : ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼالبقرة: ٢١٩.

إذ قال : ((قوله تعالى: يسئلونك عن الخمر والميسر، الخمر على ما يستفاد من اللغة هو كل مائع معمول للسكر، والأصل في معناه الستر، وسمي به ؛لأنّه يستر العقل ولا يدعه يميز الحسن من القبح والخير من الشر، ويقال: لما تغطي به المرأة رأسها الخمار، ويقال: خمرت الإناء إذا غطيت رأسها، ويقال: أخمرت العجين إذا أدخلت فيه الخمير، وسميت الخميرة خميرة لأنّها تعجن أولاً ثم تغطى وتخمر من قبل، وقد كانت العرب لا تعرف من أقسامه إلا الخمر المعمول من العنب والتمر والشعير، ثم زاد الناس في أقسامه تدريجا فصارت اليوم أنواعاً كثيرة ذات مراتب بحسب درجات السكر، والجميع خمر))[٢] .

وأشار إلى قياس تدريج التحريم للخمر بقوله : ((ومن جملة تلك العادات الشائعة السيئة شرب الخمر فقد أخذ في تحريمه بالتدريج على ما يعطيه التدبر في الآيات المربوطة به فقد نزلت أربع مرات: إحداها: قوله تعالى: "قل إنّما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق:" الأعراف – ٣٣، والآية مكية حرم فيها الإثم صريحاً، وفي الخمر إثم غير أنّه لم يبين أنّ الإثم ما هو وأنّ في الخمر إثماً كبيراً))[٣] .

يُفهم من كلام السيد الطباطبائي أنّ السياق في الآيات الكريمة يدل على النهي المطلق ، ولا معنى للنهي الخاص بعد ورود النهي المطلق، على أنّه ينافي التدريج المفهوم من هذه الآيات فإنّ التدريج سلوك من الأسهل إلى الأشق لا بالعكس[٤] .

---

[١] الحِجاج في دموع في عيون عراقية لخير الدين حمادي "مقارنة في وسائل الإقناع" (رسالة ماجستير) : ٤٤ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ١٦٣ .

[٣] المصدر نفسه : ٢ / ١٦٥ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن / ١٦٥ .

ويتضح من ذلك القصد في التدرج هي قضية التحريم في مخاطبة المتلقي، وإنّ الله سبحانه وتعالى خاطب الناس جميعاً على قدر عقولهم وفهمهم للكلام، ومن هنا يتحول الخطاب على الإفهام التدريجي إذ إنّ تحولات الخطاب القرآني ما هي إلا قياس متدرج لطاقة الإنسان على استيعاب إرادة الخطاب والتوافق مع قوته[١] ، وعلى هذا يكون السلم الحِجاجي المتدرج كالآتي :

ن = (الابتعاد عن الخمر ؛ لأنّه محرم يؤدي إلى معصية الله سبحانه تعالى الموجب للعقاب).
ح٣ (الخمر معصية توجب العقاب) .
ح٢ (الخمر إثم كبير) .
ح١ (الخمر مسكر) .

فالقياس المتدرج جاء وفق المقدمة الكبرى والمقدمة الصغرى والعلاقة بينهما لتحديد النتيجة المتوخاة من ذلك ، وهذه الصورة التي جاءت في تفسير النص لصاحب التفسير والذي أشار إليها في أكثر من مورد وفق معطيات معرفية وسياقية التي دلت على ذلك ، وجاء بالتدرج بقوله[٢] :

١- أخذ الإثم بمعنى الضرر مطلقاً .
٢- تعلل الآية الضرر بغلبه على المنفعة .
٣- إنّ الآية قاصرة الدلالة على الحرمة بلفظة الإثم .

يخلص ممّا سبق : إنّ السيد الطباطبائي في تفسيره للنصوص القرآنية عمد إلى استعمال وتوظيف أغلب تقنيات الحِجاج في خطابه، إذ سوغت له تقديم حججه وبنائها للوصول إلى النتائج المنشودة ، فقد استعمل الأدوات اللغوية المختلفة ، واعتمد على الآليات البلاغية وما تؤديه من تأثير في المتلقي، فضلاً عن استعماله الآليات شبه المنطقية، متمثلة بالسلّم الحجاجي، فجاء حِجاجه مفحماً ، فقارع الحُجة بالحُجة ، ولم يترك طاقة حِجاجية إلا واستخرجها للوصول إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه ، وهو مع ذلك جاء مراعياً له، مستثمراً ثقافة المتلقي ومرجعياته الدينية والاجتماعية ، ليحقق بذلك الغرض من الخطاب ألا وهو هداية الناس إلى عبادة الله .

الفصل الثالث : الحِجاج البلاغي :

إنّ الحِجاج البلاغي يتخذ من البلاغة مجالاً له ؛ وذلك لاعتماده على الاستمالة والتأثير عن طريق الحِجاج بالصورة البيانية والجمالية أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره حتى

[١] ينظر : النص القرآني من الجملة إلى العالم : ١٧ ، والنحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ١٧١ .
[٢] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٢/ ١٦٦ .

يتقبل موضوع الخطاب، كذلك تهتم هذه النظرية بفحص واختبار الشروط التي تساعد على بدء الحِجاج وتطويره، والآثار الناتجة عنه أيضاً[١]، وينماز الحِجاج البلاغي عند (بيرلمان) بخمسة خصائص هي[٢] .

١- أنْ يتوجه إلى مستمع .
٢-أنْ يعبّر عنه بلغة طبيعية .
٣-مسلماته لا تعدو أنْ تكون احتمالية .
٤-لا يفتقر تقديمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة .
٥- ليست نتائجه ملزمة .

وتمثل هذه الخصائص الصور البلاغية المحورية التي تبناها الخطاب الحِجاجي ؛ لأنّها تحقق وظيفة إقناعية اعتماداً على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي يتولد فيه الخطاب[٣]، ومن هنا أصبحت نظرية الحِجاج البلاغي ذات أثر بالغ عند (بيرلمان) ، ممّا جعله يطابق بين البلاغة ونظرية الحِجاج ، وهذا يعني أنّ أهداف البلاغة تتركز في مجملها في الوصول إلى القواعد التي يستطيع بها المتكلم أنْ يؤثر في جمهوره بحججه المقنعة ، فالبلاغة الحِجاجية تهتم بالوظيفة التواصلية الإقناعية التي تنطوي عليها الخطابات التداولية ، والبلاغة الأدبية تهتم بالوظيفة الجمالية تقوم عليها الخطابات التخيلية[٤]، وإذا أراد الدارس أنْ يرصد الحِجاج من الناحية البلاغية يجده ضمن علوم (البيان والبديع)؛ لأنّها تدخل في جميع أنواع الخطابات الأدبية والاجتماعية والدينية والسياسية على وفق ما تراه البلاغة الجديدة التي لا تأتي لمن يمتلك سحر البلاغة فقط بل لمن يمتلك قوة الإقناع والتأثير وسلطة الحِجاج[٥]، فمتى قامت الأساليب البلاغية بدور الإقناع وزيادة درجة الإذعان كانت أداة حِجاجية ، لذا سار التوجه إلى تلمُس الحِجاج البلاغي عند السيد الطباطبائي في تفسيره وكما يأتي :

المبحث الأول : الحِجاج البياني :

[١] ينظر : آليات تشكل الخطاب الحِجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان (بحث) : ١٧٣ .
[٢] ينظر : مفهوم الحِجاج عند (بيرلمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة (بحث) : ٦١ .
[٣] ينظر : الخطاب الحِجاجي وصلاته الاجتماعية (مقاربة سوسيولسانية) (بحث) : ١٤٩ .
[٤] ينظر : في بلاغة الحِجاج نحو مقاربة بلاغية حِجاجية لتحليل الخطاب : ٥١ .
[٥] ينظر : الحِجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة : ١ / ١١ .

يُقصد بعلم البيان أنّه ((أصول وقواعد يُعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى ، ولا بدَّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائماً))[١] .

وهنا يُلحظ أنّ الغاية من علم البيان هو الفهم والإفهام ، وهو عنصر أساس في النص القرآني بما يضفيه المنشئ على واقع المعنى وحقيقة الموضوع فيضفي على الصورة عالماً أوسع ، بغية الوصول إلى ذهن السامع وإقناعه بما يريد[٢]، لذا نجد أنّ السيد الطباطبائي يتناول بالتحليل المواضع المتضمنة لهذا اللون البلاغي وتوظيفه حِجاجياً في تفسيره وكما يأتي :

أولاً : المجاز :

ويُراد به ((كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثّاني والأوّل ... وإن شئت قلت : كلّ كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة ما بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الّذي وضعت له في وضع واضعها))[٣] .

فالمجاز شكل من أشكال تداعي المعاني للفظ يرد إلى الأذهان ، تتابعه معانٍ ذات علاقة مقصودة فتتعدد العلاقات ليظهر لنا أنواع من المجاز كالمجاز العقلي والمجاز المرسل ، وبذلك يصح القول أنّ المجاز : ((تطوير لدلالة اللفظ وتحميله من المعاني المستحدثة ما لا يستوعبه نفس اللفظ في أصل وضعه))[٤] .

ويُعدَل إلى المجاز إذا كان فيه زيادة في الفائدة، واستيعاب للمعنى الحقيقي بإضافة معنىً جديدٍ ينتقل إليه ذهن السامع، وهذا الانتقال بذهن السامع ذو قيمة فنية في شمولية اللفظ[٥].

ويؤكد السكاكي (ت ٣٩٨هـ) على أنّ الاستدلال البياني في المجاز أكثر تأثيراً من غيره أي من الحقيقة[١].

---

[١] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ٢١٦ .

[٢] ينظر : تهذيب البلاغة : ٧٧ .

[٣] أسرار البلاغة : ٣٩٨ .

[٤] الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية بلاغية : ١١٥ .

[٥] ينظر : المصدر نفسه : ١٦٤ .

وخلاصة القول إنّ للمجاز دوراً كبيراً في الحِجاج والإقناع ؛ لأنّه يؤدي وظيفة استدلالية يتوجه بها إلى عقل المخاطَب ، وكذا يؤدي وظيفة نفسية ويستهدف التأثير في نفسية المخاطَب، وفي ضوء ذلك تطرق السيد الطباطبائي في تحليله لبعض الآيات وإبراز الوجه المجازي الحِجاجي فيها ، ومنه قوله تعالى : **ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ**البقرة: ١٦٥.

إذ قال : ((وفي الآية دليل على أنّ الحب يتعلق بالله تعالى حقيقة خلافاً لمن قال: إنّ الحب– وهو وصف شهواني– يتعلق بالأجسام والجسمانيات، ولا يتعلق به سبحانه حقيقة وإنّ معنى ما ورد من الحب له الإطاعة بالإئتمار بالأمر والانتهاء عن النهي تجوزاً كقوله تعالى: "قل إنْ كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله": آل عمران – ٣١.))[٢] .

فيصرح صاحب الميزان أنّ الحب مجازاً في القول إذ قال : ((والآية حُجة عليهم فإنّ قوله تعالى: أشد حباً لله يدل على أنّ حبه تعالى يقبل الاشتداد، وهو في المؤمنين أشد منه في المتخذين لله أنداداً، ولو كان المراد بالحب هو الإطاعة مجازاً كان المعنى والذين آمنوا أطوع لله ولم يستقم معنى التفضيل ؛ لأنّ طاعة غيرهم ليست بطاعة عند الله سبحانه فالمراد بالحب معناه الحقيقي ، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: "قل إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم – إلى قوله – أحب إليكم من الله ورسوله": التوبة – ٢٥، فإنّه ظاهر في أنّ الحب المتعلق بالله والحب المتعلق برسوله والحب المتعلق بالآباء والأبناء والأموال وغيرها جميعاً من سنخ واحد لمكان قوله أحب إليكم، وأفعل التفضيل يقتضي اشتراك المفضل والمفضل عليه في أصل المعنى واختلافهما من حيث الزيادة والنقصان))[٣] .

وعند متابعة صاحب الميزان نجد أنّه يرى وفي مواضع عديدة أنّ اللفظ لا بد أنْ يُحمل على المجاز دون الحقيقة ، ومنه المجاز العقلي والذي يبرز الحِجاج فيه بالإسناد غير الحقيقي ويدرك

---

(١) ينظر : مفتاح العلوم : ٤١٢ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ١/ ٣٣٨ .

(٣) المصدر نفسه : ١/ ٣٣٨ .

بالعقل ، ويُراد به : ((إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي))[١] .

والمجاز العقلي ينبغي أنْ يتوافر فيه ركنان أساسيان هما: القرينة الدالة على أنّ في الجملة مجازاً والعلاقة التي تسوغ ذلك المجاز في العقل والذوق[٢]، فقد يطلق صاحب الميزان هذه التسمية على هذا اللون من المجاز صراحة زيادة على أنّه يكشف عن العلاقات التي يمكن أنْ تستفاد منه، ومنها المكانية والزمانية والسببية وغيرها، ففي قوله تعالى : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼفاطر: ٩ .

فيُلحظ أنّه استند في ذلك إلى اللغة، فالفعل (أحيا) الذي وقع فيه الفعل أي مجازاً عقلياً مكانياً، واللغة هي التي اقتضت أنْ تكون الحياة اسماً للصفة التي هي ضد الموت ؛ لأنّ طريق المجاز أنْ يجرى اسم الحياة على ما ليس بحياة تشبيهاً وتمثيلاً ، وهذا ما صرح به السيد الطباطبائي بقوله : (("فأحيينا به الأرض بعد موتها" وأنبتنا فيها نباتاً بعد ما لم تكن، ونسبة الإحياء إلى الأرض وإنْ كانت مجازية لكن نسبته إلى النبات حقيقية وأعمال النبات من التغذية والنمو وتوليد المثل وما يتعلق بذلك أعمال حيوية تنبعث من أصل الحياة، ولذلك شبه البعث وإحياء الأموات بعد موتهم بإحياء الأرض بعد موتها أي إنبات النبات بعد توقفه عن العمل وركوده في الشتاء فقال: "كذلك النشور" أي البعث فالنشور بسط الأموات يوم القيامة بعد إحيائهم وإخراجهم من القبور))[٣]، فالظاهر أنّ نسبة الإحياء إلى الأرض وهي في الحقيقة منسوبة إلى القول، فعلاقة هذا المجاز مكانية وإنْ لم يصرح بها.

وفي قوله تعالى: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼالنساء: ٦.

[١] أسرار البلاغة : ٤٢٥– ٤٢٦ .

[٢] ينظر : البلاغة والتطبيق : ٣٤٠ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ١٧ .

قال السيد الطباطبائي : ((الابتلاء الامتحان والمراد من بلوغ النكاح بلوغ أوانه ففيه مجاز عقلي))[١]، فهو يعتقد أنّ نسبة إسناد الفعل (بلغ) إلى النكاح ليست على الحقيقة ، إذ إنّ النكاح لا يبلغ وإنّما وصول اليتيم إلى زمن بلوغ النكاح هو الذي يحصل فهذه النسبة نسبة مجازية علاقتها الزمانية .

ويلتفت إلى لطيفة أخرى من لطائف المجاز العقلي في قوله تعالى : ﴿چ چ چ چ چ چ چ چ چ﴾ الأنبياء: ٩٥ .

إذ صرح السيد الطباطبائي بقوله : ((وأما قوله: "أنّهم لا يرجعون" وكان الظاهر أنْ يقال: إنّهم يرجعون فالحق أنّه مجاز عقلي وضع فيه نتيجة تعلق الفعل بشيء – أعني ما يؤول إليه حال المتعلق بعد تعلقه به – موضع نفس المتعلق فنتيجة تعلق الحرمة برجوعهم عدم الرجوع فوضعت هذه النتيجة موضع نفس الرجوع الذي هو متعلق الحرمة وفي هذا الصنع إفادة نفوذ الفعل كأنّ الرجوع يصير بمجرد تعلق الحرمة عدم رجوع من غير تخلل فصل))[٢] .

وأكد حجته بمواضع من الآيات إذ قال : ((ونظيره أيضا قوله: "ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك:" الأعراف: ١٢ حيث إنّ تعلق المنع بالسجدة يؤول إلى عدم السجدة فوضع عدم السجدة الذي هو النتيجة موضع نفس السجدة التي هي متعلق المنع ، ونظيره أيضا قوله: "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا:" الأنعام: ١٥١ حيث إنّ تعلق التحريم بالشرك ينتج عدم الشرك فوضع عدم الشرك الذي هو النتيجة مكان نفس الشرك الذي هو المتعلق))[٣] .

يُستشف من ذلك أنّ نتيجة تعلق الفعل أي ما يؤول إليه وضعت موضع الفعل نفسه، فالعلاقة هي المستقبلية، قال:(وأمّا قوله: ((أنّهم لا يرجعون)) وكان الظاهر أنْ يقال: أنّهم يرجعون فالحق أنّه مجاز عقلي وضع فيه نتيجة تعلق الفعل بشيء– أعني ما يؤول إليه حال المتعلق بعد تعلقه به– موضع نفس المتعلق فنتيجة تعلق الحرمة برجوعهم عدم الرجوع فوضعت هذه النتيجة موضع نفس الرجوع الذي هو متعلق الحرمة)[٤] .

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ٤ / ١٤٨ .
[٢] المصدر نفسه : ١٤ / ٢٦٥ .
[٣] المصدر نفسه : ١٤ / ٢٦٥ .
[٤] المصدر نفسه : ١٤ / ٢٦٥ – ٢٦٦ .

يتضح من كلام المفسر أنّ نتيجة الفعل وهي الرجوع قد وضعت موضع نفس المتعلق وهو حرمة الرجوع، وهذا المجاز ليس من إسناد الفعل بل من قبيل إسناد النتيجة ومتعلقاتها ببيان مصداقها الحقيقي ، وهذا ما يسمى بالمجاز العقلي بعلاقة سببية .

وانطلاقاً من هذا القول فالحِجاج العقلي ما أشار إليه صاحب الميزان يشكل سبيلاً مع المجاز إلى الإقناع الذي يؤدي وظيفة حِجاجية في تأدية المعنى المقصود بإيجاز ، والمظهر الخارجي الذي يُلحظ في هذين النصيين هي المبالغة البديعية التي تنتج أثراً رائعاً على نفسية المتلقي ممّا يجعله يقتنع بعد التأثر بجمالية القول وروعة المعنى[١] .

أما النوع الآخر من المجاز وما يسمى بالمجاز المرسل الذي يُراد به : ((اللفظ المستعمل في غير ما وضع له من معنى لوجود علاقة بين المعنى الموضوع له والمعنى المستعمل فيه ، ولقيام مناسبة مقتضية لذلك))[٢]، وسمي مرسلاً من الإرسال أي الإطلاق ؛ لأنّه لم يقيد بعلاقة واحدة وإنّما له علاقات كثيرة ، وهذا ما يكون ضمن حدود موضوع الحِجاج[٣]، وقد تطرق صاحب الميزان كثيراً لهذا النوع من المجاز في تفسيره مراد بذلك إثبات الحُجة وإقناع المتلقي بما يقوله من تفسير ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ﴾الأنعام: ٩٢ .

سُميت مكة بأم القرى تشريفاً لها ، وبياناً لمكانتها بين سائر الأماكن والكلام يدل على عناية إلهية بأم القرى وهي الحرم الإلهي[٤]، ويتجلى المجاز المرسل في قوله تعالى : (وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى) ، فقد أُطلق هذا اللفظ وأُريد به أهل المكان ، أي لتنذر أهل أم القرى ؛ لأنّ الديار والأبنية لا تُنذر ، وهذا ما أشار إليه السيد الطباطبائي تلويحاً بالمجاز المرسل بقوله : ((قوله: "ولتنذر أم القرى ومن حولها" فأم القرى هي مكة المشرفة، والمراد أهلها بدليل قوله: "ومن حولها" والمراد بما حولها سائر بلاد الأرض التي يحيط بها أو التي تجاورها كما قيل))[٥] .

---

[١] ينظر : الخطاب الحِجاجي في مختارات من أدب العلامة عبد الحميد بن باديس(رسالة ماجستير) : ٣١٧ .

[٢] تهذيب البلاغة : ٨٧ .

[٣] ينظر : بلاغة أساليب البيان في الآيات المتحدثة عن القرآن(بحث) : ٢٥٤ .

[٤] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٧ / ٢٣٨ .

[٥] المصدر نفسه : ٧ / ٢٣٨ .

وتكمن بلاغة هذا المجاز أنّ فيه دلالة على عظم هذا الإنذار ، كما أنّ فيه دلالة على عظم هذا الأمر الملقى على عاتق النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فكان المراد منه غاية الإنذار دون البشارة ليتلاءم ويتوافق مع حال المشركين ، كما أنّ حذف المنذر به يؤكد هذا المعنى ويعضده ، إلى جانب هذا المعنى ذكر الله سبحانه وتعالى موقف المؤمنين من هذا الكتاب الذي أنزله في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بالآخرة يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلى صلاتِهِمْ يحَافِظونَ) ، إذ قال صاحب الميزان : ((قوله تعالى: "والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون" إلخ، كأنّه تفريع لما عده الله سبحانه من أوصاف هذا الكتاب الذي أنزله أي لما كان هذا الكتاب الذي أنزلناه مباركاً ومصدقاً لما بين يديه نازلا لغاية إنذار أهل الأرض فالمؤمنون بالآخرة يؤمنون به ؛ لأنّه يدعو إلى أمن أخروي دائم و يحذرهم من عذاب خالد، ثم عرف تعالى هؤلاء المؤمنين بالآخرة بما هو من أخص صفات المؤمنين وهو أنهم على صلاتهم وهي عبادتهم التي يذكرون فيها ربهم يحافظون، وهذه هي الصفة التي ختم الله به صفات المؤمنين التي وصفهم بها في أول سورة المؤمنين إذ قال: "الذين هم على صلواتهم يحافظون": المؤمنون: ٩ ، كما بدأ بمعناها في أولها فقال "الذين هم في صلاتهم خاشعون": المؤمنون: ٢، وهذا هو الذي يؤيد أنّ المراد بالمحافظة في هذه الآية هو الخشوع في الصلاة وهو نحو تذلل وتأثر باطني عن العظمة الإلهية عند الانتصاب في مقام العبودية لكن المعروف من تفسيره أنّ المراد بالمحافظة على الصلاة المحافظة على وقتها))[١] .

وقد جاء الإخبار عنهم بصيغة المضارع (يؤمنون) دلالة على تجدد إيمانهم بالقرآن وباعث إيمانهم هو يوم الحساب والبعث، والقرآن الكريم هو النجاة الموصل إلى بَرّ الأمان في الدنيا والأخرة ، أمّا الكافر لا يخاف العاقبة المنتظَرة وسوء المصير ، ثم ذكر الله سبحانه وتعالى صفة أخرى للمؤمنين وذلك في قوله تعالى : (وَهُمْ عَلى صلاتِهِمْ يحَافِظونَ)، دلالة على عظم الصلاة ؛ لأنّها أشرف العبادات بعد الإيمان بالله تعالى، وقد جاءت لفظة (يحافظون) مضارعاً؛ لتجدد حدوث الفعل، وفيه ثناء ومدح للمؤمنين الذي يحافظون على إداء صلاتهم بأحسن وجه[٢] .

من هنا يتضح ما لهذا النوع من المجاز من تأثير بالغ ، وأثر جلي في استمالة المتلقي ، من خلال اعتماده على العلاقات المجازية كوسيلة حِجاجية تذعن المتلقي وتستفز شعوره وتؤثر فيه، فالمجاز ليس مجرد وسيلة ، بل هو مكون أساسي في بناء المعنى[٣] .

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ٧ / ٢٣٨ .

[٢] ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية : ٩٥ ، وبلاغة أساليب البيان في الآيات المتحدثة عن القرآن (بحث) : ٢٥٧ .

[٣] ينظر : تجليات الحِجاج في القرآن الكريم سورة يوسف – أنموذجاً– (رسالة ماجستير) : ١٤٠ .

ثانياً: التشبيه:

يُقصد به ((المماثلة بين شيئين في صفة أو أكثر))[١]، أي بمعنى أنّ الطرف الثاني يكون حُجة على الطرف الأول ، وهذا حِجاج على صحة المقدمة ، والتشبيه يقوم بوظيفة حِجاجية تكشف عن غرضه ، بما يعمله من تقريب صورة الموصوف إلى ذهن المتلقي[٢] .

لذا لم يعد التشبيه للحلية فقط ، بل له قيمة حِجاجية في تقريب المسافات بين المعاني المجردة والمعاني المحسوسة؛ ليجعل العقل يقبل العلاقات القائمة بين الأشياء، والمحاجج يلجأ إلى التشبيه بغية إيصال الحُجة إلى ذهن المتلقي[٣]، لـ ((يدرك المتلقي بالتشبيه مقاصد المتكلم الذي يحاول تثبيت حجته باستمالة المتلقي والتأثير به))[٤] .

ومن هنا نفهم أنّ التشبيه في القرآن الكريم يعدُّ عنصراً مهماً في دلالة الآية ، لما يحمل من شحنات دلالية توجه عناية المتلقي لرصد هذه العلائق وما تؤدي به من التحول من المستوى الذهني للدلالة إلى المستوى الحسي أو بالعكس[٥] ، وانسجاماً مع مكانة التشبيه البلاغية الحِجاجية يُلحظ أنّ السيد الطباطبائي قد وجه عنايته إلى هذا الأسلوب البياني بما يخدم الغرض الذي سعى إلى تحقيقه في تفسيره وهو إقناع المتلقي لمضامين حديثة .

ففي قوله تعالى : **ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ** المدثر:٤٩- ٥٣ .

يتضح من النص أنّ القوم في إعراضهم عن القرآن الكريم والتنفير عنه بهذه الصورة البيانية ما هو إلا بيان للمتلقي لما فيه من تشبيه بليغ أكد الرؤيا السماوية لهم أنّ هذا الفرار والإعراض لا يزيدهم إلا حسرة ، إذ صرح بذلك السيد الطباطبائي بقوله : ((قوله تعالى: "كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة" تشبيه لهم من حيث حالهم في الإعراض عن التذكرة، والحمر جمع حمار، والمراد الحمر الوحشية والاستنفار بمعنى النفرة والقسورة الأسد والصائد، وقد فسر بكل من المعنيين ، والمعنى: معرضين عن التذكرة كأنهم حمر وحشية نفرت من أسد أو من الصائد ، قوله تعالى: "بل يريد كل أمرئ منهم أنْ يؤتى صحفاً منشرة" المراد بالصحف المنشرة الكتاب السماوي المشتمل على

---

[١] تهذيب البلاغة : ٨٠ .

[٢] ينظر : من بلاغة القرآن : ١٤٥ .

[٣] ينظر : الحِجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) (أطروحة دكتوراه) : ١٠٢ .

[٤] الحِجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (رسالة ماجستير) : ٧٦ .

[٥] ينظر : البحث البلاغي في تفسير الميزان (أطروحة دكتوراه) : ٩٦ .

الدعوة الحقة ، وفي الكلام إضراب عما ذكر من إعراضهم، والمعنى ليس إعراضهم عن التذكرة لمجرد النفرة بل يريد كل أمرئ منهم أنْ ينزل عليه كتاب من عند الله مشتمل على ما تشتمل عليه دعوة القرآن))[١] .

إذن في هذا التشبيه أسرار بلاغية وحِجاجية تُلفت النظر ، إذ شبه القوم في إعراضهم بالحُمر من دون الحيوانات وهو إشارة إلى الجهل والغباء ، والسر الآخر أنّ تشبيه القوم بالحُمر في خفتها دلالة على موقف أولئك المعرضين عن القرآن الكريم ، فما إنْ سمعوا آيات الله إلا ونراهم يفرون منها في خفةٍ وطيشٍ[٢] .

ولصاحب الميزان وقفة حِجاجية مع هذا التشبيه ، يقول : ((قوله تعالى: "كلا بل لا يخافون الآخرة" ردع لهم بما يريدونه من نزول كتاب سماوي على كل واحد منهم فإنّ دعوة الرسالة مؤيدة بآيات بينة وحجج قاطعة لا تدع ريباً لمرتاب فالحُجة تامة قائمة على الرسول وغيره على حد سواء من غير حاجة إلى أنْ يؤتى كل واحد من الناس المدعوين صحفاً منشرة ، على أنّ الرسالة تحتاج من طهارة الذات وصلاحية النفس إلى ما يفقده نفوس سائر الناس كما هو مدلول جوابه تعالى في سورة الأنعام عن قولهم: "لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله" بقوله: "الله أعلم حيث يجعل رسالته"))[٣] .

وقد دل السياق على لفظة (قسورة) من غيرها من أسماء الأسد لما فيها من دلالات ما ليس في غيرها من الألفاظ من القسر والقهر والغلبة ، فضلاً عمّا فيها من الإيقاع والجرس القوي الخاص بها ممّا يزيد الهيبة والعظمة لتحل مكانته في القلوب[٤] ، وهذا تقريبٌ لصورة المشبه إلى ذهن المتلقي عن طريق التشبيه إذ كان أكثر وضوحاً وأظهر من غيره من الألفاظ .

ومنه قول النسوة لما رأين يوسف (عليه السلام) حيث شبهنه بواحد من الملائكة بطريقة الحصر تشبيهاً بليغاً مؤكداً ، وهذا من التشبيه المحسوس بالمستحيل كما في قوله تعالى : **چ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ** يوسف: ٣١ .

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٨٦ – ٨٧ .

[٢] ينظر : بلاغة أساليب البيان في الآيات المتحدثة عن القرآن (بحث) : ٢٥٣ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٨٧ .

[٤] ينظر : من بلاغة القرآن : ٢٠١ .

يُفهم من كلام النسوة لم يرينّ من البشر مثله فقد فوجئن به فغشيت قلوبهن غاشية الجمال، فنسين الفاكهة وقطعن أيديهن وتركن كل تجلد واصطبار، وقلن: "حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم"[١] .

وهذا التشبيه على ألسنة النسوة أكدْنَ به أنّ يوسف (عليه السلام) ما هو إلا ملك كريم من الملائكة تمثل في صورة البشر ، والمقصود إثبات الحسن العظيم له ؛ لأنّه لا حيّ أحسن من الملك ولا أقبح من الشيطان[٢] إذ احتج السيد الطباطبائي بذلك ببحثه الروائي بقوله : ((وتشبيه ثمرة الزقوم برؤوس الشياطين بعناية أنّ الأوهام العامية تصور الشيطان في أقبح صورة كما تصور الملك في أحسن صورة وأجملها قال تعالى: "ما هذا بشرا إنْ هذا إلا ملك كريم:" يوسف: – ٣١، وبذلك يندفع ما قيل: إنّ الشيء إنّما يشبه بما يعرف ولا معرفة لأحد برؤوس الشياطين))[٣] .

وعلّل صاحب الميزان ذلك التشبيه من قبل النسوة بقوله : ((وكلامهن هذا بعد قولهن ذاك إعذار منهن فمفاده أنّ الذي كنا نقوله قبل إنّما هو حق لو كان هذا بشراً وليس به وإنّما يذم الإنسان ويُعاب لو ابتلي بهوى بشر ومراودته وكان في وسعه أنْ يكتفي عنه بما يكافئه ويغني عنه، وأما الجمال الذي لا يعادله جمال، ويسلب كل حزم واختيار، فلا لوم على هواه ، ولا ذم في غرامه))[٤] .

علماً أنّ التشبيه في قول السيد الطباطبائي أعطى بُعداً مادياً ومعنوياً أي ظاهراً وباطناً لما يحمله النبي يوسف (عليه السلام) بقوله : ((وقوله: "ما هذا بشراً إنْ هذا إلا ملك كريم" نفي أنْ يكون يوسف (عليه السلام) بشراً وإثبات أنّه ملك كريم، وهذا بناء على ما يعتقده المليون ومنهم الوثنيون أنّ الملائكة موجودات شريفة هم مبادئ كل خير وسعادة في العالم منهم يترشح كل حياة وعلم وحسن وبهاء وسرور وسائر ما يتمنى ويؤمل من الأمور ففيهم كل جمال صوري ومعنوي، وإذا مثلوا تخيلوا في حسن لا يقدر بقدر، ويتصوره أصحاب الأصنام في صور إنسانية حسنة بهية ، ولعل هذا هو السبب في قولهن: "إنْ هذا إلا ملك كريم" حيث لم يصفنه بما يدل على حسن الوجه وجمال المنظر مع أنّ الذي فعل بهن ما فعل هو حسن وجهه واعتدال صورته بل سمينه

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٢٤ .

[٢] ينظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : ٢٥٥ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ١١٧ .

[٤] المصدر نفسه : ١١ / ١٢٤ .

ملكاً كريماً لتكون فيه إشارة إلى حسن صورته وسيرته معاً، وجمال خلقه وخلقه وظاهره وباطنه جميعاً))[1] .

وممّا يقوي الحِجاج في تشبيه النسوة أنّ المشبه به معروف ومسلم به من قبل الجميع فالإقناع بأنّ لا حيّ أحسن من الملك يؤدي بالإقناع إلى حسن يوسف (عليه السلام)، فجماله غير معهود في البشر ، وتشبيه يوسف (عليه السلام) بالملك لما فيه من الجمال والهيبة والوقار الذي أبهر النسوة ومن شاهده من البشر ، وهذا التشبيه يُعد من أهم طرق الاستدلال والمحاججة في سبيل الوصول إلى الإقناع فيُقدم الخبر مقروناً بالحُجة ليلقى قبولاً واستجابة من المتلقي ، فيدرك المقصود من إدراك العلاقة بين المشبه والمشبه به[2]، كون الصورة التي دلّ عليها التشبيه أكثر بياناً وأوضح دلالة وأدق أداءً من الكلمات التي تدل على المعنى المباشر دون استعمال التشبيه مباشرةً .

وفي قوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الرعد: ١٤ .

قال السيد الطباطبائي : ((ثم استثنى من عموم نفي الاستجابة صورة واحدة فقط وهي ما يشبه مورد المثل المضروب بقوله : (كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ)))[3].

ويُفهم من كلامه أنّه أراد التشبيه بمن يدعو غير الله سبحانه مثل هذا الباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه وليس له من الدعاء إلا صورته الخالية من المعنى واسمه من غير مسمى ؛ فهؤلاء المدعوون من دون الله لا يستجيبون للذين يدعونهم بشيء ولا يقضون حاجتهم إلاّ كما يستجاب لباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه ويقضي حاجته أي لا يحصل لهم إلاّ صورة الدّعاء كما لا يحصل لذلك الباسط إلا صورة الطلب ببسط الكفين ، ومن هنا يعلم أنّ هذا الاستثناء (إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ) ، لا ينتقض به عموم النفي في المستثنى منه ولا يتضمن إلا صورة الاستثناء ؛ فهو يفيد تقوية الحكم في جانب المستثنى منه فإنّ مفاده أنّ الّذين يدعون من دون الله لا يستجاب لهم إلا كما يستجاب لباسط كفيه إلى الماء ولن يستجاب له، وبعبارة أخرى لن ينالوا بدعائهم إلاّ أنْ لا ينالوا شيئاً ؛ أي لن ينالوا شيئاً ألبته ، وهذا من لطيف كلامه تعالى[4] .

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٢٧ .

[2] ينظر : تجليات الحِجاج في القرآن الكريم سورة يوسف – أنموذجاً– (رسالة ماجستير) : ١٤٥ .

[3] الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ٢٦١ .

[4] المصدر نفسه : ١١ / ٢٦١ – ٢٦٢ ، وينظر : البحث البلاغي في تفسير الميزان (أطروحة دكتوراه) : ١٠٥ – ١٠٦ .

يُستشف من تحليل السيد الطباطبائي للنص أنّه ركز منذ بدء كلامه على الغرض من مجيء هذا التشبيه وهو تقرير حال المشبه ، ولاسيما حين يكون المشبه أمراً معنوياً ، يحتاج إلى تقريب إلى ذهن المتلقي عن طريق المحسوسات ، ولذا ركز صاحب الميزان في تحليله لبيان هذا الأمر ، بأنّ هذا الاستثناء في (إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ) يفيد تقوية الحكم في جانب المستثنى منه ، مقابل الذين يدعون من دون الله فلا يستجاب لهم ؛ ولذا عبّر بقوله (صورته الخالية من المعنى) إشارة إلى عدم حصول الإجابة. فهذا التشبيه يستند إلى خبرة مألوفة لدى الناس جميعاً ؛ فتجربة تناول الماء بالكف المبسوط الذي ينساب الماء منه من أوّل اغترافه أمراً يفهمه كل من يسمع به ؛ لأنّه مثل محسوس مُعاش ، لذا يعدُّ هذا التشبيه بحسب تعبير الطباطبائي من لطيف كلام الله تعالى[١] ، وهذا ما يكون في شحذ ذهن المتلقي وتحريك طاقاته الفكرية حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد كالتشبيه الذي ورد في النص أعلاه .

ثالثاً : الاستعارة :

هناك نوعان من الاستعارة ، الأولى : الاستعارة الحِجاجية ، والأخرى : الاستعارة البديعية ، فالاستعارة الحِجاجية ، هي ((ادعاء معنى الاسم للشيء ، لا نقل الاسم عن الشيء))[٢]، بمعنى ((طريقة من طرائق إثبات المعنى وتأكيده ... وأنّ المعنى الذي نحصله من الاستعارة ليس هو المعنى الأصلي المزعوم وإنّما هو معنى جديد نبع من تفاعل كلا الطرفين اللذين يكوّنا الاستعارة))[٣] .

يُفهم من ذلك أنّها تؤدي وظيفة حِجاجية إقناعية من خلال الضغط على ذهن المتلقي للوصول للأهداف الحِجاجية ، وترتبط بالسياقات التخاطبية والتواصلية لتكون أداة تواصل وتخاطب[٤]، فالاستعارة الحِجاجية ليستْ حركة في الألفاظ، ولا مجرد زينة، وإنّما هي حركة في المعاني والدلالات ، وتجعل المعنى أكثر حيوية ، من هنا يتضح أنّ القول الاستعاري تجتمع له أوصاف ثلاثة هي[٥] :

---

[١] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١١/ ٢٦٢ .

[٢] دلائل الإعجاز في علم المعاني : ٤٣٧ .

[٣] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ٢٢٦ .

[٤] ينظر : الحِجاج في النص القرآني ، سور الحواميم أنموذجاً (رسالة ماجستير) : ١٠٣ .

[٥] ينظر : الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحِجاج (بحث) : ٦٣ ، وحِجاجية الاستعارة والمجاز : ١٦٦ .

١- إنّه تركيب خبري ، ٢- إنّه قابل للأخذ على جهة الحقيقة ٣- إنّه مشتمل على بنية تدليلية .

يُفهم من ذلك أنّ الاستعارة الحِجاجية تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي وهو ما يود المتكلم تحقيقه ، فهي تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، والنوع الأكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية[١].

ومن هنا يتبيّن لنا أهمية الوظيفة التي تؤديها الاستعارة في إثارة المتلقي ، لما تحويه من طاقة إيحائية وتصويرية في أداء المعنى ، وهذه الطاقة تستطيع تغيير حقيقة المشبه، وتخيل أنّه صار إلى غير جنسه[٢].

ويرى (طه عبد الرحمن) من خلال مقاربته التداولية أنّ ((القول الاستعاري قول حواري وحواريته صفة ذاتية فيه ، وأنّه قول حِجاجي وحِجاجيته من الصنف التفاعلي نخصه باسم التحاج وهو مرتبة ثالثة من الاستدلال بعد البرهان والحِجاج))[٣]، وهذا ما اعتقده (بيرلمان) في أبحاثه حول الاستعارة ، إذ عدها مقوماً حِجاجياً إقناعياً ، ويرى أنّ دراسة لمجموع الحِجاج لابد أنْ تأخذ بعين الاعتبار أنّ الاستعارة والتمثيل من عناصر الحُجة[٤] .

ويتضح ممّا تقدم أنّ الاستعارة تعد وسيلة مهمة من وسائل التأثير في المتلقي لما لها من قدرة على التصوير والتناسب من مقتضيات السياق، وهذا ما جعلها أداة بلاغية حِجاجية يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه، وهذا الدور الفعّال للاستعارة جعل البلاغيين الجدد يعتبرونها من أهمّ الوسائل الحِجاجية[٥]، ومن هذا المنطلق سنتعرف على هذا النوع من الاستعارة وأثره الحِجاجي عند عند السيد الطباطبائي ، في تفسيره الميزان .

---

[١] ينظر : اللغة والحِجاج : ١٠٨ .

[٢] ينظر : التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان : ١٨٤ .

[٣] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٣١٠ .

[٤] ينظر : حِجاجية الاستعارة والمجاز : ١٧١ .

[٥] ينظر : الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية : ٤٥٨ ، وتجليات الحِجاج في القرآن الكريم سورة يوسف – أنموذجاً– (رسالة ماجستير) : ١٤٩ .

والسيد الطباطبائي يصرح بالاستعارة مع قرينة توصله إلى ذلك من خلال السياق أو المعنى أو دلالة اللفظ، إذ قال: ((فالاستعارة كسائر المجازات لا تصح إلا مع قرينة))[١]، فيتضح من كلامه أنّه يعد الاستعارة أحد المجازات واعتماده القرينة السبب الرابط أو الدليل الواضح بين أصل اللفظ واستعارته، ويستوقف صاحب الميزان الموقف الذي يصف فيه القرآن ظهور الشيب في الرأس، ويرى أنه من احسن الاستعارات وهو يفسر قوله تعالى: **چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ چ**مريم: ٤ .

فقد اتخذ هذا المنهج في تفسيره للآيات القرآنية ويتحرى الآيات التي يعتقد أنّها خرجت عن معناها الحقيقي إلى معانٍ مستعارة ، إذ قال : ((الاشتعال انتشار شواظ النار ولهيبها في الشيء المحترق، وهو من احسن الاستعارات والمعنى اشتعل الشيب في الرأس وانتشر كما ينتشر شعاع النار))[٢] .

ويُلحظ أنّ انتشار الشيب نقل فكرة مفادها كبر السن ، وإظهار حالة الضعف ؛ لأنّ الاستعارة تعد وسيطاً لغوياً ينقل فكرة المنشئ إلى المتلقي للنص ، والفكرة هنا عدم رجوع الشباب بعد انتشار الشيب ، وجاء التوكيد بـ (أنّ) لبث الشكوى المباشرة من الوجدان المتألم إلى الله مباشرة بدون واسطة، فالاستعارة انتقلت بنا إلى إثبات مبدأ رباني متمثل باشتعال الرأس من خلال الملفوظ التصويري ، الموجه إلى نحو ذهن المتلقي تحثه على التفكير وإعمال العقل من خلال تفاعله مع هذا النوع من الاستعارة التي تُوصله لحقيقة التشبيه المتمثل بالقول الرباني، وتكمن القوة الاستدلالية في هذه الاستعارة في القول الاستعاري بتحويل عملية الشيب الذي يستلزم الإذعان والنظر في إثباته[٣] .

ولو تأملنا في عبارات السيد الطباطبائي نجده يطلق تسميه الاستعارة بالكناية[٤] بحسب قوله في تفسير قوله تعالى : **چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ چ**يس: ٣٧ .

ومن هنا فإنّ صاحب الميزان يتباين تحديده للفن البلاغي بين الاستعارة بالكناية ، إذ قال : ((ففي الكلام نوع من الاستعارة بالكناية))[١]، فيشير إلى أنّ الفعل (نسلخ) بمعنى الإخراج يحمل

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ١١٤ .

[٢] المصدر نفسه : ١٤ / ٧ .

[٣] ينظر : إشكالية القراءة والتأويل : ٢٠ ، وأسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي ، تنظير وتطبيق على السور المكية : ١٨٥ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٧٤ .

فضاء بصري مستمر ضمن آلية تعاقب الليل والنهار؛ لأنّ استعارة السلخ من الليل يؤدي إلى إظهار ما خفي تحته فالنور والظلمة أصل فجاء الفعل بهذه الصيغة ليظهر معالم الخفي ، كما أنّ الفعل يمارسونه في حياتهم اليومية من فصل الجلد عن الدابة ، إذ صرح بذلك السيد الطباطبائي بقوله :((ولا شك أنّ الآية تشير إلى مفاجأة الليل عقيب ذهاب النهار، والسلخ في الآية بمعنى الإخراج ولذلك عدي بمن ولو كان بمعنى النزع كما في قولنا: سلخت الإهاب عن الشاة تعين تعديه بعن دون من، ويؤيد ذلك أنه تعالى عبر في مواضع من كلامه عن ورود كل من الليل والنهار عقيب الآخر بإيلاجه فيه فقال في مواضع من كلامه: "يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل:" الحج: – ٦١ فإذا كان ورود النهار بعد الليل إيلاجاً للنهار في الليل اعتباراً كان مفاجأة الليل بعد النهار إخراجاً للنهار من الليل اعتباراً))[٢] .

فيُستشف من ذلك أنّ الاستعارة بهذه التسمية كان لها دور حِجاجي في الخطاب من خلال تنوع وظائفها داخل النص ، لتكون متكلفة في التأثير والإقناع ، وأنّ سبب اختيار السيد الطباطبائي هذا المعنى، هو الاستعمال المعجمي، والدلالات المطروحة لكلمة (السلخ) ، ومساعدة السياق لقبول هذه الدلالات، من دون أنْ يخلّ في تفسير الآية الكريمة[٣]، إذ كانت الاستعارة الحِجاجية هنا تناغي الروح والمشاعر من خلال الخطاب الموجه إلى النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، فأوحت بما في ذلك التعبير شمولية وامتداد زمنياً مستمراً وفضاء واسعاً ، فكانت الاستعارة دليلاً قوياً في إثبات الدعوى وحث الناس على النعم الإلهية المتمثلة في إحداث التغير الكوني وغيره[٤]

وهدفت الاستعارة إلى تأكيد المعنى الحِجاجي وإثباته عند المتلقي في قوله تعالى : ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼالأنعام: ١٢٢ .

فالاستعارة المكنية في لفظ (الموت ، والحياة ، والنور ، الظلمة) ، قامت بإثبات فعل حِجاجي يؤكد ثبات الصفة المشتركة بين طرفي الاستعارة لتأكيد المعنى ، فالإنسان قبل أن يمسه الهدى الإلهي كالميت المحروم من نعمة الحياة ، الذي لا حس له ولا حركة ، فإن آمن بربه إيماناً

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٧٤ .
[٢] المصدر نفسه : ١٧ / ٧٤ .
[٣] ينظر : أسرار البلاغة : ٥١ .
[٤] ينظر : الحِجاج في النص القرآني ، سور الحواميم أنموذجاً (رسالة ماجستير) : ١٠٨ .

يرتضيه كان كمن أحياه الله بعد موته ، وجعل له نوراً يدور معه حيث دار ، يبصره في شعاعه ، خيره من شره ، ونفعه من ضره ، فيأخذ ما ينفعه ويدع ما يضره وهكذا يسير في مسيرة الحياة، وأمّا الكافر فهو كمن وقع في ظلمات لا مخرج له منها ولا مناص له عنها ظلمة الموت وما بعد ذلك من ظلمات الجهل في مرحلة تمييز الخير من الشر والنافع من الضار[١] ، إذ صرح بذلك السيد الطباطبائي بقوله : ((ففي الكلام استعارة الموت للضلال ، واستعارة الحياة للإيمان أو الاهتداء ، والإحياء للهداية إلى الإيمان ، والنور للتبصر بالأعمال الصالحة ، والظلمة للجهل ... ليس إلا مبتنياً على عناية تخييلية واستعارة تمثيلية يمثل بها حقيقة المعنى المقصود))[٢] .

يُفهم من ذلك أنّ صاحب الميزان استطاع تمييز الاستعارة في هذه المواضع ، ففي استعارة الموت للضلال جرى تشبيه الكافر في عدم الانتفاع بما حوله ليتوصل به إلى الحق بحال الميت الذي لا يشعر بشيء ، فلا يجلب لنفسه نفعاً ، ولا يدفع عنها ضراً ، فكان دخول الاستعارة في المشتق من (الموت) أي (ميتاً) فهي أصلية تصريحية ، جاءت لوصف حالة الكافر الضال ، باستعارة محسوس لمعقول، وفي استعارة الحياة للهداية جرى تشبيه المهتدي في الانتفاع بما منحه الله سبحانه من نِعم جمّة ليتوصل إلى الحق بحال من أعاد الله سبحانه له الحياة بعد موت ، فهو يدرك ويبصر ويسمع ويميز الضار من النافع ، والخير من الشر، فكان دخول الاستعارة في المشتق من (الحياة) ، أي (أحيا) فهي تبعية تصريحية ، لجريانها في الفعل ، وهي أيضاً استعارة محس لمعقول[٣] .

فقامت الاستعارة بدور الحُجة للإقناع والتأثير في ذهن المتلقي للوصول به للإذعان إلى القدرة الإلهية في تغيير الواقع ؛ لتظهر القوة الحِجاجية في هذه الاستعارة من خلال إبرازها لشيء خفي معنوي وهو انتقال الإنسان من حال إلى حال وجريانه مجرى الحس[٤] .

ووظفتْ الاستعارة الحِجاجية مقصدية توصيل الخطاب بصورة مؤثرة ، كما في قوله تعالى : ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ النحل: ١١٢ .

---

[١] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٧ / ٢٨٦ .

[٢] المصدر نفسه : ٧ / ٢٨٦ .

[٣] ينظر : البحث البلاغي في تفسير الميزان (أطروحة دكتوراه) : ١١٥ .

[٤] ينظر : الحِجاج في النص القرآني ، سور الحواميم أنموذجاً (رسالة ماجستير) : ١٠٥ .

يُلحظ أنّ القول الاستعاري الحِجاجي أثر على القول الحقيقي ليكون الإحساس بالخطاب مقنعاً ومؤثراً بالنفس؛ لأنّ التذوق يتمّ بسرعة فائقة لشدة أثر الذوق في المتلقي[١]، وازدادت الدرجة الإقناعية باستعارة اللباس للجوع والخوف ولم يقل : طعم الجوع والخوف ؛ وذلك للشمول والتناسب في الفكرة ، وهذا ما ذهب إليه السيد الطباطبائي بقوله : ((والإذاقة استعارة للإيصال اليسير فإذاقة الجوع والخوف مشعر بأن الذي يوصلهما قادر على تضعيف ذلك وتكثيره بما لا يقدر بقدر كيف لا ؟ وهو الله الذي له القدرة كلها، ثم إضافة اللباس إلى الجوع والخوف وفيها دلالة على الشمول والإحاطة كما يشمل اللباس البدن، ويحيط به، تشعر بأنّ هذا المقدار اليسير من الجوع والخوف الذي أذاقهم شملهم كما يشمل اللباس بدن الإنسان وهو سبحانه قادر على أنْ يزيد على ذلك فهو المتناهي في قهره وغلبته وهم المتناهون في ذلتهم وهوانهم))[٢] .

والذي يظهر من كلام السيد الطباطبائي هو توليد حِجاجي للمتلقي بوساطة فكرة مركبة بطريق الإحساس المباشر لا عن طريق التحليل فقط ، ممّا يُزيد الإقناع عند المتلقي عن طريق الاستعارة ، لإحداث تغيير في المواقف ، فعبرت عن ذلك بالإذاقة ، ومن خلال ذلك يتضح أهمية الاستعارة في الكلام وحِجاجيتها في إبراز المعاني والكشف عنها وقيمتها في الإقناع والتأثير في المتلقي ، وهي لون من ألوان التصوير وأداة من الأدوات في التعبير ؛ ذلك أنّ كل استعارة حِجاجية هي استعارة جمالية ؛ لأنّ الحِجاج لا يكون عارياً من الجمال ، وبهذا عُدتْ من وسائل الحِجاج التي يمارس المتكلم من خلالها نوعاً من الضغط لإقناع المتلقي والتأثير فيه[٣] .

رابعاً : الكناية :

يُراد بها ((ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذِكر ما يلزمه ليتنقل من المذكور إلى المتروك))[٤] ، بمعنى تكوّن قاعدة منطقية اقرب إلى الاستدلال والبرهنة عن طريق الاستلزام (بين اللازم والملزوم)، ومنها يمكن ملاحظة القوة الحجاجية التي تتمتع بها الكناية فقوله (لينتقل من المذكور إلى المتروك)، عملية ذهنية خاصة بالمتلقي ، إذن هي مقومٌ خاصٌ بذاته ضمن علوم البيان[٥] .

---

[١] ينظر : أساليب البيان في القرآن : ٥٩٥ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ١٢ / ٢٩٦ .

[٣] ينظر : الِحِجاج في النص القرآني " سورة الأنبياء أنموذجاً " (رسالة ماجستير) : ١٢٣– ١٢٤ .

[٤] مفتاح العلوم : ٦٣٧، وينظر : تهذيب البلاغة : ٩٥ .

[٥] ينظر : من بلاغة النظم القرآني: ٣٠٣ .

وتكمن حِجاجية الكناية بأنّها : ((تجعل المتلقي يقوم بعملية ذهنية عقلية لإدراك العلاقة الدلالية التلازمية ما بين المعنى السطحي (المكنى به) والمعنى الخفي الذي يريد المحاج التوصل إليه (المكنى عنه)، ممّا يجعله يتوصل إلى الفكرة التي يريدها المحاج بنفسه وتوصل المتلقي إلى ما يريده المحاج يجعل تقبلها والإقتناع بها أقوى من التصريح))[١] .

فاستعمال الكناية في الحِجاج له دور مهم في إقناع المتلقي لتقبل الخطاب؛ لأنّ المتكلم يدرك أنّ القول الكنائي في بعض الأحيان أقوى تأثيراً من الحقيقة من أجل بلوغ غاية حِجاجية في تغيير زاوية النظر، فوظيفة الكناية صناعة الأفكار والمعاني التي تكتشف من النظم البليغ[٢]، ويبدو أنّ السيد الطباطبائي لم يبتعد عن هذا المعنى وهو يرى أنّه: ((لا يقصد في الكناية غير المكنى عنه كقولك : فلان كثير الرماد تريد أنّه سخي))[٣] ، أي أنّ معنى الكناية هو ترك ذكر الشيء واللجوء إلى ما من شانه أنْ يدلك على المعنى المقصود والدليل على ذلك ما ضربه من أمثلة، ففي قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭽ البقرة: ١٨٧ .

قال السيد الطباطبائي : ((الإحلال بمعنى الإجازة ، وأصله من الحلّ مقابل العقد، والرفث هو التصريح بما يكنى عنه ممّا يستقبح ذكره من الألفاظ التي لا تخلو عنها مباشرة النساء ، وقد كنى به ههنا عن عمل الجماع ، وهو من أدب القرآن الكريم وكذا سائر الألفاظ المستعملة فيه في القرآن كالمباشرة والدخول والمس واللمس والإتيان والقرب كلها ألفاظ مستعملة على طريق التكنية ، وكذا لفظ الوطء والجماع وغيرهما المستعملة في غير القرآن ألفاظ كنائيّة ، وإنْ أخرج كثرة الاستعمال بعضها من حدّ الكناية إلى التصريح ، كما أنّ ألفاظ الفرج والغائط بمعناها المعروف اليوم من هذا القبيل ، وتعدية الرّفث بـ الى لتضمينه معنى الإفضاء على ما قيل))[٤] .

يبدو من هذا التحليل لهذا الموضع أنّ صاحب الميزان وجد فيه فرصة سانحة ليستعرض الكنايات التي تدخل في عنوان ما يستقبح ذكره ، وتتمّ هذه التحليلات على إلمام السيد الطباطبائي وشمولية تحليله وتتبعه الدقيق ، ليجعل الصورة واضحة أمام القارئ من أول صفحات تفسيره[٥] ،

---

[١] الحِجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) (أطروحة دكتوراه) : ١١٧ .

[٢] ينظر : التداولية والحِجاج مداخل ونصوص : ٥١ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ٢٠٧ .

[٤] المصدر نفسه : ٢ / ٣٨ – ٣٩ .

[٥] ينظر : البحث البلاغي في تفسير الميزان (أطروحة دكتوراه) : ١٤٥ .

وهذا ما يراه في آية أخرى إذ استخدم القرآن الأسلوب نفسه في المخاطبة في قوله تعالى: ﭽ
ڻ ڻ ٹٹ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ھھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ﭼ
البقرة: ٢٢٢، إذ قال : ((قوله تعالى: (فأتوهن من حيث أمركم) أمر يفيد الجواز لوقوعه بعد الحظر، وهو كناية عن الأمر بالجماع على ما يليق بالقرآن الشريف ومن الأدب الإلهي البارع))[1]، فهو يرصد هنا الكنايات الواردة التي استخدمها القرآن ويرى أن ذلك ما يليق بالأدب الإلهي فقد صاغها القرآن بأسلوب مهذب فضلاً عن انه لا يخدش الحياء[2] .

فالصورة الكنائية هنا مؤدية إلى إقناع المخاطَب بتصوير دقيق وكامل للمعاني ، فقدمت صورة موحية ومهذبة ؛ وذلك للرغبة عن اللفظ الفاحش إلى ما يدل على معناه لذلك استعمل لفظاً آخر، فبذلك يكون القول أبلغ والحُجة أقوى في التدليل؛ لأنّ للكناية في تحصيل غرضها ((سبلاً استدلالية متنوعة تجر الغير إلى الإقتناع برأي المحاور وتوجيه سلوكه))[3] .

ومن الصور المؤدية إلى الحِجاج ، قوله تعالى : ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ
ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼيوسف: ٩ .

قال السيد الطباطبائي : ((وقوله: "يخل لكم وجه أبيكم" أي افعلوا به أحد الأمرين حتى يخلو لكم وجه أبيكم وهو كناية عن خلوص حبه لهم بارتفاع المانع الذي يجلب الحب والعطف إلى نفسه كأنّهم ويوسف إذا اجتمعوا وأباهم حال يوسف بينه وبينهم وصرف وجهه إلى نفسه فإذا ارتفع خلا وجه أبيهم لهم واختص حبه بهم وانحصر إقباله عليهم))[4] .

يُلحظ أنّ المراد من كلام صاحب الميزان بخلو وجه أبيهم إقبالهم عليهم واصطفاؤهم بالمحبة كناية عن خلوص محبته إليهم ، ولا يأتي هذا إلا بإقبال وجهه عليهم ، وهذا الإقبال بوجهه على أبنائه لازم لخلوص محبته إليهم وانشغاله بهم ، فيتوصل عن طريق اللازم وهو الإقبال بالوجه عليهم إلى اللزوم وهو خلوص المحبة[5]، فكانت ذريعتهم لقتل يوسف (عليه السلام) مقدمة تفضي إلى نتيجة واحدة هي توجيه يعقوب (عليه السلام) إليهم ، استعمل القرآن لفظة (وجه) للكناية عن

---

[1] المصدر نفسه : ٢ / ١٨٠ .

[2] ينظر : البحث البلاغي في تفسير الميزان (رسالة ماجستير) : ١٤٣ .

[3] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام : ٣٨ ، وينظر : خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم دراسة حِجاجية (رسالة ماجستير) : ١٤١ .

[4] الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ٨٢ .

[5] ينظر : الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف – عليه السلام – : ٩٤ .

الذات ؛ لأنّ الوجه تجتمع فيه حواسه التي هي وسائل اكتساب المعرفة ، من سمع ، وبصر، وشم، وذوق ، ونطق[١] ، ويمكن تمثيل الكناية الحِجاجية لهذا القول بما يأتي :

مقدمة : متمثلة بـ (اقتلوا يوسف) ، **ونتيجة متمثلة بـ** (يخلُ لكم وجه أبيكم) .

وإذا تأملنا هذه الآية في علاقتها في الآية التي قبلها **چ** ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ **چ** يوسف: ٨ ، ففي النص استئنافٌ بيانيٌ ؛ لأنّ الكلام المتقدم يثير المتلقي عن غرض القائلين ممّا قالوا ، وهذا الفن من صناعة الخطابة ، فإنّ حالة تأثر النفوس تُغني المتكلم كثيراً في بيان العلل ، إذن هذه الكناية تضمنت ولخصت حجج إخوة يوسف (عليه السلام) للإقتناع بقتل أخيهم يوسف (عليه السلام)[٢].

فالفهم الواسع للصورة الكنائية يجعلها تتجاوز الوظيفة التزينية إلى تحريك الخطاب والتأثير في المتلقي فأهميتها تكمن في ((طريقتها الخاصة في تقديم المعنى وتأثيرها في المتلقي))[٣] ، وهذا ما يُلحظ من خلال تقديم الله سبحانه وتعالى لقوله (يخلُ) فعلاً مضارعاً دلالة على التجدد والاستمرارية يتناسب مع دلالة الكناية ؛ لأنّ ((تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى ونتاجها أثبت وديمومتها أبقى))[٤] لقول أخوة يوسف (عليه السلام) ، فالبُعد الحِجاجي يُحيل عليه القول المضمر وهو أنّ يعقوب (عليه السلام) لا ينظر إليهم لسخطه عليهم) ، وهذا المعنى يأتي لإبراز الحُجة وتجلياتها لشدة انتباه المتلقي ، فيجعل منه بنية حِجاجية تربط الخطاب بالقصدية التي يسعى من خلالها المتكلم إلى إثبات ما يحمله من خطاب في ذهن متلقيه[٥] .

وتسهم الصورة الجمالية للبلاغة مع الحِجاج في تحقيق المقصد ، ويمكن ملاحظة ذلك في قوله تعالى : **چ** ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ **چ** المائدة: ٦٤.

قال السيد الطباطبائي : ((والجملة أعني قوله: "يداه مبسوطتان" كناية عن ثبوت القدرة، وهو شائع في الاستعمال، وإنّما قيل: "يداه" بصيغة التثنية مع كون اليهود إنّما أتوا في قولهم: "يد الله مغلولة" بصيغة الإفراد ليدل على كمال القدرة كما ربما يستفاد من نحو قوله تعالى: "قال يا إبليس

---

[١] ينظر: البحث البلاغي في تفسير الميزان (أطروحة دكتوراه) : ١٤٥ – ١٤٦ .

[٢] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ٨٠ – ٨٣ ، وتجليات الحِجاج في القرآن الكريم سورة يوسف – أنموذجاً– (رسالة ماجستير) : ١٣٧ .

[٣] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ٣٢٨ .

[٤] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٤٤٥ .

[٥] خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم دراسة حِجاجية (رسالة ماجستير) : ١٤١ – ١٤٢ .

ما منعك أنْ تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين": "ص – ٧٥" لما فيه من الإشعار أو الدلالة على إعمال كمال القدرة، ونحو قولهم: "لا يدين بها لك" فإنّ ذلك مبالغة في نفي كل قدرة ونعمة، وربما ذكروا لليد معاني مختلفة في اللغة غير الجارحة كالقدرة والقوة والنعمة والملك وغير ذلك، لكن الحق أنّ اللفظة موضوعة في الأصل للجارحة، وإنّما استعملت في غيرها من المعاني على نحو الاستعارة لكونها من الشئون المنتسبة إلى الجارحة نوعاً من الانتساب كانتساب الإنفاق والجود إلى اليد من حيث بسطها، وانتساب الملك إليها من حيث التصرف والوضع والرفع وغير ذلك))[١].

وقد يقصد صاحب الميزان من تحليله هذا أثر استعمال كناية كهذه في ترسيخ الدلالة المقصودة ، فكلما استعمل المتكلم التعبير بالأشياء المحسوسة كان أثبت للدلالة من التعبير بالمعقولات، فالتعبير عن البخل باليد المغلولة فيه تصوير محسوس وهذا يجعلها أرسخ في الذهن وأكثر تأكيداً؛ لأنّ ((الإحساسات التي يصح نعتها بالجمال على أتمّ وجه في الإحساسات البصرية ، ولما كان الجود والبخل معنويين لا يدركان بالحس وتلازمهما صورتان تدركان بالحس ، وهما بسط اليد للجود، وغلها للبخل، عبّر عنهما بلازمهما لفائدة الإيضاح والانتقال إلى المحسوسات من المعنويات))[٢] .

فالصورة الكنائية أعطت لبسط اليد وظيفة جديدة لتقريب الصورة إلى المتلقي وبيان مدى بشاعة اليهود وتجرئهم على الله[٣]، وبذلك فرضت الحُجة الكنائية ذاتها على أنّها أقوى الحجج في السياق[٤]، وهذا ما عمق الإقناع في الخطاب بوصفه تأثيراً يساند الكناية في عملية الحِجاج بالإشارة إلى واقع اليهود وكفرهم بالله تعالى وإعراضهم عنه ، لذلك يبقى الجزء الضمني من الصورة الكنائية يمثل بؤرة الحِجاج ؛ لأنّ بقاؤه ((ضمنياً مخفياً يدعو المتلقي إلى إماطة اللثام عنه انطلاقاً من عناصر الصورة))[٥] .

ومن خلال ما تقدم تظهر أهمية الكناية في الكلام وحِجاجيتها وفضلها في إبراز المعاني والأفكار ، وقيمتها البلاغية في الحِجاج ، فالكناية ليستْ حركة في الألفاظ فقط ، وإنّما يتخذها المتكلم طريقة من طرائق الإثبات والإقناع لدي المتلقي .

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ٦ / ٢٨ – ٢٩ .

[٢] إعراب القرآن وبيانه : ٢ / ٥١٩ .

[٣] خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم دراسة حِجاجية (رسالة ماجستير) : ١٤٤ .

[٤] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٥٠٠ .

[٥] الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : ٥٥٥ .

خامساً : التمثيل :

ويُراد به : ((طريقة حِجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة* المُستهلك ، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائماً، وإنّما يرتبط بتشابه العلاقة بين الأشياء ما كان أنْ تكون مترابطة أبداً...))[١]، وثمة فرق بينه وبين المثل، فالمثل : ((قول موجز مشهور ، له مورد ومضرب يُردد فيه، والتمثيل: لا يشترط فيه الإيجاز ولا الشهرة ، وليس له مضرب يُذكر فيه، وإنْ كان له مورد))[٢]، وجعله (طه عبد الحمن) من الأدوات الحِجاجية إذ قال : ((لا أحد ينازع أنّ آليات التمثيل من أوسع الطرق الاستدلالية استعمالاً ومن أشدها تأثيراً في الخطابات الإنسانية))[٣].

ويعد الحِجاج التمثيلي هو الأنسب للخطاب اللغوي وللمتلقي إذ أفرد له الجرجاني باباً مبيناً قوته في الاستدلال في مجال النقاش، ولذلك وصفه بقوله : ((إنْ كان حِجاجاً كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر))[٤] .

ويولي (بيرلمان) هذه التقنية أهمية بالغة ؛ لأنّها تضطلع بمهام كبيرة في الإقناع ((إنّ تقنية التمثيل وفاعليته الإقناعية في الخطاب الحِجاجي كانت مناط تركيز وبحث موسع من قبل (بيرلمان) وغيره ممن كتب في الحِجاج ، إذ هي عمدة في كثير من المحاجات من جهة ، وذات قوة إقناعية كبيرة من جهة ثانية))[٥]، فيرتبط التمثيل في الدرس البلاغي الحِجاجي بقدرته على التأثير في المتلقي إلى حدّ الإقناع لما له من ((قدرة على إثارة الخيال وإحداث تأثير المفاجأة ، فهو وسيلة التي تحمل على الإقتناع))[٦].

وتقوم آلية عمل التمثيل في النص الحِجاجي بعقد صلة بين صورتين يتمكن من خلال اجتماعهما ببيان حجته؛ لأنّ قيمة التمثيل تعتمد على هذا الاجتماع ومدى تأثيره في النفس التي تميل إلى الإقناع بالصورة التمثيلية الواقعية[٧] .

---

[١] عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لأليات التواصل والحِجاج أفريقيا الشرق: ٩٧.

* التشبيه : يكون في المحسوسات والصور المألوفة ، والتمثيل : يمتاز بالوعد الخيالي والغرابة ، ينظر : أسرار البلاغة : ٧٠ .

[٢] حِجاج التمثيل في الآداب السلطانية ، مقاربة تداولية : ١٠٨ .

[٣] تجديد المنهج في تقويم التراث : ١٧٤– ١٧٥ .

[٤] أسرار البلاغة : ١١٥ .

[٥] البلاغة والاتصال: ١٢٢ .

[٦] الحِجاج في التواصل : ١٢٦ .

[٧] ينظر : الحِجاج في النص القرآني ، سور الحواميم أنموذجاً (رسالة ماجستير) : ١٢٤ .

وقد استعمل النص القرآني التمثيل كأداة للتأثير والإقناع من خلال إقامة الحُجة، فالسيد الطباطبائي يحرص على توظيفه بصورة أقرب إلى الحقيقية لفرز الحجج التي تقدم تمثيلاً عن قضية معينة ، وقد أشار إلى مسألة التمثيل بأكثر من مرة ، ومنه قوله: ((إنّ المراد بالكلمة الطيبة التي شبهت بشجرة طيبة من صفتها كذا وكذا هو الاعتقاد الحق الثابت فإنّه تعالى يقول بعد وهو كالنتيجة المأخوذة من التمثيل: "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة" الآية والقول هي الكلمة ولا كل كلمة بما هي لفظ بل بما هي معتمدة على اعتقاد وعزم يستقيم عليه الإنسان ولا يزيغ عنه عملاً))[1] .

والتمثيل عند صاحب الميزان يحقق أغراضاً متعددة ، ومعاني جلية تتضح عن طريق الإشارة إليها في مواضع تفسيره ، ومن هذه المعاني هي تأكيد الفكرة ، فمن خلال المقاربة بين الصورتين يستطيع المُدعي من تقديم حججه في العملية الاحتجاجية ، كما في قوله تعالى: ﭽ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ﭼ العنكبوت: ٤٨ .

فقد رسم التمثيل هنا صورة حسية لشي مادي حُصن من جميع الجهات ألا وهو كتاب الله بحيث يصعب على أي شيء مهما كان الاقتراب منه أو اختراق هذه التحصينات ، فالمتأمل في هذا التمثيل يصل لصورة شيء مهم جداً وهو أنّ التمثيل وكأنّه بصورة حية ممّا اعتاد المتلقي على معاينتها في حياته اليومية من خلال حرصه على الأشياء الثمينة لديه ، ليقنعه بأنّ هذا القرآن ثمين جداً وإنّ الله حريص على حفظه واستعمل القرآن عبارة (إِذاً لارْتَاب الْمُبْطِلُونَ)، إذ أشار السيد الطباطبائي إلى ذلك بقوله : ((وتقييد قوله: "ولا تخطه" بقوله: "بيمينك" نوع من التمثيل يفيد التأكيد كقول القائل: رأيته بعيني وسمعته بأذني))[2] .

يُفهم من ذلك أنّ الغاية الحِجاجية للتمثيل تكمن في إقناع المتلقي بأنّ القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى وحده، ومحفوظ من الزيادة والنقصان، فوقع الاستدلال بوساطة الملفوظ التصويري للتمثيل الذي يصعب إبطاله .

وقد يكون التمثيل تعليلاً للفكرة ، كما في قوله تعالى: ﭽ ٱ ب ب ب ﭼ فاطر: ١٩.

جاء التمثيل مشيراً إلى الجانب الحسي المقترن بالألفاظ ، وإنّ استحضار الأعمى والبصير جاء تثبيتاً للفكرة وهي عدم الاستواء والمساواة بينهما عرفاً وعقلاً ، ممّا أدى بالتمثيل إلى الفاعلية

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ١٢ / ٤١ .

[2] الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ١١٣ .

الإقناعية بوصفه مؤثراً في النفس من خلال سرعته في الرؤية التأويلية إذ حدد التمثيل عن طريق المقارنة بين الضدين ؛ لإقناع المتلقي بالفرق الواسع بين الاثنين ، وأنّ توظيف حاسة البصر لأهميتها في إدراك عمق الأشياء وعملية إزالة البصر يؤدي إلى طمس الحقائق ومعرفتها ، ومن هنا جاء التمثيل لتعميق التماثل بين الضدين[١]، لذا التمس السيد الطباطبائي ذلك بقوله : ((قوله تعالى: "وما يستوي الأعمى والبصير" الظاهر أنّه عطف على قوله: "وإلى الله المصير" تعليل في صورة التمثيل لعدم مساواة هؤلاء المتزكين لأولئك المكذبين، وقيل: عطف على قوله السابق: "وما يستوي البحران"))[٢] .

يُستشف من ذلك أنّ بيان حال الفريق الأول (المكذبين) مع مقارنته بالفريق الثاني (المتزكين) ، فورد التمثيل الفريق الأول بالأعمى والفريق الثاني بالبصير ، فالعلاقة القائمة بين الأعمى والبصير هي عدم الاستواء وتباينهما في الحال قد رفع من مستوى التأثير بعقد المماثلة بينما عن طريق الحواس ، ومن هنا تحولت الفكرة عن طريق التمثيل إلى شيء نشاهده ونراه وهذا ما يعطي وضوحاً للمعنى ويزيده إقناعاً لدى المتلقي للصورة[٣] .

وتناول التمثيل حال الكفار يوم القيامة في تصوير مشهد غائب لا نعلم طبيعته بمشهد آخر نعيشه كل يوم ، فقارب التمثيل بين صور الغائب الذي اختص الله بعلمه بمشهد حياتي ممّا كان له أثر في تقريب الصورة في ذهن المتلقي من باب المناسبة للقول ، كما في قوله تعالى : ﭽ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ﭼ آل عمران: ١٠٦ .

جاء التمثيل لحالهم المستقبلي من العذاب ونوعه من بياض الوجوه واسوادها يوم القيامة بما جاء من كفرهم وعنادهم بعدما تلبسوا بثوب الإيمان ، فإنّ التمثيل جعل من الغائب شاهداً محسوساً للتأثير في المتلقي وترهيبه من عصيان الله فأوقع الرهبة وخيبة الأمل في النفي ، إذ قال السيد الطباطبائي في ذلك : ((قوله تعالى: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه إلى آخر الآيتين، لما كان المقام مقام الكفر بالنعمة وهو نظير الخيانة ممّا يوجب خسة الانفعال والخجل ذكر سبحانه من بين أنواع عذاب الآخرة ما يناسبها بحسب التمثيل وهو سواد الوجه الذي يكنى به في الدنيا عن الانفعال والخجل ونحوهما كما يشعر أو يدل على ذلك قوله تعالى: فأمّا الذين اسودت وجوههم

---

[١] ينظر : أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي ، تنظير وتطبيق على السور المكية : ١٧٢ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٢٩ .

[٣] ينظر : أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي ، تنظير وتطبيق على السور المكية : ١٧٢ .

أ كفرتم بعد إيمانكم ، وكذا ذكر من ثواب الشاكرين لهذه النعمة ما يناسب الشكر وهو بياض الوجه المكنى به في الدنيا عن الارتضاء والرضا))[١] .

ولم يُهمل التمثيل الحقيقة والمشهد الختامي لحياة الإنسان فقال تعالى : (فَذُوقُوا الْعَذَاب بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) ، ذلك استدلال بإثبات حقيقة مكوث الإنسان بالعذاب في الآخرة ؛ لإقناعهم بأنّ الدنيا منتهية لا محالة وما هي إلا زمن وينتهي مقابل مكوثهم في عذاب الجحيم ، فحَمل التمثيل قوة ترهيبية حققتْ إثبات دعوة السماء وأنّ الآخرة هي دار الخلود، من خلال جلاء فكرة زوال هذه الدنيا بغية تأديبه وتحذيره بكوامن الأمور، إذ يُعني التمثيل بالاقتراب من المتلقي ومحاكاة يومياته للتأثير.

و ورد التمثيل في الاستعمال الحِجاجي لغرض بيان المضمون، كما في قوله تعالى : چ ئى ئد ى ي ي □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □،ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦچفاطر:١١- ١٢ .

إنّ التمثيل في النص اختزل سرعة الحدث بتتابع حرف العطف (الواو) بين الآيتين الذي دل على التعقيب، ومن الملاحظ ذكر تفاصيل البحرين يدل على اكتمال الصورة التي أراد رسمها للإنسان من بيان الأمور الخفية والخارجة عن إرادة الإنسان، وأنّ السياق استحضر الفعل المضارع (يستوي) للاستمرار والدوام من هذا الفعل؛ لكي يكون أكثر تأثيراً وتوجيهاً في النفس ، ولا سيما التمثيل ممّا يترك للعين مدة كافية للتأمل والاندهاش، وللنفس مدة كافية للتأثر وجلبها للإقناع[٢]، وهذا ما ووجهه السيد الطباطبائي بقوله : إذ قال : ((قوله تعالى: "والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير، وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون": الفاطر ١١– ١٢، وأنت ترى موقع الآية الثانية من الأولى، وأنّها بمنزلة التمثيل لبيان مضمون الآية وشرح اختلاف الناس في أنفسهم في عين اتحادهم في الإنسانية واشتراكهم في بعض المنافع والآثار))[٣] .

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ٣ / ٣٢٤ .

[٢] ينظر : التصوير الفني في القرآن : ١١٠ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ٨ / ٨٥ – ٨٦ .

يُفهم من ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى أراد بيان المضمون ، وهذا ما تبين عند صاحب الميزان من تمثيل ، وليكون التمثيل أقرب للاستشهاد التاريخي على هذه المواقف ، فالغاية الحِجاجية التي هدف التمثيل من تحقيقها هي الموعظة وبيان الحالة للمعاندين ، فالتمثيل نقل المعنى من الحالة المجردة إلى الحالة المحسوسة المألوفة لهم ليمدّ النص بطاقة حِجاجية إقناعية بتوظيفه التمثيل .

يُستشف من كل ذلك أنّ السيد الطباطبائي في التمثيل الحِجاجي الذي سار عليه في توضيح بعض المفاهيم لما فيها من حُجة بالغة ؛ لإقناع المتلقي فقد تناوله في مواضع عدّة، وهذه الرؤيا لديه تعطي أنّه ذو عقلية واسعة وشاملة ومحاججة في الوقت نفسه، وله القدرة والاستيعاب المعرفي في الطرح والتناول الذي يخدم الأطروحة وإيصالها بصورة بسيطة ومفصلة من غير عناء ، وهذه السمة كانت بارزة في منهجيته في كثير من النصوص القرآنية لاسيما التمثيل .

المبحث الثاني : الحِجاج البديعي :

ويُراد بعلم البديع أنّه ((العلم الذي يبحث فيه عن الصور المعنوية واللفظية التي تكسب الكلام قوةً ومجالاً))[١]، بمعنى ما يُعرف به تحسين الكلام وتطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة يضفي على الكلام روعة البيان وقوة تأثير بالخطاب ، وهو ضربان لفظي ومعنوي[٢] .

والبديع له دورٌ حِجاجي لا على سبيل زخرفة الخطاب ولكن بهدف الإقناع ، ويؤدي وظيفته الحِجاجية ، يقول صابر حباشة : ((إنّ محسناً لهو حِجاجي إذا كان استعماله ، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر ، ويبدو معتاداً علاقته بالحالة الجديدة المقترحة ، وعلى العكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطَب ، فإنّ المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة ، أي باعتباره محسن أسلوب ، ويعود ذلك إلى تقصيره على أداء دور الإقناع))[٣] .

---

[١] تهذيب البلاغة : ٩٩ .

[٢] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع : ٢٥٥ .

[٣] التداولية والحِجاج مداخل ونصوص : ٥١ .

لذا يُعد البديع من وحدات النص القابلة للاستعمال في سياقات مختلفة؛ ذلك أنّ للأشكال الصوتية والموسيقية دوراً في الإقناع النصي بوصفه نشاطاً يجري ويبحث ويكون قادراً على إنتاج دلالات أساسية في بناء حِجاجية النص لقدرتها على إقناع العقول والإذعان واستمالة النفوس[١] .

إذن هناك نوعان من المحسنات ، محسنات تزيينية زخرفة متعلقة بالأسلوب ، وأخرى حِجاجية متعلقة بالإقناع ، وما نلحظه في ذلك عند السيد الطباطبائي في تفسيره :

أولاً : المذهب الكلامي* :

ويُقصد به ((إثبات الدين بالبراهين العقلية ، أو احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحُجة عليه تقطع المعاند له فيه))[٢]، وعرض له الزركشي بقوله : ((إلجام الخصم بالحُجة))[٣] .

ومن خلال ما تقدم يمكن أنْ يكون المذهب الكلامي لون من ألوان الحِجاج يرمي إليه المتكلم إلى إقناع خصمه بالحُجة والبرهان، ومن وسائل المذهب الكلامي عند السيد الطباطبائي في تفسيره ما يُراد به إقناع المخاطَب والتأثير في موقفه وسلوكه ومن ذلك ما يأتي :

١- الإيهام وإثارة الذهن :

تحدث القرآن الكريم في كثير من المواضع عن عصمة الأنبياء ودورهم في تأدية الرسالة السماوية ، حتى جعل الله تعالى سورة مخصوصة بالأنبياء ، وجعل منزلتهم فوق منزلة المخلوقين ، فوردت بحقهم آيات كثيرة إلا أنّ بعض الآيات مورد خلاف بين المفسرين ؛ لأنّ ظاهرها يوحي بنفي العصمة عنهم وباطنها يحمل معنى آخر ، لذا كان المتشابه السبيل لحل هذا الخلاف ففي تفسير قوله تعالى : ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ الضحى: ٧ .

اختلف المفسرون في معنى الضلالة بقول السيد الطباطبائي ، إذ قال : ((أي لم أهتد بهدى الرسالة بعد ، ويقرب منه ما قيل: إنّ المراد بالضلال الذهاب من العلم كما في قوله: "أنْ تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى": البقرة: ٢٨٢، ويؤيده قوله: "وإنْ كنت من قبله لمن الغافلين":

---

[١] ينظر : الحِجاج في النص القرآني ، سور الحواميم أنموذجاً (رسالة ماجستير) : ٨٨ .

* المذهب الكلامي : وهو الباب الخامس الذي ختم به ابن المعتز أبواب البديع ، وهو النوع الثامن والعشرون من أنواع البديع عند أبي هلال العسكري "راجع ٣٩٨، ٣٩٩ الصناعتين (الكتابة والشعر) وراجع هذا الباب أيضًا في العمدة "٧٥/ ٢" منقول عن البديع ، وهو مذهب سماه الجاحظ المذهب الكلامي في استعمال أساليب الجدل والاحتجاج ، ينظر : البديع في البديع : ٣١ ، ٤٩ ، ٦١ .

[٢] البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم : ٧٦ .

[٣] البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٤٦٨ .

يوسف: ٣ ، وقيل المعنى وجدك ضالاً بين الناس لا يعرفون حقك فهداهم إليك ودلهم عليك ، وقيل: إنّه إشارة إلى ضلاله في طريق مكة حينما كانت تجيء به حليمة بنت أبي ذؤيب من البدو إلى جده عبد المطلب على ما روي ، وقيل: إشارة إلى ما روي من ضلاله في شعاب مكة صغيراً ، وقيل: إشارة إلى ما روي من ضلاله في مسيره إلى الشام مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة ، وقيل: غير ذلك وهي وجوه ضعيفة ظاهرة الضعف))[١] .

فوقف السيد الطباطبائي مدافعاً عن عصمة النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ونفي الضلالة عنه في تفسيره للنص مستشهداً بقول الإمام الرضا (عليه السلام)، إذ قال : ((وفي تفسير البرهان، عن ابن بابويه بإسناده عن ابن الجهم عن الرضا (عليه السلام) في مجلس المأمون قال: قال الله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): "ألم يجدك يتيماً فآوى" يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس؟ "ووجدك ضالاً" يعني عند قومك "فهدى" أيّ هداهم إلى معرفتك؟ "ووجدك عائلاً فأغنى" يقول: أغناك بأنْ جعل دعاءك مستجاباً؟ فقال المأمون: بارك الله فيك يا ابن رسول الله))[٢] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﭽ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ﭼ يوسف: ١٠٠، فسّر السيد الطباطبائي لفظة السجود الواردة في الآية على غير الحقيقة ؛ لأنّ السجود لا يصح لغير الله تعالى ، وأعطاها بُعد الاتجاه كالكعبة بقوله : ((والدليل على أنّها لم تكن منهم سجدة عبادة ليوسف أنّ بين هؤلاء الساجدين يعقوب (عليه السلام) وهو ممن نص القرآن الكريم على كونه مخلصاً – بالفتح – لله لا يشرك به شيئاً، ويوسف (عليه السلام) – وهو المسجود له – منهم بنص القرآن وهو القائل لصاحبيه في السجن: ما كان لنا أنْ نشرك بالله من شيء ولم يردعهم ، فليس إلا أنّهم إنّما أخذوا يوسف آية لله فاتخذوه قبلة في سجدتهم وعبدوا الله بها لا غير كالكعبة التي تؤخذ قبلة فيصلي إليها فيعبد بها الله دون الكعبة، ومن المعلوم أنّ الآية من حيث إنّها آية لا نفسية لها أصلاً فليس المعبود عندها إلا الله سبحانه وتعالى))[٣] .

وقد ردّ على من فسر السجود بمجموعة من الآراء ووجها بأنّها غير صحيحة إذ قال : ((ومن هنا يظهر أنّ ما ذكروه في توجيه الآية كقول بعضهم: إنّ تحية الناس يومئذ كانت هي السجدة كما أنّها في الإسلام السلام، وقول بعضهم: إنّ سنة العظيم كانت إذ ذاك السجدة ولم ينه عنها لغير

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٢٨٣ .

[٢] المصدر نفسه : ٢٠ / ٢٨٤ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ٢٠٣ .

الله بعد كما في الإسلام، وقول بعضهم: كان سجودهم كهيئة الركوع كما يفعله الأعاجم كل ذلك غير وجيه))[١] .

٢- التوجيه :

يُلحظ أنّ السيد الطباطبائي يُكثر من ذكر أراء المفسرين فيفيد من بعضها ، ويتعرض للبعض الآخر بالمناقشة والتحليل ممّا أدى ذلك إلى مخالفة جمهور المفسرين في ذلك ، إذ أفاد من قول اللغويين والمفسرين كما في قوله تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃالبقرة: ٢٢٨ .

إذ قال صاحب الميزان في توجيه لفظة القروء: ((والقروء جمع القرء، وهو لفظ يطلق على الطهر والحيض معا، فهو على ما قيل من الأضداد، غير أنّ الأصل في مادة قرء هو الجمع لكن لا كل جمع بل الجمع الذي يتلوه الصرف والتحويل ونحوه، وعلى هذا فالأظهر أنْ يكون معناه الطهر لكونه حالة جمع الدم ثم استعمل في الحيض لكونه حالة قذفه بعد الجمع، وبهذه العناية أطلق على الجمع بين الحروف للدلالة على معنى القراءة، وقد صرح أهل اللغة بكون معناه هو الجمع، ويشعر بأنّ الأصل في مادة قرء الجمع، قوله تعالى: "لا تحرك به لسانك لتعجل به إنْ علينا جمعه وقرأنه فإذا قرأناه فاتبع قرءانه": القيامة – ١٨، وقوله تعالى: "وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث:" بني إسرائيل – ١٠٦، حيث عبر تعالى في الآيتين بالقرآن، ولم يعبر بالكتاب أو الفرقان أو ما يشبههما، وبه سمي القرآن قرآنا ، قال الراغب في مفرداته: والقرء في الحقيقة اسم للدخول في الحيض عن طهر ولما كان اسماً جامعاً للأمرين: الطهر والحيض المتعقب له أطلق على كل واحد؛ لأنّ كل اسم موضوع لمعنيين معا يطلق على كل واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة للخوان والطعام، ثم قد يسمى كل واحد منهما بانفراده به، وليس القرء اسما للطهر مجردا ولا للحيض مجردا، بدليل أنّ الطاهر التي لم تر أثر الدم لا يقال لها: ذات قرء، وكذا الحائض التي استمر بها الدم لا يقال لها: ذلك))[٢] .

وعرّج على المسألة ببحثه الروائي بقوله : ((وفي تفسير العياشي،: في قوله تعالى: والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء،: عن زرارة، قال: سمعت ربيعة الرأي وهو يقول: إنّ من رأيي أنّ الأقراء التي سمى الله في القرآن إنّما هي الطهر فيما بين الحيضتين وليس بالحيض، قال فدخلت على أبي جعفر (عليه السلام) فحدثته بما قال ربيعة فقال: ولم يقل برأيه إنّما بلغه عن علي (عليه السلام) فقلت: أصلحك الله أ كان علي (عليه السلام) يقول ذلك؟ قال: نعم، كان يقول: إنّما القرء

---

[١] المصدر نفسه : ١١ / ٢٠٥ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ١٩٧ .

الطهر، تقرأ فيه الدم فتجمعه فإذا جاءت دفعته، قلت: أصلحك الله رجل طلق امرأته طاهراً من غير جماع بشهادة عدلين؟ قال: إذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للأزواج))[١] .

يُستشف من تلك الأقوال أنّ السيد الطباطبائي أولاً : يذهب إلى أنّ معنى القروء هو الطهر ، والثاني : قد أفاد من اللغويين والمفسرين لتأييد ما ذهب إليه بقوله[٢]، فتطرق إلى ذلك لبيان الحُجة وصحتها ؛ لأنّ الحكم الشرعي يؤخذ من دلالة اللفظ على الحكم ، فهو لم يركن إلى التفاسير المخالفة في هذه المسألة مستعيناً بالموروث اللغوي وثقافة العرب ، ومن هنا يظهر السيد الطباطبائي مفسراً يعتد برأيه إذا ما قُورن بالآخرين .

وما يتعرض لبعضها الآخر بالمناقشة والتحليل ممّا دعاه أنْ يخالف جمهور المفسرين، كما في قوله تعالى : ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼالنحل: ١١٦.

قال السيد الطباطبائي : (("ما" في قوله: "لما تصف مصدرية والكذب مفعول "تصف" أيّ لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام بسبب وصف ألسنتكم لغاية افتراء الكذب على الله ، وكون الخطاب في الآيات للمؤمنين – على ما يؤيده سياقها كما مر – أو لعامة الناس يؤيد أنْ يكون المراد بقوله: "ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام" النهي عن الابتداع بإدخال حلال أو حرام في الأحكام الجارية في المجتمع المعمولة بينهم من دون أنْ ينزل به الوحي فإنّ ذلك من إدخال ما ليس من الدين في الدين وافتراء على الله وإنْ لم ينسبه واضعه إليه تعالى ، وذلك أنّ الدين في عُرِف القرآن هو سنة الحياة وقد تكرر منه سبحانه قوله: "يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً" أو ما يقرب منه، فالدين لله ومن زاد فيه شيئا فقد نسبه إليه تعالى افتراء عليه وإنْ سكت عن الإسناد أو نفى ذلك بلسانه ، وذكر الجمهور أنّ المراد بالآية النهي عمّا كان المشركون يحلونه كالميتة والدم وما أهل لغير الله به أو يحرمونه كالبحيرة والسائبة وغيرهما والسياق – كما مر –

---

[١] المصدر نفسه : ٢ / ٢١٤ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٢٤٨ (ابن عباس ، والنحاس) .

لا يؤيده ، ثم قال سبحانه في مقام تعليل النهي: "إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون" ثم بين حرمانهم من الفلاح بقوله: "متاع قليل ولهم عذاب أليم))[١] .

يُفهم من تفسير السيد الطباطبائي أنّ جمهور المفسرين ينصون على أنّ المراد بالنهي في الآية عمّا كان المشركون يحلونه كالميتة والدم وما أهل لغير الله به أو يحرمونه كالبحيرة والسائبة وغيرهما ، ولكن السياق يدل على أنّ الخطاب للمؤمنين أو لعامة الناس ، والخطاب للمؤمنين أقوى لما ورد قبلها في قوله تعالى: (إِن كُنتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ)، فالمؤمنون هم الذين يعبدون الله ، والمشركون يعبدون الأصنام من دون الله ، إذن المراد بالنهي عن الابتداع بإدخال حلال أو حرام في الأحكام الجارية في المجتمع من دون أن ينزل به الوحي فإن في ذلك افتراء على الله[٢] .

ثانياً : الالتفات :

ويُقصد به : ((العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول))[٣]، ويُعد الالتفات من فنون البلاغة ملاكهُ الذوق السليم والوجدان الصادق، وأقرب تعريفات الالتفات للدرس الحِجاجي ما قاله أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ، هو : ((الالتفات على ضربين ؛ فواحد أنْ يفزع المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنّه يريد أنْ يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به ، والضرب الآخر : أنْ يكون الشاعر آخذاً في المعنى وكأنّه يعترضه شك أو ظن أنْ راداً يرد قوله أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً إلى ما قدمه ، فإمّا أنْ يؤكده أو يذكر سببه أو يُزيل الشك منه))[٤].

وأهتمّ (بيرلمان) بالالتفات وربطه بالحِجاج بمستوى الضمائر والزمان؛ لتعزيز الموضوع في ذهن المتلقي من خلال التنوع في الضمائر، وأزمنة الأفعال في الخطاب من أجل أنْ يتفاعل المتلقي

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٢ / ٢٩٨ – ٢٩٩ .

[٢] ينظر : الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان : ١١٧ – ١١٨ .

[٣] الطراز المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢ / ١٣ .

[٤] الصناعتين (الكتابة والشعر) : ٤٩٢ .

معه[1]؛ لأنّ الالتفات الحِجاجي ((يقوم على مقتضيات الخطي والانحراف عن الأنماط المعتادة وهو خاصية تعبيرية ذات طاقات إيحائية يُبنى على الانزياح عن النسق اللغوي المألوف فهو ظاهرة أسلوبية تعتمد على انتهاك النسق اللغوي وتجاوزه معتمداً على الانزياح))[2] .

وللالتفات وظائف حِجاجية في النص القرآني منها تقوية الحضور، وعدّ الشيء مدار الالتفات كأنّه قد تحقق ، والتشنج على الخصوم[3] ، وقد أشار السيد الطباطبائي إلى أسلوب الالتفات ويرى أنّ مجيئه في بعض نصوص يكون لغرض حِجاجي كما في قوله تعالى : ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﭼالبقرة: ٩٧ .

إذ قال : ((واعلم أنّ هذه الآيات في أواخرها، أنواع الالتفات وإنْ كان الأساس فيها الخطاب لبني إسرائيل، غير أنّ الخطاب إذا كان خطاب لوم وتوبيخ وطال الكلام صار المقام مقام استملال للحديث مع المخاطب واستحقار لشأنه فكان من الحري للمتكلم البليغ الإعراض عن المخاطبة تارة بعد أخرى بالالتفات بعد الالتفات للدلالة على أنّه لا يرضى بخطابهم لرداءة سمعهم وخسة نفوسهم ولا يرضى بترك خطابهم إظهارا لحق القضاء عليهم))[4] .

ويتنوع الالتفات عند صاحب الميزان بين التفات في الضمائر والأزمنة على ما يأتي :

١ – الالتفات في نوع الضمير :

قد وقع هذا النوع من الالتفات في دائرة السيد الطباطبائي بكثرة في نصوصه لا يمكن الاستغناء عنها ؛ لأنّها تمثل نقطة ابتداء لموضوع الالتفات الحِجاجي الذي نروم دراسته في هذا المبحث وكمن ذلك بالالتفات أولاً : من الخطاب إلى الغيبة إذ يحقق هذا النمط من الالتفات غاية حِجاجية من خلال الاختصاص بفئة معينة فتحقق من المخاطب في (أزواجكم) إلى الغيبة في (عليهم) ، في قوله تعالى : ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ الزخرف:٧٠- ٧١ .

[1] ينظر : أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية : ١٨٩ .
[2] جماليات النص القرآني دراسة أسلوبية في المستوى التركيبي : ٢١ .
[3] ينظر : الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : ٤٥٧ .
[4] الميزان في تفسير القرآن : ١ / ١٩٣ .

إذ قال : ((وفي الالتفات إلى الغيبة في قوله: "يطاف عليهم" بين الخطابين "ادخلوا الجنة" و"أنتم فيها خالدون" تفخيم لإكرامهم وإنعامهم أنّ ذلك بحيث ينبغي أنْ يذكر لغيرهم ليزيد به اغتباطهم ويظهر به صدق ما وعدوا به))[١] .

يُفهم من ذلك أنْ تكون (يُطاف عليهم) لينقل الالتفات المتلقي في السياق الحِجاجي من مرتبة المخاطَب إلى مرتبة المخبَر لما فيه من علو لدرجتهم بقصد تعظيم شأن المخاطَب ، ما يحقق تفاعل المتلقي مع النص واستحضر الالتفات الحِجاجي صورة الموقف المستقبلي وتقريبه لذهن المتلقي لإقناعهم بعظم الجائزة التي تنتظره يوم القيامة[٢] .

وإذا تأملنا خصوصية الالتفات عند السيد الطباطبائي وجدنا نماذج تكمن فيها أغراض بلاغية حِجاجية ، ومن ذلك ما يكون للمبالغة كما في قوله تعالى : **ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ**يونس: ٢٢ .

قال السيد الطباطبائي : ((وفيها من عجيب الالتفات الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: "وجرين بهم بريح طيبة – إلى قوله – بغير الحق" ولعل النكتة فيه إرجاعهم إلى الغيبة وتوجيه الخطاب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصف أعجب جزء من هذه القصة الموصوفة له ليسمعه ويتعجب منه، ويكون فيه مع ذلك إعراض عن الأمر بمخاطبتهم لأنّهم لا يفقهون القول))[٣] .

يتضح من كلام صاحب الميزان أنّ الآية فيها بيان من الله سبحانه وتعالى بالنعم التي أعطاها لعباده ، ففي الآية التفات من الخطاب (حَتى إِذَا كُنتُمْ في الْفُلْكِ) إلى الغيبة في قوله (وَجَرَيْنَ بهِمْ) ، والالتفات هنا للإيذان بما لهم من سوء الحال الموجب للإعراض عنهم ، وتعزيزاً لما ورد من قول صاحب الميزان أنّ دلالة الالتفات هو المبالغة[٤] .

وقد أشار إلى أنْ يكون **الالتفات لغرض الإعراض** ، كما في قوله تعالى : **ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ**النحل: ١ .

---

[١] المصدر نفسه : ١٨ / ٩٩ .
[٢] ينظر : الحِجاج في النص القرآني ، سور الحواميم أنموذجاً (رسالة ماجستير) : ٩٣ .
[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٠ / ٢٩ .
[٤] ينظر : الكشاف : ٢ / ٢٣١ .

قال السيد الطباطبائي : ((وعلى هذا أيضاً يكون قوله: "سبحانه وتعالى عما يشركون" من قبيل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إشارة إلى أنّهم ينبغي أنْ يعرض عن مخاطبتهم ومشافهتهم لانحطاط أفهامهم لشركهم ولم يستعجلوا نزول الأمر إلا لشركهم استهزاء وسخرية))[١] .

وهنا يشير صاحب الميزان إلى أنّ أول آية من السورة تُبطل أوهام أُولئك بقول (أتى أمر الله فلا تستعجلوه)، وإنْ اعتقادهم أنّ الأصنام شافعة لكم عند الله فقد أخطأتم الظن (سبحانه وتعالى عمّا يشركون)، فـ «أمر الله» هنا: أمر العذاب للمشركين، أمّا الفعل (أتى) فالمراد منه المستقبل الحتمي الوقوع على الرغم من وقوعه بصيغة الماضي، ومثل هذا كثير في الأسلوب البلاغي للقرآن[٢].

كما يؤدي الالتفات وظيفة حِجاجية مدارها التوبيخ والإهانة ، كما في قوله تعالى : ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ الجاثية: ٣٥ .

قال السيد الطباطبائي : ((وقوله: "فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون" صرف الخطاب عنهم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويتضمن الكلام خلاصة القول فيما يصيبهم من العذاب يومئذ وهو الخلود في النار و عدم قبول العذر منهم))[٣].

يُستشف من كلام صاحب الميزان أنّه قد عدل عن الخطاب في (اتخَذْتمْ) إلى ياء الغيبة في (يخْرَجُونَ) وكان حقها (تخرجون) ، وتبرز قيمتها الحِجاجية في الإعراض عنهم بعد توبيخهم وتأنيبهم وصرف بقية الإخبار إلى مخاطَب آخر وهو النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) للمبالغة في توبيخ الكفار[٤] .

وقد أورد سبحانه وتعالى في القول (لولا) التحضيضية لما فيها من تشديد التوبيخ وتأكيده على الخاطئين في إعراض المؤمنين وكان حرياً بالمؤمنين أنْ لا يخوضوا في مثل هذا كما في قوله تعالى : ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ النور: ١٢.

قال السيد الطباطبائي : ((وقوله: "ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم" من وضع الظاهر موضع المضمر، والأصل "ظننتم بأنفسكم" والوجه في تبديل الضمير وصفاً الدلالة على علة الحكم فإنّ صفة الإيمان رادعة بالطبع تردع المتلبس بها عن الفحشاء والمنكر في القول والفعل فعلى

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٢ / ١٦٦ .

[٢] ينظر : أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية : ١٩٣ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ١٤٩ .

[٤] المصدر نفسه : ١٨ / ١٤٩ .

المتلبس بها أنْ يظن على المتلبسين بها خيراً، وأنْ يجتنب القول فيهم بغير علم فإنّهم جميعاً كنفس واحدة في التلبس بالإيمان ولوازمه وآثاره فالمعنى: ولولا إذ سمعتم الإفك ظننتم بمن رمي به خيراً فإنّكم جميعاً مؤمنون بعضكم من بعض والمرمي به من أنفسكم وعلى المؤمن أنْ يظن بالمؤمن خيراً ولا يصفه بما لا علم له به))[1] .

يتضح من كلام صاحب الميزان أنّ الله سبحانه أورد هذه القصة بأعذب كلام العرب وأبلغه وأدله على المرام بأسلوب الالتفات من الخطاب في قوله (لَّوْلا إِذْ سمِعْتُمُوهُ) إلى الغيبة في قوله (ظنّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَات) تلوين للخطاب بصفة حِجاجية وصرفه عن النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) واتباعه بطريقة الالتفات وكل هذا القصد ما دل عليه ونبه إليه في معرض كلامه بأسلوبه الحِجاجي[2] .

وتحقق الالتفات بالضمير من الغيبة إلى الخطاب أيضاً ويؤدي هذا الالتفات أهداف حِجاجية تتمثل في حضور ذات الشخص ، وتقديم النصيحة مع الملاطفة في تقديمها ، والتوبيخ في مواقف محددة وإنكارها ، كما في قوله تعالى : ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الفاتحة:٢- ٧ .

يتضح في قوله تعالى : (إِيّاك نَعْبُدُ وَإِيّاك نَستَعِينُ) التفات من الغيبة إلى الخطاب ، فقد سلف أنْ افتتح المولى عز وجل السورة بخطاب الغيبة ثم عدل إلى الخطاب ، إذ قال صاحب الميزان : ((فقد بان بما مر من البيان في قوله إياك نعبد وإياك نستعين الآية الوجه في الالتفات من الغيبة إلى الحضور، والوجه في الحصر الذي يفيده تقديم المفعول، والوجه في إطلاق قوله: نعبد، والوجه في اختيار لفظ المتكلم مع الغير، والوجه في تعقيب الجملة الأولى بالثانية، والوجه في تشريك الجملتين في السياق))[3].

فهذا هو المقصد العام من الالتفات ، أمّا المقصد الخاص في هذا الشاهد فقد قال عنه : ((ثم إنّ الظاهر من السياق وبقرينة الالتفات الذي في قوله: "إياك نعبد" الآية أنّ السورة من كلام العبد،

---

[1] المصدر نفسه : ١٥ / ٧٤ .

[2] المصدر نفسه : ١٥ / ٧٤ .

[3] الميزان في تفسير القرآن: ١ / ٢٧ .

وأنّه سبحانه في هذه السورة يلقن عبده حمد نفسه وما ينبغي أنْ يتأدب به العبد عند نصب نفسه في مقام العبودية، وهو الذي يؤيده قوله: "الحمد لله"))[1] .

يُستشف من ذلك أنّ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب هو دعوة حِجاجية وتخصيص وتلوين للنظم من باب إلى باب جارٍ على نهج البلاغة؛ لإثارة المتلقي وإقناعه، واستجلاب النفوس واستمالة القلوب ، لما في السياق من النكت الدالة على أنّ تخصيص العبادة والاستعانة لله تعالى وحده ، بحيث تبدل خفاء الغيبة إلى الحضور ممّا استلزم استعمال صيغة الخطاب وهذا ما يقتضيه المقام[2] .

ومن الأمثلة ذلك الاعتناء بالمضمون كما في قوله تعالى : ﭽ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ، ک ک گ گگ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ﭼمريم:٧٠- ٧١ .

ذكر السيد الطباطبائي الالتفات بقوله : ((قوله تعالى: "وإنْ منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضيا" الخطاب للناس عامة مؤمنيهم وكافريهم بدليل قوله في الآية التالية: "ثم ننجي الذين اتقوا" والضمير في "واردها" للنار، وربما قيل: إنّ الخطاب للكفار المذكورين في الآيات الثلاث الماضية وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الحضور وفيه أنْ سياق الآية التالية يأبى ذلك))[3] .

فيتضح أنّ هناك التفات من الغيبة في قوله (هُمْ أَوْلى) إلى الخطاب في قوله (وإنْ منكم إلا واردها) وإنّ الغرض ههنا هو إظهار الحُجة ومزيد الاعتناء بمضمون الكلام فقال (وإنْ منكم)[4] .

وفي سياق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لتشديد التقريع ، كما في قوله تعالى : ﭽ ٻ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ﭼالنمل: ٩٠ .

أشار السيد الطباطبائي إلى ذلك بقوله : ((والالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله: هل تجزون إلخ، لتشديد التقريع والتأنيب))[5] .

يُفهم من ذلك أنّ في هذه الآية يبين الله سبحانه وتعالى مصير الذين اجترحوا السيئات أنّهم يكبكبون في نار جهنم على وجوههم جزاء بما كسبوا ، وتأتي هذه الحكاية بأسلوب حِجاجي بلاغي

---

(1) المصدر نفسه : ١ / ١٩ .
(2) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ١ / ٤٢ .
(3) الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ٧٢ .
(4) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٤ / ٥٧٥ .
(5) الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ٣٢٣ .

راقٍ إذ ينطوي على التفات من الغيبة في قوله (وُجُوهُهُمْ) إلى المخاطب في قوله (تجْزَوْنَ)، والقصد في ذلك هو إظهار الهيئة التي يُلقى فيها مقترفو السيئات في نار جهنم على الالتفات لتشديد التقريع والتأنيب[١] .

وورد الالتفات لأمن اللبس، كما في قوله تعالى : ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ الأنعام: ٦ .

إذ قال وهو يعتمد على سياق الآية في إيضاح معنى الالتفات الوارد بقوله : ((وفي قوله تعالى: "مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم" التفات من الغيبة إلى الحضور، والوجه فيه ظاهراً رفع اللبس من جهة مرجع الضمير فلولا الالتفات إلى الحضور في قوله: "ما لم نمكن لكم" أوهم السياق رجوعه إلى ما يرجع إليه الضمير في قوله: "مكناهم" وإلا فأصل السياق في مفتتح السورة للغيبة، وقد تقدم الكلام في الالتفات الواقع في قوله: "هو الذي خلقكم من طين"))[٢] .

وجاء الالتفات للمبالغة في الإلزام والتبكيت ، كما في قوله تعالى : ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ، ﭬ ﭭ ، ﭮ ﭯ ﭼ النبأ:٦- ٨ .

وقد التمس ذلك السيد الطباطبائي، إذ قال: ((قوله تعالى: (وخلقناكم أزواجاً) قيل: الالتفات فيه من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في الإلزام والتبكيت))[٣] .

كذلك وقع الالتفات بالانتقال من التكلم إلى الخطاب في قوله تعالى : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ يس: ٢٢ .

قال السيد الطباطبائي : ((شرع في استفراغ الحُجة على التوحيد ونفي الآلهة في آيتين واختار لذلك سياق التكلم وحده إلا في جملة اعترض بها في خلال الكلام وهي قوله: "وإليه ترجعون" وذلك بإجراء الحكم في نفسه بما أنّه إنسان أوجده الله وفطره حتى يجري في كل إنسان هو مثله والأفراد أمثال فقوله: "وما لي لا أعبد"))[٤].

يتضح من كلام صاحب الميزان أنّ الخطاب التفت من التكلم في قوله (وما لي لا أعبد الذي فطرني) إلى الخطاب في قوله (وإليه ترجعون)، لكي يخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه ،

---

[١] المصدر نفسه : ١٥ / ٣٢٣ .
[٢] الميزان في تفسير القرآن : ٧ / ١٦ .
[٣] المصدر نفسه : ٢/ ١٤٢ .
[٤] المصدر نفسه: ١٧ / ٦٤ .

وهو يريد نصح قومه ، تلطفاً وإعلاماً بأنّه يريده لنفسه ، ثم التفت إليهم ، لكونه في مقام تخويفهم ، ودعوتهم إلى الله ، وأيضاً فإنّ قومه ، لما أنكروا عليه عبادته لله أخرج الكلام معهم بحسب حالهم ، فاحتج عليهم بأنّه يقبح منه ألا يعبد فاطره ومبدعه ، ثم حذرهم بقوله : (وإليه ترجعون)[١].

وعلى هذا يكون صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم ؛ لأنّه أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة ، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ؛ إذ لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه ، وقد وضع قوله (وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) مكان قوله (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم) بدليل قوله(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ولولا أنّه قصد ذلك لقال (الذي فطرني وإليه أرجع)[٢].

ووجه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أَقبل المتكلم عليه وأَنّه أَعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة كقوله تعالى: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وإليه ترجعون)، الأصل: (وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ) وأيضًا فإنّ قومه لما أَنكروا عليه عبادته لله أخرج الكلام معهم بحسب حالهم فاحتج عليهم بأَنّه يقبح منه أنّه لا يعبد فاطره ومبدعه ثم حذرهم بقوله: (وإليه ترجعون)، فثمة مقتضى حِجاجي من النص تواصلية حضور المرجع الذي نرجع إليه ليؤدي دوراً إقناعياً يتلاءم مع عبادة الخالق[٣].

وجاء الالتفات بالتحول من الغيبة إلى التكلم ، وقد استعمل السيد الطباطبائي هذا اللون البلاغي كثيراً لما فيه من بالغية الحِجاج للمتلقي، ومنه قوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼالإسراء: ١.

فقد فسّر صاحب الميزان النص بقوله : ((وفي الآية التفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير في قوله: "باركنا حوله لنريه من آياتنا" ثم رجوع إلى الغيبة السابقة والوجه فيه الإشارة إلى أنّ الإسراء وما ترتب عليه من إراءة الآيات إنّما صدر عن ساحة العظمة والكبرياء وموطن العزة والجبروت فعملت فيه السلطنة العظمى وتجلى الله له بآياته الكبرى ولو قيل ليريه من آياته أو غير ذلك لفاتت النكتة))[٤] .

يُفهم من ذلك أنّ تنزيه الذات عن التشبيه والنظير صاغ هذا المعنى بأسلوب الالتفات من الغيبة في قوله (سبْحَانَ الّذِى أَسرَى بِعَبْدِهِ) إلى التكلم في قوله (لِنرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) ، والمعنى لينزه تنزيها من أسرى بعظمته وكبريائه وبالغ قدرته وسلطانه بعبده محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في جوف

---

[١] ينظر : الدر الرصين في تفسير سورة يس ، دراسة تحليلية موضوعية: ١٢٨ .

[٢] ينظر : قلب القرآن: ٧١ – ٧٢ .

[٣] ينظر : أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية : ٩٣ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٧ .

ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس الذي بارك حوله ليريه بعظمته وكبريائه آياته الكبرى وإنّما فعل به ذلك؛ لأنّه سميع بصير علم بما سمع من مقاله ورأى من حاله أنّه يستحق ذلك[١] .

وقوله تعالى الالتفات للعظمة الخالق : **ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭼ**طه: ٥٣ .

يصرح السيد الطباطبائي أنّ في ذلك التفات بقوله : ((وقوله: "فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى" فيه التفات من الغيبة إلى التكلم بالغير، قيل: والوجه فيه ما في هذا الصنع العجيب وإبداع الصور المتشتتة والأزواج المختلفة على ما فيها من تنوع الحياة من ماء واحد، من العظمة والصنع العظيم لا يصدر إلا من العظيم والعظماء يتكلمون عنهم وعن غيرهم من أعوانهم وقد ورد الالتفات في معنى إخراج النبات بالماء في مواضع من كلامه تعالى كقوله: "ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها": فاطر: ٢٧، وقوله: "وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة": النمل: ٦٠، وقوله: "وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء:" الأنعام: ٩٩))[٢].

وفي هذا التفات من الغيبة في قوله (وَأَنزَلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً) إلى التكلم في قوله (فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَجاً مِّن نّبَاتٍ شتى) ، نلحظ أنّه انتقل من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم لما في ذلك من حُجة من الافتنان والإيذان بأنّه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لإمره وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته، والقصد من ذلك هو للتنبيه على ظهور فيه من دلالة على كمال القدرة والحكمة والإيذان لعظمته[٣].

وفي قوله تعالى الالتفات للتوبيخ : **ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ**النمل: ٦٠.

إذ نوه إلى ذلك صاحب الميزان بقوله : ((وفي الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب بالنسبة إلى المشركين والنكتة فيه تشديد التوبيخ بتبديل الغيبة حضورا فإنّ مقام الآيات السابقة على هذه الآية

---

[١] ينظر : المصدر نفسه : ١٣ / ٧ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ١٣٩ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه : ١٤ / ١٣٩ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤ / ٦١٥ .

مقام التكلم ممن يخاطب أحد خواصه بحضرة من عبيده المتمردين المعرضين عن عبوديته يبث إليه الشكوى وهو يسمعهم حتى إذا تمت الحُجة وقامت البينة كما في قوله: "أالله خير أمّا يشركون" هاج به الوجد والأسف فتوجه إليهم بعد الإعراض فأخذ في حملهم على الإقرار بالحق بذكر آية بعد آية وإنكار شركهم وتوبيخهم عليه بعدولهم عنه إلى غيره وعدم علم أكثرهم وقلة تذكرهم مع تعاليه عن شركهم وعدم برهان منهم على ما يدعون))[1] .

وقد أشار السيد الطباطبائي إلى برهان وحُجة وحدانية الله سبحانه وتعالى من أبداع الكائنات فخلق السموات وما فيها والأرض وما فيها وأنزل بقدرته المطر من السحاب واخرج به الحدائق والبساتين والخضرة والمنظر الحسن ، وهذا لا يكون بمقدور واستطاعة البشر، وقد صاغ كل ذلك بأسلوب بلاغي حِجاجي ألا وهو الالتفات من الغيبة في قوله (أَمَّنْ خَلَقَ السمَوَاتِ وَالأَرْض وَأَنزَلَ لَكم مِّنَ السمَاءِ مَاءً) إلى التكلم في قوله (فَأَنبَتْنَا) بشيء من تناغم اللفظ ودقت العبارة لتأكيد اختصاص الفعل بذاته إلى الله سبحانه وتعالى والإيذان بأنّ إنبات تلك الحدائق المختلفة لا يقدر عليه المخلوق بل الخالق وحده رب العالمين[2] .

وقد يكون الالتفات لإظهار العناية كما في قوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الزخرف: ١١ .

إذ التفت السيد الطباطبائي إلى ذلك بقوله : ((قوله تعالى: "والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون" قيد تنزيل الماء بقدر للإشارة إلى أنّه عن إرادة وتدبير لا كيف اتفق والإنشار الإحياء، والميت مخفف الميت بالتشديد، وتوصيف البلدة به باعتبار أنّها مكان ؛ لأنّ البلدة أيضاً إنّما تتصف بالموت والحياة باعتبار أنّها مكان، والالتفات عن الغيبة إلى التكلم مع الغير في "أنشرنا" لإظهار العناية))[3] .

بمعنى مقدار ما تقتضيه مشيئته المبنية على المصلحة ، والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال العناية بأمر الإحياء ، والإشعار بعظم خطره ، وفي التعبير عن إخراج النبات بالإنشار الذي هو إحياء الموتى وعن إحيائهم بالإخراج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث لتقويم سنن

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ٣٠٤ .

[2] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ٣٠٤ ، وصفوة التفاسير: ٢ / ٤١٤ .

[3] الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٧٢ .

الاستدلال والحِجاج وتوضيح مناهج القياس ، مبرزاً في ذلك صورة الالتفات من الغيبة في قوله (وَالَّذِي نَزَّلَ) إلى التكلم في قوله (فَأَنشَرْنَا) واضعاً يده على القصد وهو العناية بأمر الإحياء والإشعار بعظمة الخطر(١).

ويلتمس الالتفات من التكلم إلى الغيبة أيضاً ، فقد تناول هذا النوع السيد الطباطبائي بكثرة ، ومنه قوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼالبقرة: ٢٥٣ .

ويبرِّز سبحانه وتعالى مزية رسول على رسول كما بيّن ذلك صاحب الميزان إذ أورده بشيء من الالتفات من التكلم بقوله (فَضلْنَا) إلى الغيبة بقوله (مِّنْهُم مّن كلّمَ اللّهُ) إذ قال : ((قوله تعالى: منهم من كلم الله و رفع بعضهم درجات، في الجملتين التفات من الحضور إلى الغيبة، والوجه فيه والله أعلم – أنّ الصفات الفاضلة على قسمين: منها ما هو بحسب نفس مدلول الاسم يدل على الفضيلة كالآيات البينات، وكالتأييد بروح القدس كما ذكر لعيسى (عليه السلام) فإنّ هذه الخصال بنفسها غالية سامية، ومنها: ما ليس كذلك، وإنّما يدل على الفضيلة ويستلزم المنقبة بواسطة الإضافة كالتكليم، فإنّه لا يعد في نفسه منقبة وفضيلة إلا أنْ يضاف إلى شيء فيكتسب منه البهاء والفضل كإضافته إلى الله عز اسمه، وكذا رفع الدرجات لا فضيلة فيه بنفسه إلا أنْ يقال: رفع الله الدرجات مثلا فينسب الرفع إلى الله، إذا عرفت هذا علمت: أنّ هذا هو الوجه في الالتفات من الحضور إلى الغيبة في اثنتين من الجمل الثلاث حيث قال تعالى: فمنهم من كلم الله و رفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات، فحول وجه الكلام من التكلم إلى الغيبة في الجملتين الأوليين حتى إذا استوفى الغرض عاد إلى وجه الكلام الأول وهو التكلم فقال تعالى: وآتينا عيسى بن مريم))(٢) .

وفي قوله تعالى : ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼالبقرة: ١٣١ .

(١) ينظر : المصدر نفسه : ١٨ / ٧١ – ٧٢ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٦/ ٨٠ .
(٢) الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ٢٦٤ – ٢٦٥ .

أشار السيد الطباطبائي إلى ذلك بقوله : ((وفي الكلام التفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: إذ قال له ربه أسلم، ولم يقل إذ قلنا له أسلم، والتفات آخر من الخطاب إلى الغيبة في المحكي من قول إبراهيم: قال أسلمت لرب العالمين، ولم يقل: قال أسلمت لك أما الأول، فالنكتة فيه الإشارة إلى أنّه كان سراً استسر به ربه إذ أسره إليه فيما خلى به معه فإنّ للسامع المخاطب اتصالا بالمتكلم فإذا غاب المتكلم عن صفة حضوره انقطع المخاطب عن مقامه وكان بينه وبيّن ما للمتكلم من الشأن والقصة ستر مضروب، فأفاد أنّ القصة من مسامرات ، الأنس وخصائص الخلوة ، وأمّا الثاني فلأن قوله تعالى: إذ قال له ربه، يفيد معنى الاختصاص باللطف والاسترسال في المسارة لكن أدب الحضور كان يقتضي من إبراهيم وهو عبد عليه طابع الذلة والتواضع أنْ لا يسترسل، ولا يعد نفسه مختصاً بكرامة القرب متشرفاً بحظيرة الأنس، بل يراها واحداً من العبيد الأذلاء المربوبين، فيسلم لرب يستكين إليه جميع العالمين فيقول: أسلمت لرب العالمين))[١] .

يتضح من كل ذلك أنّ صيغة الغَيْبة تحمل دائمًا هذا الشمول والاتساع الذي نفتقده في صيغة التكلّم أو الخطاب، ومن هنا كانت صيغة الغَيبة تتلاءم مع هذا التساؤل الذي يرمي إلى إخراج المعنى من إسار التحدّد أو من وحدة الجهة، وفجأة يكون التعبير بصيغة التكلم فنجد أنفسنا داخل دائرة محدّدة مغلقة، أو أمام جهة واحدة لا نرى فيها أي أثر للاحتمالات الأخرى التي كانت صيغة الغَيْبة تشير إليها، وهذا يعني أنّ الالتفات كما يراه السيد الطباطبائي يأتي مراعاةً لأحوال المتلقي النفسية، وتخليص الكلام من الرتابة التي تبعث على الملل في نفس السامع .

٢- الالتفات في نوع العدد :

شكلت هذه الظاهرة عند السيد الطباطبائي في تفسيره دوراً هاماً لا يمكن الاستغناء عنها ومنه الالتفات من الإفراد إلى الجمع ، ومنه قوله تعالى : **ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ** □ □ □ □ □ □ □ **ﭼ**فصلت: ٢٠، وقوله تعالى : **ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ**فصلت: ٢٢، وقوله تعالى : **ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ**الأحقاف: ٢٦.

يُلحظ من ذلك أنّه أُفرد السمع وجُمع الأبصار والأفئدة ، فتشكل نسق الالتفات في الانتقال من المفرد إلى الجمع ، إذ نوّه إلى ذلك صاحب الميزان بقوله : ((وقد تقدم في نظائر قوله: "سمعاً وأبصاراً وأفئدة" أنّ إفراد السمع – والمراد منه الجمع – لمكان مصدريته في الأصل نظير الضيف

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١ / ٢٥١ – ٢٥٢ .

والقربان والجنب، قال تعالى: "ضيف إبراهيم المكرمين": الذاريات: ٢٤ وقال: "إذ قربا قرباناً": المائدة: ٢٧، وقال: "وإنْ كنتم جنباً": المائدة: ٦.))[١] .

وتحمل هذه الظاهرة حِجاجاً ودلالةً تشير إلى توحد وسيلة الإدراك في حاسة السمع وتعددها في حاسة البصر واللمس ، فقد اثبت علماء التشريح أنّ مركز الحس السمعي في المخ يمده عصب دماغي واحد يسمى العصب الثامن[٢]، فظهر الالتفات قدرة الخالق وإبداع خلقه وما فيه من تحدٍ للبشر .

ووظف السيد الطباطبائي الالتفات في العدول عن الجمع إلى الإفراد في قوله تعالى : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛﭼ غافر: ٦٧، تحققت غاية حِجاجية بإفراد طفلاً ؛ لأنّه موضع تصغير لشأن الإنسان وتحقير لأمره[٣] وقد تلمس صاحب الميزان ذلك بقوله (("ثم يخرجكم" من بطون أمهاتكم "طفلا" أي أطفالاً، والطفل – كما قيل – يطلق على الواحد والجمع قال تعالى: "أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء:" النور: – ٣١))[٤]، وفي قوله تعالى : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الزخرف: ١٥، ففيه قوة توبيخية حِجاجية من خلال العدول عن الجمع في (وَجَعَلُوا) إلى الإفراد في (الإنسان) ، فشكل التفاتاً دل على استنكار زعم المشركين معرفة الله سبحانه وتعالى ومع هذا جعلوا له شركاء ، إذ اخذ صاحب الميزان ذلك بنظر الاعتبار بقوله : ((وإنّما عبر عن الولد بالجزء للإشارة إلى استحالة دعواهم، فإنّ جزئية شيء من شيء كيفما تصورت لا تتم إلا بتركب في ذلك الشيء والله سبحانه واحد من جميع الجهات ، وقد بانّ بما تقدم أنّ "من عباده" بيان لقوله: "جزء" ولا ضير في تقدم هذا النوع من البيان على المبين ولا في جمعية البيان وإفراد المبين))[٥] .

ويُلحظ أنّ السيد الطباطبائي تنبه إلى التفاتات متكررة في الآيتين مئتي وثمانية وعشرين ومئتي وتسعه وعشرين من سورة البقرة ومعللاً الوجه الحِجاجي والبلاغي من وراء ذلك بقوله : ((وفي

[١] المصدر نفسه : ١٨ / ١٧٦ .
[٢] ينظر : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : ١١٢ .
[٣] ينظر : المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٢ / ٢٦٧ .
[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٢٨٢ .
[٥] المصدر نفسه : ١٨ / ٧٤ .

الآية التفات عن خطاب الجمع في قوله: ولا يحل لكم، وقوله: فإنْ خفتم إلى خطاب المفرد في قوله: تلك حدود الله، ثم إلى الجمع في قوله: فلا تعتدوها، ثم إلى المفرد في قوله: فأولئك هم الظالمون، فيفيد تنشيط ذهن المخاطب وتنبيهه للتيقظ ورفع الكسل في الإصغاء))[١] .

وقد تمّ الالتفات من التثنية إلى الجمع في قوله تعالى: چﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ چالبقرة: ٢٢٩ .

وتكمن طاقة النص الحِجاجية في لفت انتباه المتلقي بهذا التحول المفاجئ في الآية في التأكيد على الدلالات والإخبار متضمناً التعريض بهؤلاء ، إذ قال السيد الطباطبائي : ((قوله تعالى: فإنْ خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به، العدول عن التثنية إلى الجمع في قوله: خفتم، كأنّه للإشارة إلى لزوم أنْ يكون الخوف خوفاً يعرفه العرف والعادة، لا ما ربما يحصل بالتهوس والتلهي أو بالوسوسة ونحوها، ولذلك عدل أيضاً عن الإضمار فقيل ألا يقيما حدود الله، ولم يقل فإنْ خفتم ذلك لمكان اللبس))[٢] .

٣- الالتفات في صيغ زمن الفعل :

إنّ من ظواهر الالتفات الحِجاجية التي تلمسها السيد الطباطبائي في تفسيره هي ظاهرة الالتفات في أزمنة الفعل التي تنوعت على الأفعال المختلفة ، ومنه الالتفات من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع ، كما في قوله تعالى: چﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ چالبقرة: ٨٧ .

يُلحظ أنّ في السياق حصل التفات عن الفعل الماضي (قتلتم) إلى الفعل المضارع (تقتلون) ، وكان بالأحرى مطابقة السياق (ففريقاً كذبتم وفريقاً قتلتم) ، لا سيما أنّه يتحدث عن أمرٍ حدث في الزمن الماضي من تكذيب اليهود للأنبياء كما أشار إلى ذلك السيد الطباطبائي إذ قال : ((ولعل الوجه في ذلك كله أنّ الآيات المتعرضة لحال بني إسرائيل لما بدأت بالخطاب لمكان اشتمالها على التقريع والتوبيخ))[٣] .

يُستشف أنّ السياق تحول عن الماضي إلى المضارع؛ لأنّ قتل الأنبياء أمر فضيع فأراد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب ((وإنّما فعل ذلك دلالة على شدة الاهتمام به، كان

---

[١] المصدر نفسه : ٢ / ٢٠١ .

[٢] الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ٢٠٠ .

[٣] المصدر نفسه : ١ / ١٨٣ .

الناهي لا يشك في عدم تحقق ما نهى عنه في الخارج، ولا يرتاب في أنّ المكلف المأخوذ عليه الميثاق سوف لا ينتهي عن نهيه، فلا يوقع الفعل قطعاً))[١] ، فالفعل الماضي له زمنان ، زمن حدوث الفعل وزمن وقوعه[٢]، فإذا أخذنا بدلالة الماضي كانت دلالة الفعل (تقتلون) تفيد استحضار الصورة لحدث مضى ، وإذا أخذنا بما توحيه الحادثة من استحالة حصول الفعل وتحققه بالنسبة إلى هذا النبي كانت دلالة الفعل (تقتلون) تفيد تجدد محاولة الفعل واستمراره ، والجمع بينهما نوع من الانفتاح الدلالي للنص القرآني ، وهذا يُعد مبدأً حِجاجياً بلاغياً في توظيف القيمة الزمنية في صياغة الفعل للحصول على فروع تتعدد فيها دلالات الفعل وتتسع[٣] .

ويقرر البلاغيون أنّ مجيء المضارع للدلالة على الحال والاستقبال يفيد التجدد والحدوث ، وأنّ هذا الحدث مستمر الوجود، ولم يمضِ أي أنّ ((عطف المستقبل على الماضي ينقسم إلى ضربين : أحدهما بلاغي، وهو إخبار عن ماضٍ بمستقبل ، والآخر غير بلاغي : وليس إخباراً بمستقبل عن ماضٍ ، وإنّما هو مستقبل دل على معنى مستقبل غير ماضٍ ، ويُراد به أنّ ذلك الفعل مستمر الوجود لم يمضِ))[٤] .

ويبين صاحب الميزان أنّ المزية والغاية الحِجاجية من وراء ذلك هو ((إنّ الانتقال إلى الخطاب من قبل الحكاية أعطى فرصة للانتقال إلى أصل الكلام، وهو خطاب بني إسرائيل لمكان الاتصال))[٥]، فأراد بذلك أنّ التركيب القرآني لو جرى على نمط واحد ؛ لكان الحدث عادياً ليس فيه أي لفت للانتباه ، وبالعدول أصبح للتركيب جمالية ((فنقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر أنشط للإصغاء وأعظم شوقاً للسامع إلى سماعه ، وأكثر تحريكاً للداعية إلى قبوله من أنْ يكون على أسلوب واحد))[٦] .

فالإشارة في النص أعلاه إلى أنّ الالتفات يبقى رهين اختلاف سياق المقام ، ذلك أنّ الالتفات من الماضي إلى المضارع ما هو إلا محركات زمنية داخل الخطاب تحرص على تحقيق الاستمرار وحتمية الحصول ، فحِجاجية الالتفات من الماضي إلى المضارع ؛ لتحقيق التأثير والإقناع ،

---

[١] المصدر نفسه : ١ / ١٨٤ .

[٢] ينظر : الإيضاح في علل النحو : ٨٧ .

[٣] ينظر : دلالة العدول في صيغ الأفعال دراسة نظرية تطبيقية (بحث) : ٢٥ .

[٤] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢ / ١٩٤ .

[٥] الميزان في تفسير القرآن : ١ / ١٨٤ .

[٦] الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز من العلوم البيانية والأسرار القرآنية : ٤٣٥ .

وتقريب الصورة في ذهن المتلقي ، ليستثمر الصورة التي رسمها الماضي وليستحضر الصورة وكأنّه يراها فيستوعبها .

كما يُبنى الالتفات من المضارع إلى الماضي في سياق القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : ﭽ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ﭼ الممتحنة: ٢.

يُلحظ الالتفات من الفعل المضارع (يودوا) إلى الفعل الماضي (ودوا) الذي حقه أنْ يكون فعلاً مضارعاً معطوفاً على جواب الشرط : (يكونوا) و (يبسطوا) ، أشار إلى ذلك السيد الطباطبائي وذكر أنّ الالتفات من المضارع إلى الماضي في نكتة وهي التنبيه للزمن ، فالماضي أسبق في الحصول من المضارع إذ قال : ((وقوله: "ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء و ودوا لو تكفرون" بمنزلة عطف التفسير لقوله: "يكونوا لكم أعداء" وبسط الأيدي بالسوء كناية عن القتل والسبي وسائر أنحاء التعذيب وبسط الألسن بالسوء كناية عن السب والشتم ، والظاهر أنّ قوله: "و ودوا لو تكفرون" عطف على الجزاء والماضي بمعنى المستقبل كما يقتضيه الشرط والجزاء، والمعنى: أنّهم يبسطون إليكم الأيدي والألسن بالسوء ويودون بذلك لو تكفرون كما كانوا يفتنون المؤمنين بمكة ويعذبونهم يودون بذلك أنْ يرتدوا عن دينهم))[1] .

يُفهم من ذلك أنّ صيغة الماضي هنا تدل على تحقق الحدث وحصوله لا محالة فالعدول عن (يودُّ) إلى الماضي ، إذ لم تكن تحتمل ودادتهم لكفرهم من الشبهة ما كان يحتملها كونهم أي يثقفونهم أعداء لهم وباسطي الأيدي والألسنة إليهم للقتل والشتم ، وقد يكون العدول عن المضارع بقرينة لفظية دلالية على توقع الحدوث أو الثقة بوقوعه وهذا ما أشار إليه صاحب الميزان ، فدلالة الالتفات من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي تفهم من السياق نفسه مقارنه بين الفعلين الفعل الأصلي المعدول منه، والفعل المعدول إليه ، والدلالات التي يحتملها كل فعل[2] .

ووقع الالتفات من الفعل الماضي إلى فعل الأمر لتحقيق أغراض حِجاجية وبلاغية ، ومن ذلك قوله تعالى : ﭽ ﮒ ﮓ ﮓ ﮔ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ البقرة: ٢٤٣ .

إنّ سياق الآية القرآنية يدل على أحداث قد مضت مثل : (خرجوا و قال) ثم عُدِلَ إلى الأمر : (موتوا) لدلالة على أنّ الحدث قد وقع بسرعة ، إذ قال السيد الطباطبائي : ((وإنّما عبر بالأمر،

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ١٩ / ٢٠١ – ٢٠٢ .

[2] ينظر : دلالة العدول في صيغ الأفعال دراسة نظرية تطبيقية (بحث) : ٣١ .

دون أنْ يقال: فأماتهم الله ثم أحياهم ليكون أدل على نفوذ القدرة وغلبة الأمر، فإنّ التعبير بالإنشاء في التكوينيات أقوى وآكد من التعبير بالإخبار كما أنّ التعبير بصورة الإخبار الدال على الوقوع في التشريعيات أقوى وآكد من الإنشاء، ولا يخلو قوله تعالى: ثم أحياهم عن الدلالة على أنّ الله أحياهم ليعيشوا فعاشوا بعد حياتهم، إذ لو كان إحياؤهم لعبرة يعتبر بها غيرهم أو لإتمام حُجة أو لبيان حقيقة لذكر ذلك على ما هو دأب القرآن في بلاغته كما في قصة أصحاب الكهف، على أنّ قوله تعالى بعد: إن الله لذو فضل على الناس، يشعر بذلك أيضاً))[1] .

وقد يكون الالتفات من الماضي إلى الأمر هو إظهار العناية والاهتمام بالشيء الملتفت عنه في السياق اللغوي ، كما في قوله تعالى : ﭽ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ﭼ هود: ٤١ .

يُلحظ من ذلك أنّ صيغة الفعل (اركبوا) فعل إنشائي جاء على صيغة الأمر، والمقصود خلاف ذلك؛ لأنّ المقام مقام إخبار، كأنّه قال : (فركبوا فيها يقولون : بسم الله وهي تجري بهم) فعدل عن الماضي : (ركبوا) إلى الأمر (اركبوا) للعناية والاهتمام بأمر نوح ومن معه إذ إنّ الحدث هنا متحقق ولا يتوقف الأمر على انتظار وقوعه ، إذ أشار إلى ذلك صاحب الميزان بقوله : ((وإنّما ينجح هذان السببان لو شملت العناية الإلهية من ركبها، وإنّما تشمل العناية بشمول المغفرة الإلهية لخطايا ركابها والرحمة الإلهية لهم لينجوا من الغرق ويعيشوا على رسلهم في الأرض، ولذلك علّل (عليه السلام) تسميته بقوله: "إنّ ربي لغفور رحيم" أي إنّما أذكر اسم الله على مجرى سفينتي ومرساها ؛ لأنّه ربي الغفور الرحيم، له أنْ يحفظ مجراها ومرساها من الاختلال والتخبط حتى ننجو بذلك من الغرق بمغفرته و رحمته))[2] .

يُفهم من ذلك أنّ الغاية الحِجاجية قائمة على علاقة تبادلية بين الماضي والأمر ، فالفعل الأمر قاصدٌ العناية الدائمة والمستمرة ، فحقق الالتفات تأكيد حدوث العلاقة ، فالطاقة الحِجاجية في الالتفات من الماضي إلى الأمر تتمحور حول تأكيد الماضي بالأمر .

كذلك يقع الالتفات بالعدول من الفعل المضارع إلى الأمر في السياق للدلالة على اختلاف الفعلين لفظاً ومعنىً، كما في قوله تعالى : ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ﭼ هود: ٥٤ .

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ٢٣٧ – ٢٣٨ .

[2] المصدر نفسه : ١٠ / ١٧٧ .

فقد أتى بالفعل المضارع (أشهدُ) ثم عدل إلى الأمر (اشهدوا) ، والمفروض أنْ يكون مضارعاً ليصح العطف لفظاً ومعنىً ، ولكن نجد أنّ الفرق بين الشهادتين فشهادة الله ثابتة وشهادتهم سخرية واستهانة ، والحُجة العقلية مشتملة على بطلان الشركاء ، و في قوله: "جميعاً" إشارة إلى أنّ مراده تعجيزهم وتعجيز آلهتهم جميعاً فيكون أتم دلالة على كونه على الحق وكونهم على الباطل[1] ، وقد التمس السيد الطباطبائي الحجية من وراء ذلك العدول بقوله : ((لما كان الأمر الذي في صورة التعجيز صالحاً لأنْ يكون بداعي إظهار عجز الخصم وعدم قدرته، وصالحاً لأنْ يصدر بداعي أنّ الآمر لا يخاف الخصم وإنْ كان الخصم قادراً على الإتيان بما يؤمر به لكنه غير قادر على تخويفه وإكراهه على الطاعة وحمله على ما يريد منه كقول السحرة لفرعون: "فاقض ما أنت قاض إنّما تقضي هذه الحياة الدنيا:" طه: – ٧٢))[2] .

ويقع الالتفات بالعدول من الأمر إلى المضارع ، كما في قوله تعالى : ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ، ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼمريم:٧٥- ٧٦.

جاء السياق القرآني بصيغة الأمر(فليمددْ) ثم عدل عن الأمر إلى الخبر بالفعل المضارع (يزيدُ) للدلالة على أنّ المراد فيه الخبر وهو معطوف على موضع (فليمددْ) ، وتكمن الحُجة هنا في المبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال ، وهذا ما صرح به السيد الطباطبائي بقوله : ((قوله تعالى: "قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً" إلى آخر الآية، لفظة كان في قوله: "من كان في الضلالة" تدل على استمرارهم في الضلالة لا مجرد تحقق ضلالة ما، وبذلك يتم التهديد بمجازاتهم بالإمداد والاستدراج الذي هو إضلال بعد الضلال ، وقوله: "فليمدد" صيغة أمر غائب ويئول معناه إلى أنّ من الواجب على الرحمن أنْ يمده مداً، فإنّ أمر المتكلم مخاطبه أنْ يأمره بشيء معناه إيجاب المتكلم ذلك على نفسه))[3] .

وفي سورة الصف في قوله تعالى : ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ، ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ الصف:١٠- ١١ .

---

(1) الميزان في تفسير القرآن: ١٠ / ٢٣٨ .

(2) المصدر نفسه : ١٠ / ٢٣٨ .

(3) المصدر نفسه : ١٤ / ٨٢ .

يُلحظ أنّ (تؤمنون) هي خبر في معنى الأمر، ولهذا أُجيب بقوله (يغفر لكم)، وهذا يدل للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنّه امتثل، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيداً للإمر وإشعاراً بأنّه مما يجب أنْ يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله ، واحتج بالدليل إلى ذلك السيد الطباطبائي بقوله : ((وكثيراً ما يؤتى بالأمر في صورة الخبر مبالغة في وجوب الامتثال كأنّه واقع يخبر عنه كقوله تعالى: "تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله": الصف: ١١، والدليل عليه قوله بعد: "فما حصدتم فذروه في سنبله"، قيل: وإنّما أمر بوضعه وتركه في سنبله ؛لأنّ السنبل لا يقع فيه سوس ولا يهلك وإنْ بقي مدة من الزمان، وإذا ديس وصفي أسرع إليه الهلاك، والمعنى: ازرعوا سبع سنين متواليات فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يهلك وأحفظوه كذلك إلا قليلاً وهو ما تأكلون في هذه السنين))[١].

ثالثاً : المقابلة* :

ويُراد بها ((الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة))[٢]، والمقابلة بهذا المعنى تؤدي دوراً حِجاجياً ؛ لأنّ التقابل يجمع بين الأضداد في سياق خطابي، فيقوم بالموازنة بينهما لكي يظهر الصحيح منها للتأثير بالمتلقي من خلال إثبات أحدهما[٣] .

ويهتم أهل الحِجاج في المقابلة بخاصية المخالفة بين الألفاظ فلا يمكن أنْ يجتمع النقيضان في معنى واحد ، فالتقابل قائم على الاختلاف في الأطروحات التي ((تنزع لإثبات صحتها عن طريق الصراع مع أطروحات مختلفة عنها، إنّه نوع من التواصل والحوار المفضي إلى الاتصال في شبكة من الأنساق الفكرية الحاملة لخطابات متنوعة))[٤] .

فالمتلقي في التقابل يكون أكثر تمحيصاً للفكرة المراد إقناعه بها ، وبذلك يُحتج عليه بتوظيف التقابل الذي يفتح منافذ لثنائيات ضدية تخلق عند المتلقي فهم جديد ، وقد أسهمت المقابلة عند السيد الطباطبائي في تفسيره اسهاماً هاماً لا يمكن التغافل عنه، ومنه لبيان حقيقة الكون والحصول على فاعلية حِجاجية في الخطاب ، كما في قوله تعالى : ﴿ ﴾النبأ: ١١ .

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٥٩ .

[٢] الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع : ٢٨٧ .

[٣] ينظر : الحِجاج في النص القرآني ، سور الحواميم أنموذجاً (رسالة ماجستير) : ١١٧ .

* وتسمى (التقابل) وتسمى أيضاً (الطباق) : والتفريق بينهما على أساس الكم ، فكل مقابلة طباق ، وليس كل طباق مقابلة ، ينظر : أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي ، تنظير وتطبيق على السور المكية : ١٩٦ .

[٤] الحِجاج في قصص الأمثال القديمة مقاربة سردية تداولية : ١٠٤ .

إنّ معنى لباسٌ : أيّ ساترٍ يستر الأشياء بما فيه من الظلمة الساترة للمبصرات كما يستر اللباس البدن وهذا سبب إلهي يدعو إلى ترك التقلب والحركة والميل إلى السكن والدعة والرجوع إلى الأهل والمنزل ، وعن بعضهم أنّ المراد بكون الليل لباساً كونه كاللباس للنهار يسهل إخراجه منه والمعنى وجعلنا النهار زماناً لحياتكم أو موضعاً لحياتكم تبتغون فيه من فضل ربكم، وهكذا تتقلب الحياة بالإنسان وهو تارة تحت جنح الليل الساتر، وتارة يكدح لطلب معاشه[١] .

فالمقابلة استوعبت توضيح علاقة الإنسان بين نصفي يومه، فبدأت بالليل الذي عبّر عنه باللباس، ثم النهار طلباً للمعاش الذي يكون بالحركة والسعي والرابط بينهما هو الزمن والفعل الكلامي (جعل) الذي مدّ النص بالبعد الحِجاجي بإضافة الضمير (نا) فضلاً عن أنّ الفعل من أفعال التحويل، وهذا ما التمسه السيد الطباطبائي بقوله: ((ولعله لذلك لا يستعمل النهار إلا بعناية مقابلته الليل بخلاف اليوم فإنه يستعمل فيما لا عناية فيه بذلك كما في مورد الإحصاء يقال: عشرة أيام وعشرين يوما وهكذا، ولا يقال: عشرة نهارات وعشرين نهارا وهكذا، والآية تشتمل على حُجة تامة على توحده تعالى في ربوبيته فإن اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض يحمل نظاماً واحداً عاما متقنا يدبر به أمر الموجودات الأرضية والسماوية وخاصة العالم الإنساني تدبيراً واحداً يتصل بعض أجزائه ببعض على أحسن ما يتصور، وهو يكشف عن ربوبية واحدة تربّ كل شيء ومنه الإنسان فلا رب إلا الله سبحانه لا شريك له في ربوبيته ، ومن المحتمل أنْ يكون قوله: "إنّ في اختلاف الليل والنهار" إلخ، في مقام التعليل لقوله في الآية السابقة: "يفصل الآيات لقوم يعلمون" لمكان إنّ، والأنسب على هذا أنْ يكون المراد باختلاف الليل والنهار تواليهما على الأرض دون الاختلاف بالمعنى الآخر فإنّ هذا المعنى من الاختلاف هو الذي يسبق إلى الذهن من قوله في الآية السابقة: "جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل" وهو ظاهر))[٢] .

يُلحظ أنّ مرجعية الليل والنهار مردها إلى الله سبحانه وتعالى ، وتصنيفه التقابلي لما ينفع الناس فضلاً عن حالة الاستئناس التي تصيب الإنسان ، وكل ذلك في سياق تخاطبي مهم من خلال المزاوجة بين الأضداد من حيث تعاقبهما .

وتتصدى المقابلة للأفكار الباطلة التي يتخذها الكافرون ويجعلها مقاماً للسخرية من أصحابها ، فتبطل حُجة الكافرين ، كما في قوله تعالى : **ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ، ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ**

---

[١] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ١٤٣ .

[٢] المصدر نفسه : ١٠ / ١٢ .

ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ، ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ، ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ
ﮱ ﯓ ﭼالزخرف:١٦- ١٩ .

يُلحظ أنّ المقابلة بين (الملائكة البنات) و (الأبناء الذكور) ردت على قسمة المشركين في جعل البنات لله تعالى واختيار الأبناء لهم كما دلّ على ذلك قول السيد الطباطبائي بقوله : ((أي أخلصكم للبنين فلكم بنون وليس له إلا البنات وأنتم ترون أن البنت أخس من الابن فتثبتون له أخس الصنفين وتخصون أنفسكم بأشرفهما وهذا مع كونه قولا محالا في نفسه إزراء وإهانة ظاهرة وكفران ، وتقييد اتخاذ البنات بكونه مما يخلق لكونهم قائلين بكون الملائكة – على ربوبيتهم وألوهيتهم – مخلوقين لله، والالتفات في الآية إلى خطابهم لتأكيد الإلزام وتثبيت التوبيخ، والتنكير والتعريف في "بنات" و"البنين" للتحقير والتفخيم))[١] .

يُستشف من ذلك أنّ العرض القرآني الصادق الذي يرى فيهم جميعاً خلق الله ، ولا تصديق لدعواهم بالتقسيم إذ قال: ((وإنّما وصف الملائكة بقوله: "الذين هم عباد الرحمن" رداً لقولهم بأنوثتهم ؛ لأنّ الإناث لا يطلق عليهن العباد، ولا يلزم منه اتصافهم بالذكورة بالمعنى الذي يتصف به الحيوان فإنّ الذكورة والأنوثة اللتين في الحيوان من لوازم وجوده المادي المجهز للتناسل وتوليد المثل، والملائكة في معزل من ذلك، وقوله: "أ شهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون" رد لدعواهم الأنوثة في الملائكة بأنّ الطريق إلى العلم بذلك الحس وهم لم يروهم حتى يعلموا بها فلم يكونوا حاضرين عند خلقهم حتى يشاهدوا منهم ذلك ، فقوله: "أ شهدوا خلقهم إلخ" استفهام إنكاري و وعيد على قولهم بغير علم أي لم يشهدوا خلقهم وستكتب في صحائف أعمالهم هذه الشهادة عليهم ويسألون عنه يوم القيامة))[٢] .

يُستشف من ذلك أنّ المقابلة قدمت الحُجة على صدق الطرح القرآني وضعف أقوال المشركين بأنّهم لم يشهدوا خلقهم ولا يعرفون جنسهم وأنّ هذا من علم الله وحده ، وهذا ما أدلى به صاحب الميزان بقوله : ((حكاية بعض أقوالهم التي دعاهم إلى القول بها الإسراف والكفر بالنعم وهو قولهم بالولد وأنّ الملائكة بنات الله سبحانه، واحتجاجهم على عبادتهم الملائكة ورده عليهم ، وقوله تعالى: " وجعلوا له من عباده جزءاً إنّ الإنسان لكفور مبين" المراد بالجزء الولد فإنّ الولادة إنّما هي الاشتقاق فالولد جزء من والده منفصل منه متصور بصورته ، وإنّما عبر عن الولد بالجزء للإشارة إلى استحالة دعواهم، فإنّ جزئية شيء من شيء كيفما تصورت لا تتم إلا بتركب في ذلك الشيء

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٧٤ .
[٢] المصدر نفسه : ١٨ / ٧٥ .

والله سبحانه واحد من جميع الجهات ، وقد بانّ بما تقدم أنّ "من عباده" بيان لقوله: "جزء" ولا ضير في تقدم هذا النوع من البيان على المبين ولا في جمعية البيان وإفراد المبين))[1] .

ورسمت المقابلة للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) منهجاً ربانياً في التعامل مع الشدائد في بدايات الدعوة الإسلامية بالتقرب لله ليستمد العون في دعوته للكافرين ، كما في قوله تعالى : ﭽ ﮋ ﮊ ﮉ ﮈ ﮇ ﮆ ﮅ ﮄ ﮃ ﮂ ﭼ غافر: ٥٥ .

فيتبين أنّ المقابلة قد وقعت بين التسبيح والصلاة على وجه التنظير ؛ لأنّ التسبيح والصلاة من العبادات التي تقرب العبد إلى الله سبحانه وتعالى ، وكمنت تلك الإحاطة بالزمن من خلال (الْعَشيّ والإبكار)، فالمقابلة بينهما تؤثر في الحالة النفسية كما صرح بذلك السيد الطباطبائي بقوله :((وهذه آية واقعة على نفس النبي ولسانه وتصرف خاص فيه))[2]، وعلى هذا يكون التأثير على الحالة النفسية للمتلقي فيبقى متصلاً بالله سبحانه وتعالى من خلال التسبيح والصلاة فيستمد المتلقي القوة المعنوية والروحية من ربه لما يفعل من عبادات مستمرة ، إذ قال صاحب الميزان بذلك : ((وقوله: "وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار" أي نزهه سبحانه مصاحباً لحمده على جميل آلائه مستمراً متوالياً بتوالي الأيام أو في كل صباح ومساء، وكونه بالعشي والإبكار على المعنى الأول من قبيل الكناية*))[3] .

واستُعملتْ المقابلة الخلافية لتفضيل أحد المتقابلين على الآخر في قوله تعالى : ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ هود:١٠٥- ١٠٦ .

يُلحظ أنّ المقابلة كانت جواب عن نتيجة الجمع بأنّ (شقِي) و(سعِيدٌ) فأثرت المقابلة على ذهنية المتلقي، ونبهته على ذلك اليوم – يوم الجمع– إذ قال السيد الطباطبائي ((والذي تدل عليه الآية أنّ من كان هناك من أهل الجمع إمّا شقي متصف بالشقاء وإمّا سعيد متلبس بالسعادة وأمّا إنّ هذين الوصفين بما ذا ثبتا لموضوعيهما؟ وأنّهما هل هما ذاتيان لموصوفيهما أو ثابتان بإرادة أزلية لا يتخلف مرادها عنها أو يثبتان لهما عن اكتساب وعمل مع كون الموضوعين خاليين عنهما بالنظر إلى ذاتهما؟ فلا نظر في الآية إلى شيء من ذلك غير أنّ وقوع الآية في سياق الدعوة إلى

---

[1] الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٧٤ .

[2] المصدر نفسه : ٣ / ١٥٨ .

[3] المصدر نفسه : ١٧ / ٢٧٧ .

* يقصد بذلك المقابلة .

الإيمان والعمل الصالح، والندب إلى اختيار الطاعة وترك المعصية يدل على تيسير سبيل الوصول إلى السعادة كما قال تعالى: "ثم السبيل يسره": عبس: ٢٠.))[١] .

فقدمت المقابلة للخطاب قوة حِجاجية على شكل ثنائية متضادة تدفع بالمتلقي إلى الإقناع بضرورة حُسن الاختيار من خلال المفاضلة بين طرحين في علاقة ضدية إذ نوه صاحب الميزان إلى ذلك بقوله : ((فمنهم شقي وسعيد" السعادة والشقاوة متقابلان فسعادة كل شيء أنْ ينال ما لوجوده من الخير الذي يكمل بسببه ويلتذ به فهي في الإنسان – وهو مركب من روح و بدن – أنْ ينال الخير بحسب قواه البدنية والروحية فيتنعم به ويلتذ، وشقاوته أنْ يفقد ذلك ويحرم منه، فهما بحسب الاصطلاح من العدم والملكة، والفرق بين السعادة والخير إن السعادة هي الخير الخاص بالنوع أو الشخص والخير أعم، وظاهر قوله تعالى: "فمنهم شقي وسعيد" لا تفيد حصر أهل الجمع في الفريقين))[٢] .

وعلّل حِجاجياً هذا النوع من اختيار الألفاظ بقوله : ((وهو الملائم ظاهراً لتقسيمه تعالى الناس إلى مؤمن وكافر ومستضعف كالأطفال والمجانين وكل من لم تتم عليه الحُجة في الدنيا إلا أنّ الغرض المسرودة له الآيات ليس بيان أصناف الناس بحسب العمل والاستحقاق بل من حيث شأن هذا اليوم وهو أنّه يوم مجموع له الناس ويوم مشهود لا يتخلف عنه أحد، وأنّه ينتهي إلى جنة أو نار))[٣] .

يتضح من ذلك أنّ المقابلة ترغيب للمؤمن وترهيب للكافر، وهذا إقرار بين من آمن وعمل صالحاً وبين من لم يكن كذلك ؛ ولذا أتت بالمقابلة ليؤكد أنّ الخطاب فيها عام يشامل ولذا يكون الخطاب هنا : ((تقريرٌ لوجوب البعث والجزاء ، إذ لو لم يجب لاستوى المصلحون والمفسدون ، والمتّقون والفجّار؛ وذلك محال))[٤]، وإنّ هذا المعاد للحساب والجزاء جارٍ على الجميع ، وفي هذه المقابلة تكون العظة أبلغ والتحذير من الانحراف أشدّ والترغيب في الاستقامة أقوى .

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٧ .

[٢] المصدر نفسه : ١١ / ١٦ .

[٣] المصدر نفسه : ١١ / ١٦ .

[٤] صفوة البيان لمعاني القرآن : ٥٧٩.

رابعاً : الاعتراض* :

ويُقصد به ((عملية نقدٍ ونقضٍ ومدارسة وتصحيح لأحد المسائل ... أنّ فيها خللاً، مع أسناد ذلك بإقامة الدليل الواضح على خلاف دليل المُعترض عليه))[١] .

فالاعتراض هو قطع التركيب بأكمله بإضافة تركيب آخر يهب السياق دلالة إضافية لدلالته الأصلية بشرط التناسب في موضوع الخطاب ، بحيث لا يشكل إقحامها بين التركيبين أي إرباك في دلالة الخطاب الأصلية[٢] .

وإنّ ما يميز الحِجاج عند السيد الطباطبائي في تفسيره أنّه يعتني بعناصر العملية الكلامية المتكونة مِن المتكلم والمخاطَب والسياق ، بالإضافة إلى النزعة الجدلية الحِجاجية التي يصطبغ بها خطاب صاحب الميزان مع الآخرين؛ لإقناعهم، من طريق الحجج الدامغة بصدق ما يقول ، ومن ذلك الأساليب الحجاجية التي استعملها في حوارياته عندما يعترض على بعض الآراء، ويدحضها ، ومن ذلك اعتراضه ورفضه على الإسرائيليات ، وقد حذر ونبه إلى أنّ جملة من المفسرين ركنوا إلى المأثور دون النظر فيه فوقوا في الإسرائيليات ، ففي قوله تعالى : **چ ڎ ڎ ڤڤ ڎ ڎ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ**يوسف: ٢٤.

ذكر السيد الطباطبائي أنّ معنى الآية عند بعض المفسرين إنّها همت بالفاحشة وأنّه هم بمثلها ، ونُسب ذلك إلى ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والحسن وغيرهم[٣] ، وعلق صاحب الميزان بقوله : ((لكن هؤلاء المتعلقين بهذه الأقاويل المختلفة والإسرائيليات والآثار الموضوعة إذ يتهمون جده إبراهيم (عليه السلام) في زوجته سارة لا يبالون أنْ يتهموا نجله (عليه السلام) في زوجة غيره))[٤] .

وأضاف قائلاً : ((ولو وجدت من يوسف (عليه السلام) أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته، وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصا؟))[٥] .

---

* لون بلاغي أورده أبو الهلال العسكري في حديثه عن فنون البديع ، ينظر : الصناعتين (الكتابة والشعر) : ٣٩٤ .

[١] التعريفات : ١٥٠.

[٢] ينظر : خزانة الأدب وغاية الإرب : ٣٦٦ .

[٣] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١١٠ ، والطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان : ١٦٧ .

[٤] الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١١٢ .

[٥] المصدر نفسه : ١١ / ١١٢ – ١١٣ .

وعن الحية والطاووس يقول صاحب الميزان: ((وفي بعض الأخبار ذكر الحية والطاووس عونين لإبليس في إغوائه إياهما لكنها غير معتبرة، أضربنا عن ذكرها وكأنها من الأخبار الدخيلة، والقصة مأخوذة من التوراة وهاك لفظ التوراة في القصة بعينه))[1] .

وما ينماز به هذا التفسير هو : أنّ السيد الطباطبائي يترك ويعرض عن الأمور غير المهمة التي تصرف المفسر عن هدفه ووظيفته الأساسية في التفسير ، وقد أسهم اهتمامه في عدم اعتنائه بالروايات التي تهتم بأخبار لا فائدة فيها في عملية التفسير والتي تنطوي على الإسرائيليات والأخبار الموضوعة ، كما في قوله تعالى : ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼإبراهيم:٢٤- ٢٥.

أشار السيد الطباطبائي إلى أنّ الكلمة الطيبة والشجرة اختلف المفسرون في تعيينها ، وبعد أنّ التمس معناها من خلال اللفظ ، علق عليها بقوله : ((والاشتغال بأمثال هذه المشاجرات مما يصرف الإنسان عما يهمه من البحث عن معارف كتاب الله والحصول على مقاصد الآيات الكريمة وأغراضها))[2] .

وقد أعرض أيضاً عن الروايات المتعلقة بقصة يوسف (عليه السلام) وخزائن الأرض وعلاقته بملك مصر فقال : ((أقول: والروايات في هذا المقام كثيرة أغلبها غير مرتبطة بغرض تفسير الآيات ولذلك تركنا نقلها))[3] .

وكذلك يُلحظ أنّ صاحب الميزان يرفض الإسرائيليات حتى ولو كانت مروية في كتب الشيعة ومسندة من الصحابة والتابعين كابن عباس وابن مسعود وعلي وأبي الدرداء وعمر وعائشة وابن عمر كما في قصة هاروت وماروت ، إذ قال : ((وهذه قصة خرافية تنسب إلى الملائكة المكرمين الذين نص القرآن على نزاهة ساحتهم وطهارة وجودهم عن الشرك والمعصية أغلظ الشرك وأقبح المعصية، وهو: عبادة الصنم والقتل والزنا وشرب الخمر وتنسب إلى كوكبة الزهرة أنها امرأة زانية مسخت – وأنّها أضحوكة – وهي كوكبة سماوية طاهرة في طليعتها وصنعها أقسم الله تعالى عليها في قوله: "الجوار الكنس": التكوير – ١٦ على أنّ علم الفلك أظهر اليوم هويتها وكشف عن عنصرها وكميتها وكيفيتها وسائر شئونها ، فهذه القصة كالتي قبلها المذكورة في الرواية السابقة

---

[1] المصدر نفسه : ١ / ١٢١ .

[2] المصدر نفسه : ١٢ / ٤٠ .

[3] المصدر نفسه : ١١ / ١٧٣ .

تطابق ما عند اليهود على ما قيل: من قصة هاروت وماروت، تلك القصة الخرافية التي تشبه خرافات يونان في الكواكب والنجوم))[١] .

وعلّل ذلك الرفض والاعتراض بقوله : ((و من هاهنا يظهر للباحث المتأمل: أن هذه الأحاديث كغيرها الواردة في مطاعن الأنبياء وعثراتهم لا تخلو من دس دسته اليهود فيها وتكشف عن تسربهم الدقيق ونفوذهم العميق بين أصحاب الحديث في الصدر الأول فقد لعبوا في رواياتهم بكل ما شاءوا من الدس والخلط وأعانهم على ذلك قوم آخرون))[٢] .

يُفهم من ذلك أنّ السيد الطباطبائي يحتكم إلى العقل والمسلمات الإسلامية ودلالة المعاني التي يقف عليها من خلال معطيات النصوص القرآنية وهذا ممّا أدى لاعتراضه على الإسرائيليات .

وممّا يُلحظ أنّ صاحب الميزان يعترض ولا يركن إلى النظريات العلمية الحديثة في تفسيره لبعض النصوص ، ولم يثقل التفسير بهذه النظريات ، ولم يدلل بالآيات على صحة هذه النظريات ، ولم يدافع عمن سلك هذا المسلك من المفسرين[٣]، وقد رد على الشيخ طنطاوي جوهري في قضية استفادة الزوجية كما في قوله تعالى : ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼيس: ٣٦ .

قال السيد الطباطبائي : ((وما ذكره* وإنْ كان من الحقائق العلمية التي لا غبار عليها إلا أنّ ظاهر الآية الكريمة لا يساعد عليه فإنّ ظاهرها أنّ نفس الثمرات زوجان اثنان لا أنّها مخلوقة من زوجين اثنين ولو كان المراد ذلك لكان الأنسب به أنْ يقال: وكل الثمرات جعل فيها من زوجين اثنين))[٤] .

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼيس: ٣٨.

قال السيد الطباطبائي : ((وأمّا جريها وهو حركتها فظاهر النظر الحسي يثبت لها حركة دورية حول الأرض لكن الأبحاث العلمية تقضي بالعكس وتكشف أنّ لها مع سياراتها حركة انتقالية نحو

---

(١) الميزان في تفسير القرآن : ١ / ٢٠٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ٢٠٠ .

(٣) ينظر : الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان : ١٨٢ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ٢٤٠ .

* أي صاحب تفسير الجواهر ، طنطاوي .

النسر الواقع ، وكيف كان فمحصل المعنى أنّ الشمس لا تزال تجري ما دام النظام الدنيوي على حاله حتى تستقر وتسكن بانقضاء أجلها فتخرب الدنيا ويبطل هذا النظام، وهذا المعنى يرجع بالمآل إلى معنى القراءة المنسوبة إلى أهل البيت وغيرهم: "والشمس تجري لا مستقر لها" كما قيل ، وأمّا حمل جريها على حركتها الوضعية حول مركزها فهو خلاف ظاهر الجري الدال على الانتقال من مكان إلى مكان))[١] .

يُستشف من ذلك أنّ صاحب الميزان كان يعتني بالآية من حيث دلالة ألفاظها وظواهرها مبسطاً القول فيها دون اللجوء إلى النظريات العلمية الحديثة بل يكتفي بالتلويح لذلك[٢]

خامساً : التقسيم*:

ويُراد به: ((أنْ تقسم الكلام قسمة مستوية، تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه))[٣].

والتقسيم أسلوب بلاغي صعب المنال، يتطلب خبرة وغور عميق للفكرة، وهو ليس لأي شخص ، إلا للذين امتلكوا ناصية اللغة، وألموا بخباياها فعرفوا كيف يقودون أزمتها؛ لأنّ المتكلم يضع نفسه في زاوية الحصر والتضييق، ومن هنا تبدو روعة فنه، في القدرة على لملمة الأفكار وحصرها والإحاطة بها من جميع جهاتها، ويبدو أنّ ميل النفوس إلى التقسيم لأنسها بالانتظام والتبويب الذين هما أساس هذا الفن البياني (البديع) متمثلاً في أرفع مستوياته، واستعماله يشير إلى تنامي الفكر كونه يستدعي نوعاً من الروية في حصر الفكرة بفقر منتظمة تستوفي جهاتها كلها[٤] .

ويُعدّ التقسيم وسيلة حِجاجية ؛ لأنّه يقوم على أساس تقسيم المعنى إلى أقسام متساوية من غير زيادة فيها أو نقصان ؛ ليعطي لكل قسم من أقسامه وظيفة تأدية المعنى بنفسه من غير مشاركة

---

[١] الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٧٤ – ٧٥ .

[٢] ينظر : الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان : ١٨٢ .

* ويسمى (التفريع) أيضاً: ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٦٤ ، واستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٤٩٤ .

[٣] الصناعتين (الكتابة والشعر) : ٣٥٠ .

[٤] ينظر : فن التقسيم في نهج البلاغة (بحث) : ١ .

غيره[١]، وسبب عد التقسيم وسيلة حِجاجية هو أنّ المفسر عندما يقسم حججه على شكل أجزاء فإنّه يحافظ على قوتها[٢] كما في قوله تعالى : **ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ** فاطر: ٣٢.

فالبنية الكلية للنص قد تمحورت ثم تفرعت إلى أقسام ؛ لكي تكون هذه الأقسام حججاً ، إذ التمس السيد الطباطبائي ذلك بقوله : ((إنّ المراد بالظالم لنفسه من عليه شيء من السيئات وهو مسلم من أهل القرآن لكونه مصطفى ووارثا، والمراد بالمقتصد المتوسط الذي هو في قصد السبيل وسواء الطريق والمراد بالسابق بالخيرات بإذن الله من سبق الظالم والمقتصد إلى درجات القرب فهو إمام غيره بإذن الله بسبب فعل الخيرات قال تعالى: "والسابقون السابقون أولئك المقربون:" الواقعة: – ١١))[٣] .

وفي تفسير قوله تعالى: **ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ** الأنعام: ١٤.

حاول السيد الطباطبائي تقديم حججه متتالية لإثبات صحة دعواه ، وهي ورود الآية على سبيل التعريض دون التصريح ، فالتعريض برأيه ((هو الميل بالكلام إلى جانب ليفهم المخاطب أمراً مقصودا للمتكلم لا يريد التصريح به، من العرض بمعنى الجانب فهو خلاف التصريح))[٤]، إذ قال في تفسيره النص ((إنّ التعلق بقوله: "فاطر السماوات والأرض" إنّما هو لبيان سبب انحصار الإطعام به تعالى كما تقدم تقريره، وربما استفيد ذلك من التعريض الذي في قوله: "ولا يطعم" فإنّ فيه تعريضاً بكون سائر من اتخذوهم آلهة محتاجين كعيسى وغيره إلى إطعام أو ما يجري مجراه))[٥] .

وفي قوله تعالى: **ﭽ ﭿ ﮀ ، ﮂ ﮃ ، ﮅ ﮆ ﭼ** الرحمن: ١- ٤ .

لقد فسّر السيد الطباطبائي سبب تقديم القرآن بوصفه نعمة من نعم الله تعالى بقوله : ((وقوله: "علم القرآن" شروع في عد النعم الإلهية، ولما كان القرآن أعظم النعم قدراً وشأناً وأرفعها مكانا – لأنّه كلام الله الذي يخط صراطه المستقيم ويتضمن بيان نهج السعادة التي هي غاية ما يأمله آمل

---

[١] ينظر : كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحِجاج ، رسائله نموذجاً: ٧١ .

[٢] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٤٩٤ .

[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٣٨ .

[٤] المصدر نفسه : ٢ / ٢٠٧ .

[٥] الميزان في تفسير القرآن : ٧ / ٢٩ .

ونهاية ما يسأله سائل – قدم ذكر تعليمه على سائر النعم حتى على خلق الإنس والجن اللذين نزل القرآن لأجل تعليمهما))[١] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ، ﮎ ﮏ ﮐ ، ﮒ ﮓ ﭼ الواقعة: ١ـ ٣ .

التمس السيد الطباطبائي استقصاء معنى وصف الأخرة بالخافضة والرافعة فقال : ((قوله تعالى: "خافضة رافعة" خبران مبتدؤهما الضمير الراجع إلى الواقعة، والخفض خلاف الرفع وكونها خافضة رافعة كناية عن تقليبها نظام الدنيا المشهود فتظهر السرائر وهي محجوبة اليوم وتحجب وتستر آثار الأسباب وروابطها وهي ظاهرة اليوم وتذل الأعزة من أهل الكفر والفسق وتعز المتقين))[٢] .

يُلحظ أنّ في هذه الآية وغيرها من الآيات يلجأ صاحب الميزان إلى التقسيم بغية تقديم الحجج واستقصاء المعنى وتقديم الوجوه المتعددة أما المتلقي وجميعها محتملة في درجات الإقناع ، وأنّ الحُجة الواردة عن طريق تقسيم الكل إلى أجزائه تتعلق بالقيمة الذاتية التي تسند إلى كل جزءِ من الأجزاء بمعنى أنّ الكل يشبه بأجزائه المكونة له فقيمة الكل هي من قيمة الأجزاء[٣] .

الخاتمة وابرز نتائج البحث

تُعدّ الخاتمة أجوبة للتصورات التي دل عليها البحث للترابط المنطقي بين التمهيد والمتن والخاتمة لتجعل من البحث عملاً متماسكاً على المستوى النظري والتطبيقي، وبعد هذه المسيرة الممتعة والطويلة التي قضيتها مع تفسير الميزان في تقرير البُعد الحِجاجي وإثبات المقاربة التداولية في تحليل النصوص على وفق معطيات الدرس اللغوي المعاصر، فحان الوقت لنضرب الخباء فنرى ما تضمنه البحث من موضوعات حِجاجية كشفت عن جهد المؤلف في هذا المجال، وقد توصل الباحث إلى نتائج عدّة وكما يأتي :

[١] المصدر نفسه : ١٩ / ٨٣ .

[٢] المصدر نفسه : ١٩ / ١٠٢ .

[٣] ينظر : الحِجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : ٢٠٧ ، وأسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي ، تنظير وتطبيق على السور المكية : ٢٠٢ .

- منحت الحوارية النص طاقة حِجاجية ، إذ كانت حاضرة وبقوة في تفسير الميزان من خلال توظيف السيد الطباطبائي الحوار في صفحات عدّة .
- عمل السيد الطباطبائي في قضاياه الحِجاجية على إقناع المتلقي وتغيير في أفكاره بكل ما توفر من تقنيات تداولية ولغوية وبلاغية .
- إنّ الخطاب عند السيد الطباطبائي ممارسة كلامية تداولية تتخذ بنية وأساليب استدلالية تحمل المتلقي على الإذعان والقبول بالآراء من خلال استعماله للحجج .
- يُلحظ التنوع في دلالات الخطاب عند السيد الطباطبائي الحِجاجية ، وهذا جاء لمقاصد إقناعية تستميل المخاطَب تأثيراً ورغبة في الوصول إلى الهدف المنشود .
- ظهر الحِجاج لدى السيد الطباطبائي بمعانٍ مختلفة وكلها تهدف إلى إقناع المتلقي وتوجيهه نحو الخطاب المقصود .
- يتبين أنّ الفكر التداولي يقترب كثيراً من الفكر التفسيري للسيد الطباطبائي في سلطة المتكلم للخطاب التي يتمّ عن طريقها إنجاز الأفعال الكلامية والتأثير في المتلقي .
- تعامل السيد الطباطبائي مع الأفعال الكلامية المباشرة ، على أساس قوتها الإنجازية ، للوصول إلى الحكم بمراعاة السياق على مستوى الواقع ويعتمد في تحقق الفعل الكلامي المباشر على الجانب المعجمي في اللغة لتفسير ما ورد في النص من فعل كلامي مباشر ، فيوضح ما فيه لغوياً، لأنَّ الجانب المعجمي يمتلك القوة الإنجازية التي من شأنها أنْ تترك أثراً مهماً عند استعمالها في السياق .
- يظهر أنّ السياقات الإنتاجية التي خرجت إليها الأساليب الخبرية والإنشائية ، لاسيما الأمر والنهي والاستفهام ، أخذت مساحة واسعة في مدونته التفسيرية ، وهذا يُؤكد أنّ السيد الطباطبائي قد أعطى للأفعال الكلامية غير المباشرة ميدانها الإنجازي والتأثيري .
- أثبت البحث أنّ السياق قد يشير إلى أكثر من معنى ، فهو يقدم أمام المتلقي اختيارات لفهم النص القرآني .
- فرّق السيد الطباطبائي بين الخبر الذي يأتي لمجرد الإخبار لا يراد منه شيء سوى ذلك ، والخبر الذي يحمل معنى الإنشاء ، فاقترب بذلك من التداوليين الذين يبحثون عن القوة الإنجازية التي في الإخبار، وكيف يريد المتكلم من المتلقي إنجاز عمل معين بإخباره لما يحمله الخبر من قوة إنجازية ، وهذا ما نراه في كثير من تحليلاته للنصوص .

- يتضح أنّ الأفعال الكلامية المركبة هي وسيلة إقناعية وتأثيرية لدى المتلقي التي يتلقاها من المتكلم بغية الوصول إلى درجة من درجات القبول في القول ، فحَمْلُ النصوص لهذه الأفعال له رؤية حِجاجية بكل ما تحمله من موضوعات تنطوي تحت الأفعال المركبة.
- اشتغل السيد الطباطبائي على مدّ جسور التواصل بين المتكلم والمتلقي من أجل إنجاح عملية التخاطب ، وهذا ما كان في الاستلزام الحواري عن طريق مراعاة المتلقي والوصول به إلى أعلى مراتب الفهم ودرجات التلقي والتأثير .
- يُستشف أنّ (مبادئ التعاون الحواري) المتمثلة بـ (الكم والكيف والمناسبة والطريقة) راعى فيها السيد الطباطبائي المخاطَب كونه متلقياً للنص من أجل إقامة الحُجة ، فالمتكلم لا يمكنه القول بلا حُجة فيعمل على إظهار أمرٍ يريده، فبين خرق تلك المبادئ في تفسيره للنصوص من أجل تحقيق التأثير في المتلقي .
- عُني السيد الطباطبائي بكشف الافتراضات السابقة في الكلام ، وهذا يدل على قدرة صاحب الميزان التداولية في فك رموز الخطاب، وبيان تلك الفروض السابقة غير ملحوظة في النص ، فيستنبط ذلك من النص نفسه عن طريق مرجعياته الثقافية التي يتمتع بها في هذا الميدان ؛ لأجل التواصل بين أطراف الخطاب .
- وظّف السيد الطباطبائي بُعد (الأقوال المضمرة) في الكلام في كثير من تفسيراته للنصوص بمعاينته للسياق؛ لأنّ الأقوال المضمرة موجودة في الجملة ولكنها أُخفيت بلحاظ أنّ المتلقي مدرك ومستنبط له وعلى علمٍ مسبقٍ بكل تلك التراكيب وما تؤيه من وظيفة تواصلية .
- إنّ الحِجاج اللغوي عند السيد الطباطبائي له خاصية متميزة في ربط أجزاء الخطاب ممّا يؤدي إلى تماسك النص ، فالحجج المتداعية والنتائج التي تليها وما بينها من أدوات ربط تَعدُ عوامل نجاح في ترابط مفاصل الخطاب الحِجاجي، فضلاً عن الخاصية التداولية التي يؤديها الاستعمال اللغوي .
- أشار السيد الطباطبائي إلى أنّ الخطاب بالروابط الحِجاجية بشتى أنواعها منح النص طريقة منهجية وأسلوبية في توظيف هذه الوسائل بما تشكله من مؤشرات ومحددات للمعنى على وفق الطاقة الإقناعية، فضلاً عن ذلك أنّها ساهمت بتوجيه الخطاب نحو الوجهة المبتغاة منه ، فلم يهمل صاحب الميزان عمل تلك الروابط كما مرَّ ذلك في تحليله للآيات القرآنية الكريمة، بل وظّفها توظيفاً مناسباً في ترجيحه حُجة على حُجة أُخرى عن طريق الإضراب الذي جاءت به بعض الروابط ، أو محاولة إظهاره الحُجة الثانية التي وردت في بعض الروابط ، أو اعتماده على الاستدراك الذي أحدثته بعض الروابط ممّا ساعده كثيراً

على فهم ما يعتري النص من غموض ، أو تعزيزه رأياً معيناً يتبناه اعتماداً على عمل بعض الروابط التي تكشف عن اتساق النص وتوجيهه وجهة ما، أو توجيهه الخطاب نحو نتيجة معينة ، بالاعتماد على بعض الروابط التي تربط الحجج بالنتائج .

- أطّر السيد الطباطبائي عمله مع العوامل الحجاجية بإطار كان أساسه حصر وتقييد وتوجيه الخطاب نحو وجهة معينة، وكيف يمكن للمخاطِب أنْ يستغل العوامل الحجاجية في توجيه النص على وفق ما تقتضي المسألة معتمداً آلية الإقناع في ذلك ؛ لأنّ الإقناع أحد أهم الشروط في الحِجاج .
- يُعد السلم الحِجاجي عند السيد الطباطبائي من التقنيات المهمة لترتيب الحجج من الأضعف إلى الأقوى ليتمكن من الخروج بالرأي الأقوى، أو النتيجة من الخطاب، أو الوصول إلى النتيجة ، أو الغاية من الخطاب ، وفق طريقة معينة يمنح النص قوة تأثيرية وإقناعية .
- اعتمد السيد الطباطبائي على الحِجاج البلاغي بنوعيه (البياني والبديعي) الذي جعل منه حِجاجاً مقنعاً ومؤثراً ؛ لأنّ فيه طاقة حِجاجية عالية ، وقد رأينا ذلك من خلال تحليلنا لبعض النصوص التي تطرق إليها صاحب الميزان التي أكسبت الخطاب درجة عالية من الإقناع والتأثير البالغ في المتلقين، فضلاً عن أثر السياق في الكشف عن الأغراض المجازية لجعلها محور التفاعل والإذعان لدى المتلقي .
- يُمثل الحِجاج البياني لدى السيد الطباطبائي المتمثل بـ (المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية والتمثيل)، بُعداً حِجاجياً على ترسيخ الفكرة في الأذهان واستمالة المتلقي وارتباطه العميق بمقاصد الخطاب ، ممّا يضفي على النص ترابطاً واتساقاً واضحاً، وسبب هذا التأثير هو ما توحي به الصورة البيانية من خيالات في ذهن المتلقي لا يمكن إنكارها أو الشك في حقيقتها .
- أخذ الحِجاج البديعي عند السيد الطباطبائي المتمثل في (المذهب الكلامي والالتفات والمقابلة والاعتراض والتقسيم)، وظيفة حِجاجية تُظهر هرمية القيم التي يُريد المتكلم طرحها في تأثير واستمالة المتلقي بما يتلاءم مع قصد المتكلم ؛ ليشكل رؤية فكرية متكاملة الجوانب تستمد أصالتها من تراثنا البلاغي وتواكب تطورات علم اللغة بشتى مناهجها .

وبهذه الحقيقة العلمية نختم دراستنا بأهمّ النتائج التي توصلنا إليها نرجو من الله سبحانه وتعالى أنْ نكون قد وفقنا في الإجابة على التساؤلات والإشكاليات المعروضة في البحث ، ونتمنى أنْ

يكون بحثنا فاتحة خير لبحوث أخرى نظراً لثراء هذا الموضوع وتشعبه ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم .**

- **الأبعاد التداولية عند الأصوليين، مدرسة النجف الحديثة أنموذجاً**، فضاء ذياب غليم الحسناوي ، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات الحضارية ، بيروت ، ٢٠١٦م .
- **الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي**، نادية رمضان النجار، ط١، مؤسسة حورس الدولية ، ٢٠١٣م .
- **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق : مصطفى شيخ مصطفى ، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق – سوريا ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .
- **أدوار الاقتضاء وأغراضه الحِجاجية في بناء الخطاب**، أحمد كروم ، بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، د . حافظ إسماعيلي علوي، ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ٢٠١٠م .
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، محمد بن محمد أبو السعود العمادي (د.ط) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، (د. ت) .
- **أساس البلاغة**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٨م .
- **أساليب الاستفهام في القرآن الكريم**، عبد العليم سيد فوده ، دار الشعب، القاهرة ، (د.ت).
- **أساليب بلاغية ، الفصاحة – البلاغة – المعاني** ، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي ، ط١ ، وكالة المطبوعات – الكويت ، ١٩٨٠م .
- **أساليب البيان في القرآن** ، السيد جعفر السيد باقر الحسني، ط١ ، مؤسسة بوستان كتاب مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ، ١٤٢٧هـ .
- **أساليب التأكيد في اللغة العربية**، الياس ديب ، ط١ ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٩٣م.
- **أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية**، د . صباح عبيد دراز ، ط١، مطبعة الأمانة ، مصر ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

- **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،** عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٤م .
- **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية** ، محمد المولى ، ط١ ، دار الأمان الرباط ، المغرب ، ٢٠٠٥م .
- **الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها** ، العياشي أدواري ، ط١، دار الأمان، الرباط ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، ٢٠١١م .
- **أسرار البلاغة** ، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق: محمود شاكر ، ط١، مكتبة الخاجي ، ١٩٩١م .
- **أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم،** د. شلتاغ عبود ، ط١، دار المحُجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
- **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية** ، د. حسن طبل ، ط١، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٨م .
- **أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية** ، د . مثنى كاظم صادق ، ط١ ، منشورات ضفاف ، بيروت – لبنان ، ١٤٣٦هـ ، ٢٠١٥م .
- **الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب** ، صابر حباشه، ط١، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد _ الأردن ، ٢٠١١م .
- **إشكالات النص دراسة لسانية نصية،** جمعان بن عبد الكريم ، ط١، المركز الثقافي العربي ، النادي الأدبي ، ٢٠٠٩م .
- **إشكالية القراءة والتأويل** ، نصر حامد أبو زيد، ط١ ، دار البيضاء ، المغرب ، ٢٠١٤م .
- **أصول التفسير والتأويل،** السيد كمال الحيدري ، (د.ط)، مؤسسة الإمام الجواد (عليه السلام) للفكر والثقافة ،٢٠١٨م .
- **أصول التفسير والتأويل مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين، السيد كمال الحيدري** ، ط١، مؤسسة التأريخ العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م .

- **الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول** ، د. محمد السيد موسى ، (د.ط) ، (د.ت) .
- **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة**، د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي ، ط١، المكتبة العصرية، بيروت ، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م .
- **إعراب القرآن وبيانه**، محي الدين الدرويش ، ط٧، دار ابن كثير، دمشق، بيروت ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
- **الإعلامية في الخطاب القرآني دراسة في ضوء نظرية التواصل** ، د . زهراء البرقعاوي ، ط١ ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٣٩هـ ، ٢٠١٨م .
- **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، محمود أحمد نحلة، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٢م .
- **الاقتضاء التخاطبي دراسة تداولية في آيات من سورة الأنعام** ، م. م . نور وليد ، بحث ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، د. بشرى البستاني ، ط١ ، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، لندن ، ٢٠١٢م .
- **آليات الحِجاج القرآني ،دراسة في نصوص الترغيب والترهيب**، د . عبد الجليل العشراوي، ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن ، ٢٠١٦م .
- **الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل** ، الشيخ : ناصر مكارم الشيرازي ، ط١، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إيران – قم ، ١٤٢٦هـ .
- **الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية**، خالد ميلاد ، ط١ ، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس ، ٢٠٠١م .
- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد ابن هشام الأنصاري (ت٧١٦هـ) ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت) .

- **الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز من العلوم البيانية والأسرار القرآنية** ، يحيى بن حمزة العلوي ، تحقيق : بن عيسى باطاهر، ط١، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٧م.
- **الإيضاح في علل النحو** ، أبو القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق : د. مازن المبارك ، ط٦ ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .
- **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع** ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني(ت٧٣٩هـ) ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
- **البحث الدلالي في تفسير الميزان دراسة في تحليل النص**، د. مشكور كاظم العوادي ، ط١ ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت– لبنان ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
- **بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم**، الشيخ محمود رجبي، ترجمة وتحقيق : حسين الصافي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات القرآنية، ط٢، ٢٠١٠م.
- **البديع في البديع** ، عبد الله بن المعتز(ت٣٩٩هـ) ، تحقيق : عرفان مطرجي ، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .
- **البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم**، عبد الفتاح لاشين ، ط١ ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .
- **البراغماتية (القولفعلية) في تحليل أفعال الخطاب السياسي (خطاباً ترامب والملك سلمان أنموذجاً)** ، د . سامي كليب ، ط١ ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٧م .
- **البرهان في علوم القرآن** ، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٩٥٧م .
- **البُعد التداولي في الحِجاج اللساني**، د. بنعيسى أزاييط ، بحث ضمن كتاب الحِجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم : حافظ إسماعيلي علوي ، ط١، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ٢٠١٠م .

- **البُعد التداولي والحِجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل** ، د. قدور عمران ، ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ٢٠١٢م .
- **بلاغة الإقناع في المناظرة** ، عبد اللطيف عادل ، ط١ ، دار الأمان ، الرباط ، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م .
- **بلاغة الخطاب وعلم النص**، د. صلاح فضل ، (د.ط) عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠م.
- **البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات**، بن عيسى باطاهر، ط٢ ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٦م .
- **البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع** ، علي الجازم ، ومصطفى أمين ، ط٢١ ، دار المعارف ، لبنان ، ١٩٦٩م .
- **البلاغة والاتصال**، جميل عبد المجيد ، ط١، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠٠م.
- **البلاغة والتطبيق**، د. أحمد مطلوب ، د. كامل حسن البصير، ط٢ ، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- العراق ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- **البنى الأسلوبية في سورة الشعراء** ، تومان غازي الخفاجي ، ط١، دار الهدى ، النجف الأشرف ، ٢٠١٢م .
- **البيان والتبين** ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، القاهرة، مصر، ١٩٤٨م .
- **التبيان في إعراب القرآن** ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) ، تحقيق : سعد كريم الفقي ، ط١ ، دار اليقين للنشر والتوزيع ، المنصورة ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- **تجديد المنهج في تقويم التراث**، طه عبد الرحمن، ط٢، الدار البيضاء ، بيروت ، (د.ت).
- **التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر- تونس ، ١٩٨٤م .
- **تحليل الخطاب**، ج ، ب ، بروان، ج ، يول ، ترجمه: د . محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي ، ط١، دار الفجر للنشر والتوزيع ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

- **تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية**، عمر بلخير، ط١، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، ٢٠٠٣م .
- **التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية** ، د . محمود عكاشة ، (د.ط) ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .
- **التداوليات : علم استعمال اللغة** ، د. حافظ إسماعيلي علوي ، ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .
- **التداولية** ، جورج يول ، ترجمة : قصي العتابي ، ط١ ، دار الأمان ، الرباط ، ٢٠١٠م .
- **التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي** ، مسعود صحراوي ، ط١ ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٥م .
- **التداولية من أوستن إلى غوفمان** ، فيليب بلانشية ، ترجمة : صابر الحباشة ، ط١ ، دار الحوار ، سورية – اللاذقية ، ٢٠٠٧م .
- **التداولية وتحليل الخطاب (الرؤى والتمثلات)** ، د . باسم خيري خضير ، ط١ ، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ، مصر – القاهرة ، ١٤٣٦هـ ، ٢٠١٥م .
- **التداولية والحِجاج مداخل ونصوص** ، صابر حباشة ، ط١ ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٨م .
- **التداولية اليوم علم جديد في التواصل** ، آن روبول وجاك موشلار ، ترجمة : سيف الدين دغفوس ، ومحمد الشيباني ، ط١ ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٣م.
- **التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان** ، د. محمد محمد أبو موسى ، ط٨ ، مكتبة وهبة للطباعة والنشر ، ٢٠١٧م .
- **التصوير الفني في القرآن** ، سيد قطب ، (د.ط)، دار الشروق ، بيروت / لبنان (د.ت) .
- **تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية**، عبد الجبار الرفاعي، (د.ط)، مؤسسة الأعراف، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م .
- **التعبير القرآني** ، د. فاضل صالح السامرائي ، (د.ط) ، دار البشائر ، الأردن ،(د.ت) .

- **التعريفات**، علي بن محمد الجرجاني (ت٨٢٦هـ) ، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥م .
- **التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل** ، محمود أحمد نحلة ، (د.ط) ، دار التوني للطباعة والنشر ، ١٩٩٧م .
- **التغاير السياقي في القرآن الكريم** ، حازم ذنون إسماعيل ، السبعاوي ، ط١ ، ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م .
- **تفسير من وحي القرآن**، السيد محمد حسين فضل الله ، ط٢ ، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨م .
- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، وهبة الزحيلي ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٨هـ- ١٩٦٧م .
- **التفسير والتفاسير الحديثة**، بهاء الدين خرمشاهي، ط١، دار الروضة، بالعربية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي ، ط١ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٧م .
- **التفسير والمفسرون** ، د. محمد السيد حسين الذهبي، ط٧ ، مكتبة وهبة، القاهرة ، ٢٠٠٠م .
- **التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث** ، د. سامي محمد عبابنة ، ط٢ ، عالم الكتب الحديث ، عمان ، ٢٠١٠م .
- **التكرار في شعر محمود درويش** ، فهد ناصر عاشور ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٤م .
- **التمني في القرآن الكريم دراسة أسلوبية** ، د . إبراهيم شيخان كميت ، ط١ ، دار المدينة الفاضلة للطباعة والنشر والتوزيع ، العراق – بغداد ، ٢٠١٣م .
- **تهذيب البلاغة** ، عبد الهادي الفضلي ، ط١٠ ، مطبعة الأمير ، قم ، ١٤٢٢هـ .
- **تهذيب اللغة** ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٢٠٠١م .

- **جامع البيان في تأويل القرآن،** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٠م.
- **الجامع لأحكام القرآن،** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس القرطبي (ت٦٧١هـ) ، تح : أحمد البردوني ، إبراهيم أطفيش ، ط٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- **الجدول في إعراب القران وصرفه وبيانه،** محمود صافي ، ط٣ ، دار الرشيد ، مؤسسة الإيمان ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .
- **جماليات النص القرآني دراسة أسلوبية في المستوى التركيبي،** د. عبدالله خضر حمد، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠١٧م .
- **جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية، جمالية، نقدية،** حسين جمعة،(د.ط)، دار مؤسسة رسلان ، دمشق ، ٢٠١٣م .
- **الجملة العربية: مكوناتها – أنواعها – تحليلها** ، د. محمد إبراهيم عبادة ، ط٢ ، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
- **الجملة الوظيفية في القرآن الكريم صورها، بنيتها العميقة، توجيهها الدلالي،** رابح بومعزة ، ط١، عالم الكتب الحديث ، ٢٠٠٩م .
- **الجنى الداني في حروف المعاني،** أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري المالكي (ت٧٤٩هـ) ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٢م .
- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،** السيد أحمد الهاشمي، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٩م .
- **حاشية الدسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،** جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد ابن هشام الأنصاري (ت٧١٦هـ) ، ضبطه وصححه ووضع حواشيه : عبد السلام محمد أمين ، (د.ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ١٩٧١م .

- **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني،** محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ) ، تحقيق : محمد بن الجميل ، ط١، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
- **الحِجاج بين النظرية والأسلوب من كتاب نحو المعنى والمبنى،** باتريك شارودو ، ترجمة : د. أحمد الودرني ، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٩م .
- **حِجاج التمثيل في الآداب السلطانية، مقاربة تداولية لكتاب كليلة ودمنة، لابن المقفع،** د . هاجر مدقن ، ط١ ، دار النابغة للنشر والتوزيع ١٤٣٥هـ ، ٢٠١٤م .
- **الحِجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية،** أحمد اوالطوف ، أمير فاضل سعد ، حسن بدوح ، حسن خميس الملخ ، شهيدة العزوزي ، عبد الله بيرم يونس الراشدي ، علي عمران ، محمد الغريسي ، مسعود بودوخة ، إشراف وتحرير : حسن خميس الملخ ، ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ٢٠١٥م .
- **الحِجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر،** د. محمد سالم محمد الأمين ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٨م .
- **الحِجاج في التواصل،** فيليب بروطون، ترجمة : محمد مشبال ، عبد الواحد التهامي العلمي ط١، الهيأة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣م .
- **الحِجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية،** د. آمال يوسف المغامسي ، ط١، دار المتوسطية للنشر ، تونس ، ٢٠١٦م .
- **الحِجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه،** د. سامية الدريدي ، ط٢ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ٢٠١١م .
- **الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،** عبدالله صولة، ط١ ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠١م .
- **الحِجاج في قصص الأمثال القديمة مقاربة سردية تداولية** ، د. عادل بن علي الغامدي ، ط١ ، دار الكنوز المعرفة ، عمان ، ٢٠١٦م .

- **الحِجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة** ، إعداد وتقديم : حافظ إسماعيلي علوي ، ط١، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ٢٠١٠م .
- **الحِجاج والمواطنة** ، د. توبي لحسن ، ط١ ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٤م .
- **حِجاجية الاستعارة والمجاز، حسن المودن، بحث ضمن كتاب، الحِجاج مفهومه ومجالاته** ، د . حافظ إسماعيلي علوي، ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ٢٠١٠م .
- **حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر**، حسن الغرفي، ط١، أفريقيا الشرق ، ٢٠٠١م.
- **حُسن التخلص في القرآن الكريم، دراسة بلاغية**، د . آلاء أحمد حسن ، ط١ ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٥م .
- **خزانة الأدب وغاية الإرب**، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله ابن الحُجة الحموي(ت٨٣٧هـ)، ط الأخيرة ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت ، ٢٠٠٤م.
- **الخطاب الحِجاجي أنواعه وخصائصه قراءة في كتاب المساكين لـ: الرافعي** ، هاجر مدقن ، ط١ ، دار الأمان ، الرباط ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .
- **الخطاب القرآني دراسة في البُعد التداولي**، مؤيد آل صوينت ، ط١ ، مكتبة الحضارة ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٠م .
- **الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية**، د . كريم حسين ناصح الخالدي ، ط١ ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٧م .
- **الخطاب والحِجاج** ، د. أبو بكر العزاوي ، ط١ ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٠م .
- **الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط** ، د. أحمد المتوكل ، ط١ ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .
- **الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق**، عبدالله الغذامي ، (د.ط) ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٦م .

- **الخلاصة النحوية**، د . تمام حسان ، ط١، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .
- **دراسات في تفسير النص القرآني**، مجموعة من الباحثين ، (د.ط) ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، سلسلة الدراسات القرآنية ، (د.ت) .
- **الدر الرصين في تفسير سورة يس، دراسة تحليلية موضوعية**، د . صدّيق خليل الصالح الجميلي ، (د.ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ت) .
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) ، تحقيق : أحمد محمد الخراط، (د.ط) ، دار القلم ، دمشق ، (د.ت) .
- **دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة**، زهراء خالد سعد الله العبيدي ، ط٢ ، دار الكتب والوثائق ، بغداد ، ١٤٣٣هـ ، ٢٠١٢م .
- **دلالات التركيب دراسة بلاغية**، محمد محمد أبو موسى ، ط٢ ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م .
- **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل ، الجرجاني الدار (ت٤٧١هـ) ، تحقيق : محمود شاكر أبو فهر ، ط٣ ، مطبعة المدني – القاهرة ، دار المدني – جدة ، ٢٠٠١م .
- **الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف – عليه السلام –** ،عمر محمد عمر باحاذق، ط١، دار المأمون للتراث ، دمشق – سوريا ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
- **الدلالة الزمنية في الجملة العربية**، علي جابر المنصوري ، ط١، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر، الأردن ، ٢٠٠٢ .
- **الرابط وأثره في التركيب في العربية**، د . حمزة عبد الله النشرتي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
- **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، أحمد عبد النور المالقي (ت٧٠٢هـ) ، تحقيق : د. أحمد محمد الخراط ، ط٣ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .

- **روح البيان في تفسير القرآن** ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت١١٢٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، (د.ت) .
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، أبو الفضل الألوسي (ت١٢٧٠هـ) ، (د.ط) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- **زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، (د.ط) ، دار الفكر العربي ، مصر ، (د.ت) .
- **السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب**، د. محمد سالم أبو غفرة ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٠م .
- **السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي**، د. عرفات فيصل المناع، ط١ ، مؤسسة السياق، لندن ، ٢٠١٣م.
- **السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة** ، علي آيت أوشان ، ط١ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
- **السيميائية وفلسفة اللغة**، أمبرتو أيكو، ترجمة : د . أحمد الصمعي ، ط١ ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٥م .
- **شرح التسهيل لابن مالك** ، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي (ت٦٧٢هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن السيد – محمد المختون ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ت) .
- **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، خالد بن عبد الله الأزهري (ت٩٠٥هـ) ، تحقيق : محمد باسل أبو عيون السود ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٠م .
- **شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب**، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي (ت٦٨٦هـ) ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، ط٢ ، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي ، ١٩٩٦م .
- **شرح المفصل** ، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ) تحقيق : إميل يعقوب ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ٢٠٠١م .

- **شرح كتاب سيبويه** ، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨ هـ) ، تحقيق : أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي ، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٨م .
- **الشرط الإنشاء النحوي للكون بحث في الأسس البسيطة المولدة للأبنية والدلالات**، محمد صلاح الدين شريف، (د.ط) ، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م .
- **الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها**، أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ) ، تحقيق: أحمد صقر ، ط١، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧م.
- **صفوة البيان لمعاني القرآن** ، الشيخ حسنين محمد مخلوف ، ط٣ ، دار الفكر ،(د.ت) .
- **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني ، ط١ ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .
- **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب** ، جابر عصفور ، ط٣ ، المركز الثقافي ، لبنان ، ١٩٩٢م .
- **الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية بلاغية** ، د . محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر ، بغداد / العراق ، ١٩٨١م.
- **صيغة فَعَلَ في القرآن الكريم، دراسة صرفية دلالية** ، د . أحلام ماهر محمد حميد ، (د.ط) دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٠٨م .
- **ضياء السالك إلى أوضح المسالك** ، محمد بن عبد العزيز النجار ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- **الطباطبائي ومنهجه في تفسير القرآن**، علي الأوسي، ط٥، مطبعة سبهر، طهران ،١٤٠٥هـ.
- **الطراز المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، يحيى بن حمزة العلويّ (ت ٧٤٩هـ) ، أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء ، (د.ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٢م .

- **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي (ت٧٧٣هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، ط١ ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .
- **العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي**، جون سيرل ، ترجمة : سعيد الغانمي ، ط١ ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، العاصمة – الجزائر ، ٢٠٠٦م .
- **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، د . صلاح فضل، ط١، دار الشروق ، مصر، ١٩٩٨م .
- **علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص**، محمد محمد يونس علي ، ط١ ، دار المدار الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٦م .
- **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، د. هادي نهر، تقديم : د. علي حميد ، ط١ ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٧م .
- **علم الدلالة السيمانيتيكية والبراجماتية** ، د. شاهر حسن ، ط١ ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠١م .
- **علم لغة النص النظرية والتطبيق** ، د. عزه شبل ، ط٣ ، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، ٢٠١٩م .
- **عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لأليات التواصل والحِجاج أفريقيا الشرق**، عبد السلام عشير، ط١ ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٧م .
- **العوامل الحِجاجية في اللغة العربية**، د . عز الدين الناجح ، ط١، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع ، صفاقس – تونس ، ٢٠١١م .
- **العين** ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تحقيق : مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، (د.ط) ، دار ومكتبة الهلال ، (د.ت) .
- **الفصل والوصل في القران الكريم ، دراسة في الأسلوب** ، د. منير سلطان ، ط٢ ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م .
- **فضاء الكون الشعري من التشكيل إلى التدليل، مستويات التجربة الشعرية عند محمد مردان** ، مجموعة مؤلفين ، إعداد وتقديم : محمد صابر عبيد ، ط١، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سوريا ، ٢٠١٠م .

- **الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل المفهوم الفعلي اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي، يحيى بعيطيش، بحث ضمن كتاب، التداوليات وعلم استعمال اللغة،** د . حافظ إسماعيلي علوي ، إعداد وتقديم : الدكتور : حافظ إسماعيلي علوي ، ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ٢٠١١م .
- **الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، يحي بعيطيش ، بحث ضمن كتاب : التداوليات علم استعمال اللغة،** د . حافظ إسماعيلي علوي ، ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ٢٠١١م .
- **الفعل زمانه وأبنيته،** د. إبراهيم السامرائي ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
- **الفكر اللساني التداولي قراءات في التراث والحداثة،** د . محمد عديل عبد العزيز علي ، ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ٢٠١٦م .
- **الفلسفة والبلاغة مقاربة حِجاجية للخطاب الفلسفي،** د . عمارة ناصر ، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٩م .
- **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام** ، طه عبد الرحمن ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠م .
- **في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية،** د. ثروت مرسي ، ط١ ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ١٤٣٩هـ ، ٢٠١٨م .
- **في الجهاز المفاهيمي للدرس اللغوي ، مسعود صحراوي ، بحث ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة،** إعداد وتقديم : د. حافظ إسماعيلي علوي ، ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ٢٠١١م .
- **في اللسانيات التداولية مع محاولة لتأصيله في الدرس العربي القديم** ، خليفة بو جادي ، ط١ ، بيت الحكمة ، ٢٠٠٩م .
- **في بلاغة الحِجاج نحو مقاربة بلاغية حِجاجية لتحليل الخطاب** ، د. محمد مشبال، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، ٢٠١٧م .

- **في ظلال القرآن**، سيد قطب بن إبراهيم الشاذلي ،(ت١٣٨٦هـ) ، ط٧ ، بيروت – لبنان ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .
- **القاموس المحيط** ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) ، تحقيق: التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .
- **القاموس الموسوعي للتداولية**، جاك مولشر، آن ربول ، ترجمة : مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية ، بإشراف : عز الدين المجلوب ، مراجعة : خالد ميلاد ، ط٢ ، مشورات دار سيناترا ، تونس ، ٢٠١٠م .
- **قضايا الشعر العربي المعاصر**، نازك صادق الملائكة ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠م .
- **قلب القرآن**، السيد عبد الحسين دستغيب ، ترجمة : لجنة الهدى ، ط١ ، دار البلاغة للطباعة والنشر ، لبنان ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .
- **الكتاب** ، أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
- **كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحِجاج ، رسائله نموذجاً**، علي محمد علي سلمان ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، والبحرين ، وزارة الثقافة والإعلام ، الثقافة والتراث الوطني، ٢٠١٠م .
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٩٩٨م .
- **اللام في القرآن الكريم معانيها وعملها**، أحمد إسماعيل الوحيدي ، ط١، دار البيارق ، الأردن ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
- **لسان العرب** ، ابن منظور(ت٧١١هـ) ، ط٣ ، دار صادر بيروت ، ١٤١٤هـ .
- **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، طه عبد الرحمن ، ط٢ ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٦م .

- **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب** ، محمد خطابي، ط١، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩١م .
- **لغة الشعر العراقي المعاصر**، عمران خضير حميد الكبيسي ، بإشراف : سهير القلماوي ، ط١ ، وكالة المطبوعات ، ١٩٨٢م .
- **اللغة العربية معناها ومبناها** ، د. تمام حسان، (د.ط) ، دار الثقافة ، المغرب ، ١٩٩٤م.
- **اللغة والحِجاج** ، د. أبو بكر العزاوي ، ط١ ، الدار البيضاء ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٦م.
- **اللغة والمعنى والسياق**، جون لاينز ، ترجمة : د . عباس صادق الوهاب، مراجعة : د . يوئيل عزيز ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق – بغداد ، ١٩٨٧م .
- **لماذا نقرأ فلاسفة العرب** ، علي بن مخلوف ، ترجمة : د . أنور مغيث ، دار أفاق للنشر والتوزيع – القاهرة ، ٢٠١٨م .
- **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل** ، د . فاضل صالح السامرائي ، ط٣ ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .
- **مبادئ التداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين** ، د . محمود طلحة ، ط١، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ٢٠١٤م .
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير(ت٦٣٧هـ) ، تح : أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، (د.ط) ، دار نهضة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، (د.ت) .
- **محاضرات في فلسفة اللغة** ، عادل فاخوري ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٣م .
- **المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، أبو الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق: علي النجدي ناصف ، د. عبد الفتاح شلبي ، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٣٦هـ .
- **مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري** ، د. نعمان بوقرة ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٩م .

- **مدخل إلى دراسة التداولية، مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل**، فرانشيكوس راموس ، ترجمة : يحيى حمداي ، ط١ ، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع ، الديوانية – العراق ، ٢٠١٤م .
- **مدخل إلى الدلالة الحديثة** ، عبد المجيد جحفة ، ط١ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، الغرب ، ٢٠٠٠م .
- **مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها**، الجيلالي دلاش، ترجمة : محمد يحياتين، (د.ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٩٢م .
- **المدخل إلى علم اللغة**، كارل ويتر ، ترجمة ، د . سعيد حسن بحيري ، ط٢ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠م .
- **مدخل إلى علم اللغة النصي**، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر ، ترجمة : د. فالح بن شبيب العجمي ، (د.ط) ، جامعة الملك سعود النشر العلمي والمطابع ، ١٩٩٩م .
- **مراعاة المخاطب في النحو العربي** ، د . بان الخفاجي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٨م .
- **المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية** ، د. حامد صادق قنيبي ، ط١ ، مكتبة المنار – الأردن ، ١٩٨٤م .
- **المضمر**، كاترين كيربرات اوريكيوني، ترجمة : ريتا خاطر، ط١ ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٨م .
- **مطارحات في قضايا قرآنية دراسة في تفسير" من وحي القرآن " السيد فضل الله في سياق مناهج التّفسير السائدة** ، محمد الحسيني ، ط١ ، دار الملاك للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، بيروت . لبنان، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م .
- **المظاهر اللغوية للحِجاج، مدخل إلى الحِجاجيات اللسانية**، رشدي الراضي ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠١٤م .
- **معالم التنزيل (تفسير البغوي)**، الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد (ت٥١٦هـ) ، تحقيق : محمد عبد الله النمر ، وعثمان جمعة ضميرية ، وسليمان مسلم الحرش ، (د.ط) ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .

- **معاني الحروف** ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي (ت٣٨٤هـ) ، تحقيق : د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط٢ ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، السعودية ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
- **معاني القرآن**، أبو جعفر النحاس(ت٣٣٨هـ) ، تحقيق : الشيخ محمد علي الصابوني ، ط١ ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مركز إحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٨م .
- **معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء (ت٢٠٧هـ) ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط١ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر،(د.ط) ، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت– لبنان ، ٢٠١٠م .
- **معاني النحو**، د . فاضل صالح السامرائي ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٧م .
- **المعاني في ضوء أساليب القران**، عبد الفتاح لاشين ، ط٤ ، دار الفكر العربي ، سلسة البلاغة القرآنية ، ٢٠٠٣م .
- **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، (د.ط) ، دار الفكر العربي ، (د.ت) .
- **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مجدي وهبة وكامل المهندس، ط٢، مكتبة لبنان – بيروت ، ١٩٨٤م .
- **المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية**، محمد محمد يونس علي، ط٢ ، دار المدار الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٧م .
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧١٦هـ) ، تحقيق : عبد اللطيف محمد الخطيب ، ط١، التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٠م .
- **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) ، ط١، دار الفكر، مصر ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

- **مفتاح العلوم**، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، تحقيق : نعيم زرزور ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٧م .
- **المفصل في علم العربية**، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، ط١ ، مطبعة التقدم ، مصر ، ١٣٢٣هـ .
- **مقاربات تداولية في كتاب معاني القرآن للنحاس (ت٣٣٨هـ)**، علاء السامي، ط١، مكتبة تنوير للطباعة والنشر ، ١٤٣٨هـ ، ٢٠١٧م .
- **مقاربة التدريس بالكفاءات**، خير الدين هني، (د.ط)، مطبعة التنوير ، الجزائر، ٢٠٠٥م.
- **مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي**، محمد حسين الطباطبائي ، تعريب: خالد توفيق ط٢، مؤسّسة أمّ القرى للتحقيق والنّشر، ١٤١٨هـ .
- **مقالات في اللغة والأدب**، د. تمام حسان ، ط١، عالم الكتب ، القاهرة – مصر، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .
- **المقتضب** ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة ، (د.ط) ، عالم الكتب– بيروت ، ٢٠١٠م .
- **من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم**، د . محمد الأمين الخضري ، ط١ ، مكتبة وهبة – مصر ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .
- **من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، تبسيط التداولية**، د . بهاء الدين محمد مزيد ، ط١ ، شمس للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٠م .
- **من بلاغة القرآن**، أحمد أحمد بدوي، مطبعة دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٠هـ–١٩٥٠م، (د.ت) .
- **من بلاغة النظم القرآني**، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، (د.ت) .
- **مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحِجاج** ، حسن مسكين ، ط١ ، مؤسسة الرحاب للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٠م .

- **مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني**، د . ستار جبر حمود الأعرجي، (د.ط) ، (د.ت) .
- **المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر**، عبد الرحمن ممدوح ، ط١، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية ، ١٩٩٤م .
- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت١١٥٨هـ) ، تحقيق : رفيق العجم – علي دحروج ، تعريب : د. عبد الله الخالدي ، ترجمة : د. جورج زيناني ، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ١٩٦٩م .
- **الميزان في تفسير القرآن**، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) ، تحقيق : الشيخ أياد باقر سلمان ، قدم له : السيد كمال الحيدري ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
- **النحو القرآني في ضوء لسانيات النص**، د . هناء محمود إسماعيل ، تقديم : د. كريم حسين ناصح الخالدي ، (د.ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٧١م .
- **نحو المعاني**، أحمد عبد الستار جواري ، ط١، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٧م .
- **النحو الوافي**، عباس حسن ، ط٣ ، دار المعارف ، مصر ،(د.ت) .
- **النسق القرآني دراسة أسلوبية**، د. محمد ديب الجاجي ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ٢٠١٠م .
- **النص الحِجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، بحث ضمن كتاب الحِجاج مفهومه ومجالاته** ، د . حافظ إسماعيلي علوي، ط١، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – الأردن ، ٢٠١٠م .
- **النص القرآني من الجملة إلى العالم**، د. وليد منير ، (د.ط) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، مكتب القاهرة ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .
- **النص والخطاب والاتصال**، محمد العبد، ط٢، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م .

- **نظريات الحِجاج** ، د . جميل حمداوي ، (د.ط) ، شبكة الألوكة ، (د.ت) .
- **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب**، طالب سيد هاشم الطبطبائي ، (د.ط) ، مطبوعات جامعة الكويت – الكويت ، ١٩٩٤م .
- **النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ** ، محمود عكاشة ، ط١ ، مكتبة الآداب ، ميدان الأوبرا ، القاهرة ، ٢٠١٣م .
- **النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة** ، أحمد فهد صالح شاهين ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٥م .
- **نظرية الحِجاج في اللغة ، شكري المبخوت، بحث ضمن كتاب، أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، إشراف : حمادي صمود، (د.ط)، سلسلة آداب كلية الآداب منوبة ، تونس المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، (د.ت) .
- **النظرية الحِجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية**، د . محمد طروس ، ط١، الدار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .
- **نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي**، هشام، عبدالله الخليفة، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٧م .
- **نظرية المعنى في الدراسات النحوية** ، د . كريم حسين ناصح الخالدي ، ط٢ ، دار صفاء للطباعة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٥م .
- **نقد الحِجاج وسيميائيات الأهواء من خلال كتاب البخلاء للجاحظ** ، ماهر بو صباط ، (د.ط) دار التونسية للكتاب ، ٢٠١٥م .
- **النقد والإعجاز** ، د . محمد تحريشي ، ط١ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠٤م .
- **هندسة الأقناع في الاتصال الإنساني**، د. راكان عبدالكريم حبيب ، (د.ط) ، مكتبة دار جدة ، (د.ت) .
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ) ، تحقيق وتعليق : الشيخ :عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ :علي محمد معوض ، والدكتور : أحمد محمد صيرة ، والدكتور : أحمد عبد الغني الجمل ، والدكتور :

عبد الرحمن عويس ، تقديم : الدكتور : عبد الحي الغرباوي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

- **الوصائل في تحليل المحادثة ، دراسة في استراتيجيات الخطاب** ، خليفة الميساوي ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٢م .

ثانياً : **الرسائل والأطاريح الجامعية** :

- **الأبعاد التداولية في الميزان في تفسير القرآن،** حيدر لطيف حسين ، أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة – كلية الآداب ، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م .
- **أثر التماسك النصي في تكوين الصورة البيانية شعر خالد الكاتب إنموذجاً** ، كاظم عبد الله عبد النبي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة – كلية الآداب ، ٢٠١٣م .
- **أثر العقيدة في توجيه الدلالة القرآنية، تفاسير الإمامية إلى نهاية القرن السابع للهجرة أنموذجاً** ، ليث قابل عبيد الوائلي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة كربلاء – كلية التربية .
- **الأداة وزمن الفعل الماضي والمضارع في القرآن الكريم،** مجدي مصطفى ياقوب ، أطروحة دكتوراه ، عين الشمس ، البنات ، اللغة العربية وآدابها .
- **أساليب الإضراب والاستدراك في القرآن الكريم،** إنجا إبراهيم يحيى اليماني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .
- **الأسلوب الحِجاجي في القرآن الكريم " سورة الكهف أنموذجاً** ، سهام سماح ، ونوال سماح ، رسالة ماجستير ، جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٥م – ٢٠١٦م .
- **الإضراب والاستدراك في نهج البلاغة دراسة دلالية،** معتصم جابر محمود ، رسالة ماجستير ، جامعة القادسية – كلية الآداب ، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م .
- **البحث البلاغي في تفسير الميزان،** حيدر هادي أحمد، أطروحة دكتوراه، جامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .
- **البحث البلاغي في تفسير الميزان** ، رياض خلف خزي المرشدي، رسالة ماجستير، جامعة القادسية ، كلية التربية ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

- **البنيات الأسلوبية في شعر أحمد الوائلي** ، علي يونس عودة ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة – كلية التربية ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .
- **تجليات الحِجاج في الخطاب النبوي في وسائل الإقناع الأربعون النووية أنموذجاً** ، هشام فروم ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر – بانته ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الجزائر ، ، ٢٠٠٨م– ٢٠٠٩م .
- **تجليات الحِجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجاً**، حياة دحمان، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر – باتنة – الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .
- **التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية**، نوار محمد إسماعيل الحيالي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الموصل – كلية الآداب ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
- **الحِجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي** ، حسين بو بلوطة ، جامعة الحاج لخضر – بانته ، الجزائر ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ٢٠٠٩م – ٢٠١٠م .
- **الحِجاج في دموع في عيون عراقية لخير الدين حمادي " مقارنة في وسائل الإقناع "** ، إلهام شيباني ، وخيرة شيباني ، رسالة ماجستير ، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي – كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٦م– ٢٠١٧م .
- **الحِجاج في شعر أحمد الوائلي** ، صلاح جباري شناوة العبودي ، رسالة ماجستير ، جامعة المثنى ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٦م .
- **الحِجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام)** ، عايد جدوع حنون ، أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة – كلية التربية ، للعلوم الإنسانية ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .
- **الحِجاج في النص القرآني " سورة الأنبياء أنموذجاً "** ، إيمان درنوني ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر – بانته ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الجزائر ، ٢٠١٢م – ٢٠١٣م.
- **الحِجاج في النص القرآني، سور الحواميم أنموذجاً**، هاني يوسف أبو غليون ، رسالة ماجستير، جامعة مؤته ، كلية الدراسات العليا ، ٢٠١٨م .

- **الخطاب الحِجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة دراسة تداولية،** ابتسام بن خراف ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر – بانته ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الجزائر ، ٢٠٠٩م– ٢٠١٠م .
- **الخطاب الحِجاجي في مختارات من أدب العلامة عبد الحميد بن باديس،** عباس حشاني ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة مد خيضر بسكرة ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
- **خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم دراسة حِجاجية،** أرجوان حسن علي الوائلي، رسالة ماجستير ، جامعة ذي قار – كلية الآداب ، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م .
- **الدرس النحوي في تفسير الميزان،** رحيم كريم علي الشريفي، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠١م .
- **السور المكية في القران الكريم مقاربة تداولية،** كاظم فاضل هادي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية _ جامعة القادسية ، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م .
- **علّل التعبير القرآني عند الزمخشري** ، أسعد عبد العليم السعدي ، رسالة ماجستير ، العلوم الإسلامية ، ١٩٩٩م .

ثالثاً : البحوث المنشورة في الدوريات والمجلات :

- **أثر المكان في فهم الجملة عند سيبويه،** حسن عبد الغني الأسدي، عدد خاص، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، المؤتمر الخامس لكلية التربية للعلوم الإنسانية، نيسان٢٠١٢م.
- **أساليب النفي في القرآن الكريم** ، صلاح رمضان عبدالله ، مجلة جامعة البحر الأحمر ، السودان ، العدد : ٥ ، ٢٠١٤م .
- **الاستدلال الحِجاجي التداولي وآليات اشتغاله،** د. رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، المجلد : ٤٠ ، العدد : ٢ ، الكويت ، ٢٠١١م .
- **الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحِجاج** ، طه عبد الرحمن، مجلة المناظرة ، السنة : ٢ ، العدد: ٤ ، ١٩٩١م .

- **أسلوب الشرط في القرآن الكريم، جمالياته ووظائفه، سورة الروم مثالًا،** حسين فاضل الحلو، معهد القرآن الكريم للرجال، العتبة العباسية المقدسة، شبكة المعارف للتراث الإسلامي .
- **أسلوب النفي في بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، صحيح مسلم إنموذجاً،** أسماء عبد الباقي محمد ، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد ، المجلد : ٢٠١٢ ، العدد : ١٠٢ ، ٢٠١٢م.
- **الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار، نماذج من القرآن والحديث،** آمنة بلعلي ، مجلة التراث العربي ، العدد : ٨٩ ، السنة : ٢٣ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
- **آليات تشكل الخطاب الحِجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان** ، هاجر مدقن ، مجلة الأثر ، الجزائر ، ط١ ، ٢٩٩٥م .
- **البُعد التداولي عند سيبويه،** مقبول إدريس ، مجلة عالم الفكر ، المجلد : ٣٣ ، العدد : ١ ، الكويت ، ٢٠٠١م .
- **بلاغة أساليب البيان في الآيات المتحدثة عن القرآن،** د. زينة غني عبد الحسين الخفاجي ، كلية التربية الأساسية .
- **التداولية وعناصر المقدرة الاتصالية،** د. نادية رمضان النجار، مجلة إربد – الأردن ، ٢٠٠٥م .
- **تطبيقات الحِجاج في الميزان في تفسير القرآن وفق نظريتي تولمن وديكرو** ، م.م. حيدر لطيف حسين ، أ. د. أحمد رسن صحن، مجلة المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة ، المجلد : ١ ، العدد : ٣٨ ، محلق خاص بالدراسات اللغوية والأدبية ، ٢٠١٩م .
- **التعليق الشرطي بـ(النفي وحتى) ، وبـ(الطلب وحتى) في النص القرآني: دراسة تحليلية،** علي عبد الفتاح ، مجلة جامعة بابل ، كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، العدد : ١ – أ ، ٢٠١٦م .
- **جماليات الإقناع في الأسلوب القرآني** ، أ . د . جمال الحضري ، قسم اللغة والآدب العربي ، كلية الآداب واللغات ، جامعة المسيلة ، ٢٠١٨م .

- **الحِجاج التصورات والتقنيات** ، د . مؤيد عبيد آل صوينت ، مجلة أداب المستنصرية ، ٢٠١١م .
- **الحِجاج في اللسانيات التداولية، دراسة لنماذج من القرآن الكريم** ، د . بن أحمد عالم فايزة . مجلة الكلمة ، المجلد : ١٩، العدد: ٧٥، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث ، لبنان ، ٢٠١٢م .
- **الحِجاج والعنصرية**، فان دايك ، ترجمة : محمد طروس ، مجلة الحكمة ، العدد : ٢ ، مطبعة المعارف الجديدة ، الدار البيضاء .
- **الحِجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو**، د . رشيد الراضي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد : ٣٣ العدد : ١ ، الكويت ، ٢٠٠١م .
- **الخطاب الحِجاجي وصلاته الاجتماعية (مقاربة سوسيولسانية)** ، د. نعمة دهش فرحان الطائي ، جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية ، مجلة الإستاد ، المجلد الأول ، العدد : ٢٢٠ . ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م .
- **دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم – مقاربة تداولية –** ، بوقرومة حكيمة ، مجلة الخطاب ، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والآدب ، العدد : ٣ ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري – تيزي وزو ، دار الأمل للطباعة والنشر ، المدينة الجديدة – تيزي وزو ، الجزائر ، ٢٠٠٨م .
- **دلالة العدول في صيغ الأفعال دراسة نظرية تطبيقية** ، غياث بابو ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، فصلية محكمة ، العدد : الثاني عشر ، ١٤٩١هـ – ٢٠١٣ .
- **ظاهرة التكرار ودلالاتها الفنية في شعر الدكتور علي مجيد البديري** ، د. رسول بلاوي ، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة بغداد ، كلية التربية للعلوم الإنسانية – ابن رشد ، مجلد : ١ ، العدد : ٢٢٤ ، ٢٠١٨م .
- **الفاعل في ضوء الاستعمال القرآني**، د. طلال يحيى إبراهيم الطوبجي ، مجلة التربية والعلم ، جامعة الموصل – كلية الآداب ، العدد : ١٦ ، ٢٠٠٩م .
- **في تداوليات التأويل** ، عبد السلام إسماعيل علوي، مجلة الكلمة مجلة أدبية فكرية شهرية ، العدد : ١٥٥ ، ٢٠٢٠ م .

- **قوانين الخطاب في التواصل الخطابي** ، الأستاذة : حمو الحاج ذهبية ، الخطاب ، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والآدب ، العدد : ٢ ، ٢٠٠٧م.
- **القيمة الحِجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية**، محمود طلحة ، الخطاب ، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والآدب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، المدينة الجديدة – تيزي وزو ، العدد : ٣ ، ٢٠٠٨م .
- **المرجعية اللغوية في النظرية التداولية** ، د. عبد الحليم بن عيسى ، دراسات أدبية ، دورية فصلية محكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات الخدمات التعلمية ، العدد : ١ ، الجزائر ، ٢٠٠٨م .
- **مسائل إذن** ، أحمد بن محمد بن أحمد القرشي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد ١١٩ ، ١٤٢٣هـ .
- **مظاهر المخالفة اللغوية في القرآن الكريم**، د . علي جميل أحمد ، مجلة آداب المستنصرية ، كلية الآداب ، العدد : ٥٠ ، ٢٠٠٩م .
- **مفهوم الحِجاج عند (بيرلمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة** ، محمد سالم ولد محمد الأمين، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والآداب ، الكويت ، مجلد : ٢٨ ، العدد : ٢ ، ٢٠٠٠م .
- **مواقف ورجال (الفيلسوف الإسلامي السيد محمد حسين الحسني الطباطبائي – مؤسس مدرسة جديدة في تفسير القرآن)** ، منقذ الشمري، مجلة الكوثر، تصدر في النجف الأشرف عن مؤسسة أهل البيت الثقافية العامة ، العدد: ٦٥ ،١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

رابعاً : **البحوث الإلكترونية** :

- **إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري**، محمد السيدي، الموقع : https://www.aljabriabed.net/n25_07sayidi.htm

- **بلاغة التقديم والتأخير في خطبة الأشباح للإمام علي (عليه السلام)** ، عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي ، الموقع : https://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/15/596.pdf
- **فن التقسيم في نهج البلاغة** ، د. عباس علي الفحام ، موقع خاص تم افتتاحه في يوم الغدير الأغر سنة ١٤٢٥ هجرية المصادف ٢٠٠٤ ميلادية، وهو من المواقع التابعة لمركز آل البيت (عليهم السلام) العالمي للمعلومات، http://arabic.balaghah.net/content

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Al-Qadisiyah University / College of Arts

the department of Arabic language

Pilgrims in the interpretation of the balance of Tabatabai (d. 1402 e)

"a deliberative approach"

A message to present

Mohammed Faisal Hassan al-Musawi

To the Council of the College of Arts / University of Qadisiyah

It is part of the requirements for a PhD in Arabic language philosophy .and literature / language

Supervised by

A . M . Dr . turath hakim the Ziyadi

AH – 2020 A.D 1442

CONCLUSION

Choosing the interpretation of Libra as a research blog; The fact that most of his texts are pilgrimage, as Mr. Tabatabai engages his readers in the speech, present and absent, and what he calls the global recipient. The idea since the days of studying the masters, and this desire took root in the preparatory year in the doctorate, and based on the above I wanted to make a modest

attempt to research the topic of pilgrims, as pilgrims in recent decades became .

The interest of learners; And that is through the many writings and research formulated about it. As it was not limited to one field, but it is concerned with various fields such as philosophy, logic and various human sciences, including that discourse in all its forms is a wide area for pilgrims, especially the explanatory discourse and this is what made it related to the problems raised by rhetoric and the linguistics of discourse and communication .

I divided this research into a preamble, three chapters, and a conclusion. The preamble included a set of sub-titles: (linguistic and idiomatic significance of the concept of deliberation), (linguistic and idiomatic significance of the concept of pilgrims), (linguistic and idiomatic significance of the concept of approach) and (the relationship of communication with the pilgrimage text) and (impact Deliberative in the pilgrims in the text) and (Hajj communicative influences of Mr. Tabatabai in his interpretation)

The first chapter was entitled (The Pilgrim Pilgrimage), which included three topics, I studied in the first (verbal verbs: direct, indirect and complex) and dealt with in the second (dialogic continuation), and I examined in the third (the implications of saying the two types: presumption and implicit sayings) .

The title of the second chapter (Linguistic Pilgrims) contained three topics, which dealt with in the first (Pilgrim Links) and it branched into the titles are (links that include strong arguments) and (links included

_ A _

for results) and (Pilgrimic Conflict Links) and (Pilgrim Marketing Links), The second topic included (Hajj pilgrimage factors and lexical) and referred to in the third topic (the laws and concepts of Hajj pilgrimage) .

I studied in the third semester (rhetorical pilgrims) and it was with two researches, the first was (graphic pilgrims and includes: metaphor and metaphor and metonymy and representation) and the second I devoted it to (pilgrims Budaiyah and includes: verbal doctrine and turn around and interview and objection and division) .

I ended my research with a conclusion in which I summarized what I ended up with in the course of the research, and I do not claim that I fulfilled everything the owner of the scale wanted, but I made an effort that was not easy so that I could not miss anything from it, and the choice was for specific models for each research issue; The capacity of the subject and I am limited by time and size of the message, and if there is a disparity in the size of the chapters and investigations, it is due to the unevenness of the research subject .

The result was that Mr. Al-Tabatabai's discourse is a deliberative, verbal practice that takes the structure and inferential methods that compel the recipient to acquiesce in and accept opinions through his use of arguments, and the diversity in the connotations of the speech is observed by Mr. Al-Tabatabai Al-Hajjaji, and this came to persuasive purposes that use the addresser with influence and desire to reach the desired goal, Likewise, pilgrims appeared to Mr. Tabatabai with various meanings, all of which aim to persuade the recipient and direct him towards the intended speech, knowing that deliberative thought closely approaches the explanatory thought of Mr. Tabatabaei in the speaker's authority of speech through which verbal actions and influence in the recipient are accomplished .

_ B _